خليل بن ياسر البطاشي

الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب

دار جرير
للنشر والتوزيع
www.darjareer.com

الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب

إعداد

خليل بن ياسر البطاشي

الطبعة الأولى

1430هـ - 2009م

دار جرير
للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى أسرتي الكبيرة : أبي وأمي وأخوتي ... تلك ثمرة دعائكم الصالح .

إلى أسرتي الصغيرة : الفضل وعمر ووالدتهما ... تلك ثمرة صبركم .

إلى من أبصرت عيناي أول بصيص من نور القرآن على يديه وفي مدرسته المتواضعة تحت جدار الطين وسعف النخيل : معلمي الوالد علي بن سالم الناعبي (عليه رحمة الله) ... تلك ثمرة شجرة غرستم بذرتها منذ سنين .

الفهرس

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

فهرس المحتويات

الفصل الثاني : نحو النص في سورة الأنعام

الفصل الثالث : آليات الترابط النصي في سورة الأنعام

المقدمة

الحمد لله الهادي إلى سبل الرشاد ، من يضلل فما له من هاد، ومن يهد فما له من مضل من بعد هدايته، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، المبعوث بالحق المبين، الرحمة المهداة والنعمة المسداة .

أما بعد،

فهذا البحث الذي شرُف صاحبه فيه بدراسة سورة من سور القرآن الكريم قد تطرق إلى موضوع قديم بمنهج حديث، تطرق إلى موضوع طالما تحدث فيه المفسرون في تفاسيرهم، وكتب فيه العلماء، وهو الترابط في القرآن الكريم، لكن ما يميز هذا العرض عن غيره شيئان، أولهما : المنهج والوسيلة التي اخترناها لدراسة الترابط في النص القرآني، إذ اختير علم لغة النص ليكون الأداة التي يعالج بها الموضوع . وثانيهما: دراسة الترابط في القرآن على مستوى النص بأكمله، وليس بالوقوف عند العلاقة بين آية وأخرى، أو العلاقة بين سورة وأخرى .

والحقيقة ومن باب إنصاف الآخرين أن نحو النص بما يعرضه من أدوات وإمكانات ليس بدعاً على الدرس القرآني، بل وجدت بذوره في الدراسات القرآنية قديما، ووجدت الكثير من الأدوات النصية التي تعد اليوم من أسس هذا العلم في كتابات القدماء .

وقد كان هناك الكثير من المسوّغات دفعتنا إلى الإقدام على دراسة الترابط النصي في القرآن الكريم، أهمها ما يفعله الكثير من القراء للنص القرآني من بتر الآيات.أضف إلى ذلك الحاجة للوقوف على الدرس النصي العربي القديم، الذي يعد تفسير القرآن من أنضج مظاهره .

وضعنا نصب أعيننا عند دراستنا لموضوع الترابط في القرآن الكريم مجموعة من الأهداف، من أهمها:

- إضاءة جانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، وهو الترابط .
- إيجاد نموذج للتحليل النصي للقرآن الكريم .
- تحديد آليات ترابط النص القرآني، وتصنيفها حسب مستواها (تركيبية، معجمية، دلالية).
- إعطاء نموذج عملي لأهمية القراءة الكلية للنص القرآني، والبعد عن اجتزاء الآيات والتعسف في قراءتها بعيدا عن سياقاتها .

ولضمان التطبيق الأمثل لأدوات المنهج الذي تم اختياره فقد تم تحديد مجال الدراسة في القرآن الكريم ؛ إذ تقتصر على عينة من محتواه الشريف، وقد تم اختيار سورة الأنعام لتكون مجال دراسة الترابط النصي، فهي تمثل نموذجا راقيا للنص المترابط، وما يقال فيها يسري على سور الكتاب الحكيم إجمالا .

وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة، تضمن الفصل الأول الذي حمل عنوان: "الإطاران النظري والتاريخي" مبحثين، تم في المبحث الأول معالجة مفهوم النص عند القدماء أولاً، ثم عند المحدثين بعد ذلك، عولج مفهوم النص عند القدماء من خلال محورين اثنين، هما: معاني مادة نصص في المعاجم اللغوية، وما جاء في كتابات علماء اللغة والبلاغة، أما عند المحدثين فتم التركيز على تعريفاتهم المباشرة للنص، ومقابلتها مع ما جاء به القدماء ؛ لبيان مدى وعي القدماء لهذا المفهوم.

وقد تضمن المبحث الثاني من الفصل الأول مجموعة من المحاور، بدأت ببيان: مفهوم نحو النص بوصفه مصطلحاً حديثاً في الدراسات اللغوية، إذ عرضت مجموعة من المفاهيم التي تباينت بتباين المدرسة اللغوية التي ينتسب إليها كل باحث في هذا العلم، ثم بعدها تم عرض تأريخ هذا العلم ونشأته في الغرب .

وفي المحور التالي وقفة عند المهمة التي وجد هذا المنهج من أجلها، وطبيعة المعالجات التي يختص بها، إضافة إلى الأدوات والوسائل التي يوظفها الباحثون في علم النص في نهاية هذا المبحث، وبسبب ما ورد من مصطلحات في أثناء الحديث عن نحو النص وما سيرد لاحقاً كان لزاماً علينا الوقوف عند بعض المصطلحات، وتحديدها ليتيسر علينا التعامل معها في أثناء التطبيق بعد ذلك .

أما الفصل الثاني الذي حمل عنوان نحو النص في سورة الأنعام فقد تضمن المعالجات التطبيقية للنموذج موضع الدراسة وهو سورة الأنعام، واعتمد على أسلوب

البسط النظري المقرون بالمعالجات التطبيقية مباشرة ؛ إذ خصص هذا الفصل ليضم المعالجات النصية العامة لسورة الأنعام، لذلك ضمن مبحثين : أولهما : معايير النصية في سورة الأنعام، وبيان أثرها في ترابط النص، إذ تم اختيار المعايير السبعة المتفق عليها بين الباحثين، وفحص مدى تحققها في السورة . (السبك، الحبك، الموقفية، القصدية، المقبولية، التناص، الإعلامية)، ثم تلاه بعد ذلك المبحث الثاني المتضمن الأبنية النصية الثلاثة في السورة : (البنية العليا، الأبنية الكبرى، الأبنية الصغرى) .

ولم يكن العرض نظرياً بحتاً بل كان يتلو العرض النظري نماذج تطبيقية تبين مدى إسهام معايير النصية وأبنية النص في عملية الترابط المتحققة في النص ؛ إذ تتمحور تلك المعايير حول مبدأ التماسك، فهي على اختلاف العلاقات الموظفة في كل منها تجتمع في أنها محققة للتماسك النصي، فمعيار السبك يحتوي على عدة علاقات، منها: التكرار، والمصاحبة المعجمية، والإضمار، والحذف، وهي جميعها من أدوات التماسك النصي، كما سيتم تفصيل ذلك في الفصل الثالث، وكذلك الحال في المعايير الأخرى .

أما الأبنية النصية فهي تمثل ثلاث دوائر تندرج من العام إلى الخاص، فالبنية العليا هي الهيكل أو الجنس الذي ينتمي إليه النص، أما الأبنية الكبرى فهي مجموعة من الخطابات التي تشكل القضايا التي يحويها النص، وتأتي الأبنية الصغرى لتكون أعمق خصوصية ؛ إذ تمثل مجموع المتتاليات الجملية على مستوى كل بنية كبرى.

الفصل الثالث الموسوم بآليات الترابط النصي في سورة الأنعام عُرض فيه آليات ووسائل الترابط النصي في سورة الأنعام، أي أنه كان إجابة عن سؤال : كيف ترابطت أجزاء السورة ؟

ولهدف البحث والتقصي تم تقسيم هذه الآليات وفصل بعضها عن بعض ، إذ صنفت إلى آليات تركيبية، وأخرى دلالية، وثالثة معجمية .

اندرج تحت الجانب التركيبي ثلاث آليات هي : الإحالة، العطف، الحذف .

وجاء ضمن الآليات المعجمية التكرار، والتضام .

أما الجانب الدلالي فاحتوى على المناسبة، وموضوع الخطاب، والتغريض ، والزمن .

ومما ينبغي التنبيه عليه قبل الشروع في معالجة مادة هذه الدراسة أن مصطلحي الترابط والتماسك موظفان فيها بمعنى واحد وهما أقرب إلى الترجمة الانجليزية للمصطلح (cohesion)، أما مصطلحي السبك والحبك فهما مظهرين من مظاهر الترابط في النص . نسأل الله أن يخلص هذا العمل لوجهه الكريم، وينفع به عباده .

خليل البطاشي

مسقط 2006 م

الفصل الأول

الإطار النظري والتاريخي لنحو النص

المبحث الأول

مفهوم النص

أولا : مفهوم النص عند القدماء:

يتناول هذا الفصل مفهوم النص عند القدماء، ويتعرض لهذا المفهوم في محورين، المحور الأول عند اللغويين سواء أكانوا أصحاب المعاجم أم الذين قعّدوا، والمحور الثاني يتعرض لمفهومه عند النقاد والبلاغيين القدماء وذلك بتتبع بعض المواضع التي ورد فيها مصطلح النص عندهم.

ينقسم هذا المبحث إلى محورين على النحو الآتي:

1-النص في المعاجم العربية :

جاء في لسان العرب في مادة "نصص" عدة معان للنص :

1) المعنى الأول الظهور والبيان، وذلك في قول ابن منظور: "النَّصُّ: رفْعُك الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: رفَعَه. وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصَّ للحديث من الزُّهْري أي أرْفَعَ له وأسْنَدَ. يقال: نَصَّ الحديث إلى فلان أي رفَعَه، وكذلك نصَصْتُه إليه. ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها: رفَعَتْه.ووُضِعَ على المِنَصَّةِ أي على غاية الفَضِيحة والشهرة والظهور. والمَنَصَّةُ: ما تُظْهَرُ عليه العروسُ لتُرَى" (1)

2) المعنى الثاني الرفع والتحريك وذلك في قوله : " ونصَّ المتاعَ نصّاً: جعلَ بعضه على بعض. ونصَّ الدابةَ يَنُصُّها نصّاً: رَفَعَها في السير،وكذلك الناقة. وفي الحديث: أن النبي، صلّى اللّه عليه وسلّم، حين دَفَع من عرفات سار العَنَقَ(2) فإذا وجد فَجْوَةً نَصَّ أي رفَع ناقته في السير(3)، وقد نصَّصْت ناقتي: رفَعْتها في السير،وسير نصٌّ ونَصِيصٌ. وفي الحديث: أن أم سلمة قالت لعائشة، رضي اللّه عنهما: ما كنتِ قائلةً لو أن رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، عارَضَكِ ببعض الفلوات ناصّةً قَلُوصَك من

---

(1) (ابن منظور) جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، مادة (نصص).

(2) أي سار في جماعة .

(3) أي جعلها تسرع ما أمكنها في سيرها .

منهلٍ إلى آخر؟ أي رافعةً لها في السير؛ قال أبو عبيد: النَّصُّ التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها؛ وأنشد: وتَقْطَعُ الخَرْقَ بسَيْرٍ نَصٍّ"[1].

3) المعنى الثالث الشدة والوصول بالشيء إلى أقصى غايته وذلك في قوله : "...وأصل النَّصّ أقصى الشيء وغايتُه، ثم سمي به ضربٌ من السير سريع. قال ابن الأعرابي: النَّصُّ الإِسْنادُ إلى الرئيس الأكبر، والنَّصُّ التوْقِيفُ، والنصُّ التعيين على شيءٍ ما، ونصُّ الأمرِ شدتُه؛ قال أيوب بن عباثة:

ولا يَسْتَوي، عند نَصِّ الأمور بـاذِلُ معروفِـه والبَخِيـل

... وفي الحديث عن عليّ، رضي الله عنه، قال: إذا بلَغَ النساءُ نَصَّ الحِقاقِ فالعَصَبَةُ أوْلى، يعني إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أوْلى بها من الأمّ، يريد بذلك الإدراكَ والغاية."[2]

4) المعنى الرابع بمعنى الاستقصاء والبحث عمّا جهل وذلك في قوله :" ونَصَّ الرجلَ نصّاً إذا سأله عن شيءٍ حتى يستقصي ما عنده. ونصُّ كلِّ شيءٍ: منتهاه.. قال الأزهري: النصُّ أصلُه منتهى الأشياء ومَبْلَغُ أقْصاها، ومنه قيل: نصَصْتُ الرجلَ إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده،.... وروي عن كعب أنه قال:

يقول الجبار احْذَرُوني فإني لا أُناصُّ عبداً إلا عذَّبْتُه أي لا أستقصي عليه في السؤال والحساب، وهي مفاعلة منه، إلا عذَّبته. ونَصَّصَ الرجلُ غريمَه إذا استقصى عليه.

وفي حديث هرقل: يَنُصُّهم أي يستخرجُ رأيهم ويُظْهِرُه؛ ومنه قول الفقهاء: نَصُّ القرآنِ ونَصُّ السنَّة أي ما دلّ ظاهرُ لفظهما عليه من الأحكام."[3]

---

(1) المرجع نفسه، مادة (نصص) .

(2) المرجع نفسه، مادة (نصص).

(3) المرجع نفسه، مادة (نصص) .

5) المعنى الخامس بمعنى الاستقامة والاستواء. قال صاحب اللسان : " وانْتَصَّ الشيءُ وانتصب إذا استوى واستقام؛ قال الراجز: فبات مُنْتَصّاً وما تَكَرْدَسَا "[1]

وقد أورد الزبيدي في تاج العروس المعاني نفسها التي سقناها قبل من خلال لسان العرب إلا أنه اختص بمعان نرى من الأهمية بمكان للوصول إلى رؤية واضحة حول المفهوم اللغوي للنص أن نسوقها :

1) قوله :"... والنَّصُّ: "التَّوقِيفُ...و" النَّصُّ: "التَّعْيِينُ على شَيْءٍ ما،وكل ذلك مجاز من النص بمعنى الرَّفْعِ والظُّهُور. قلْتُ: ومنه أخِذَ نصُّ القُرْآنِ والحَدِيثِ، وهو اللَّفْظُ الدَّالُّ على مَعْنىً لايَحْتَملُ غيْرَهُ: وقِيلَ: نَصُّ القُرْآنِ والسُّنَّةِ: ما دَلَّ ظَاهِرِ لَفْظِهِمَا عَلَيْه مِنَ الأَحْكَام، وكذا نَصُّ الفُقَهَاءِ الَّذِي هو بَمَعْنَى الدَّلِيلِ، بضَرْبٍ من المَجَازِ، كما يَظْهَرُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ. "[2]

2) وقوله : " وتَنَاصَّ القَوْمُ: ازْدَحَموا، هُوَ مَأْخُوذٌ"من" قَوْلهم: "نَصَّ المَتَاعَ" يَنُصُّهُ نَصّاً، إذا جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ "[3]

هذا، وتحتاج المعاني اللغوية السابقة إلى وقفة تأمل، ولا ينبغي أن ننظر إليها النظرة التقليدية المعهودة، بوصفها المعنى اللغوي، انتظارا لـ(المعنى الاصطلاحي) بل يجب أن نعدها خصائص ومميزات لما نطلق عليه نصا في الخطاب اللغوي المعاصر، وهذه الخصائص ليست مقصورة على القدماء[4]، بل لن نجد فرقا كبيرا بينها وبين ما نظّر له الباحثون في علم النص اليوم[5].

---

(1) المرجع نفسه ، مادة (نصص).

(2) (الزبيدي) محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر ، بيروت ، مادة (نصص).

(3) المرجع نفسه ، مادة (نصص).

(4) لم يكن القدماء عندما ذكروا المعاني السابقة يصنعون تعريفا مقننا للنص ، بل كانوا يعالجون المعنى المعجمي لمادة (نصص) .

(5) في موضع آخر من هذا الفصل نتعرض للتوافق بين المعاني اللغوية السابقة للنص وبين مفهوم النص عند علماء اللغة المحدثين أمثال : جوليا كريستيفا ، رولان بارت ، وروبرت دي

وعلى الرغم من أن كتب القدماء لم تتضمن تعريفا مقننا للنص، إلا أن إشارات كثيرة تؤكد أن فهمهم له لم يكن بعيدا عما هو متداول اليوم، فقد صرح القدماء أن القرآن الكريم نص، والسنة النبوية كذلك ؛ مما يعني اتصافهما بكل ما يندرج تحت هذا المصطلح من خصائص أفادها المعنى اللغوي الذي ساقته المعاجم، وأوردناه فيما سبق، ومن هذه الخصائص :

- الظهور والبيان.
- النظم والترتيب المقصود.
- الاستقصاء والشمول وتحقيقه للهدف الذي وضع من أجله.
- السلامة والاستقامة والاستواء حسب معايير معروفة للاستقامة ومتفق عليها.
- التعيين والدلالة على شيء ما.

يقول الدكتور عمر أبو خرمة في كتابه (نحو النص) : "لو أنعمنا النظر قليلا في المعنى المعجمي الذي قدمه اللسان، لوجدنا أمارات تفيد كثيرا في الوصول إلى مراد العربية بالنص"(1)

وحتى نبرهن على صدق هذا الحكم سنوازن بين ما جاء في المعاجم العربية فيما يتعلق بمفهوم النص من جهة وبين معايير النص وخصائصه كما هي عليه في علم النص الحديث من جهة أخرى.

ويشير استشهادهم على مفهوم النص بقول عمرو بن دينار: "ما رأيت رجلاً أنصَّ للحديث من الزُّهْري أي أَرْفَعَ له وأسْنَدَ". إلى مبدأ مهم من مبادئ النصية وهو الثبات فكلمة (أنصّ) يراد بها أثبت، وأشد محافظة على ما يسمع، فالنص ضمان للخطاب أو الرسالة وصيانة له من النسيان، وذلك بإكسابها صفة الاستمرارية حتى لا تكون مرهونة بالذاكرة.

بوجراند، وفان دايك .

(1) (أبو خرمة) عمر ، نحو النص ، عالم الكتب الحديثة ، إربد، 2004م . ص 25 .

وإذا جئنا إلى قول ابن الأعرابي : "النَّصُّ الإِسْنادُ إلى الرئيس الأكبر" فإنه يتضمن بيانا لخاصية من خصائص النص انتبه إليها المحدثون وهي ارتباط النص ببؤرة أو قضية كبرى (التيمة) ؛ أي أن كل أجزاء النص إنما قامت لخدمة هذه القضية.(1)

ويتحقق تماسك النص من خلال جذب هذه البؤرة الرئيسة في النص للأجزاء الأخرى، حيث يلاحظ الناظر لأول وهلة أن النص مكون من مجموعة من القضايا والموضوعات والقصص، والاستشهادات... وغيرها، التي تبدو منفصلة بعضها عن بعض، ولكن بعد تحديده للقضية الكبرى للنص يمكنه بيسر إدراك العلائق بين هذه الأجزاء.

ويشير قول الزبيدي في تاج العروس : " وتَنَاصَّ القَوْمُ: ازْدَحَموا، هُوَ مَأْخُوذٌ مِن قَوْلِهم: نَصَّ المَتَاعَ يَنُصُّهُ نَصّاً، إذا جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ"(2) إلى خصيصة أخرى من خصائص النص، وهي ما يسمى بالترابط أي التماسك والارتباط، وكما يرى بعض اللغويين اليوم أن النص عبارة عن سلسلة من الجمل المتتالية؛ إذ يعرفه برينكر: "أنه تتابع مترابط من الجمل"(3).

وبعد هذه الموازنة بين المعاني اللغوية للنص عند اللغويين العرب القدماء وخصائص النص كما قننها المحدثون يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أن إطلاق العرب القدماء على هذا الإنتاج اللغوي اسم (النص) لم يكن اعتباطيا، بل نتيجة الوعي بخصائصه اللغوية والمعنوية.(4)

---

(1) يقول فولفجانج هاينه و ديتر فيهفيجر في كتابهما (مدخل إلى علم لغة النص) ص 43 : تصير تيمة النص منطلق الدراسات اللغوية النصية وهدفها ، فقد أقيمت علاقة بين وحدات النص الدلالية الفردية في مستويات مختلفة وبين هذه المعلومة الأساس (تيمة النص أو موضوع النص أو ما يسمى بالدلالة المركزية للنص) .

(2) الزبيدي ، مادة (نصص) .

(3) (بحيري) سعيد ، علم لغة النص ، دار المختار ، القاهرة ، 2004، ص96.

(4) على الرغم من ذلك لا يمكن أن نقول إنهم كانوا يدركون المفهوم اللساني الحديث للنص .

2- النص في كتابات النحاة وعلماء البلاغة :

في هذا الموضع من البحث لن نتعرض إلى تعريفات موجهة ومقصودة خصيصا للنص كما كان ذلك في المعاجم، بل سيقتصر بحثنا على استقراء توظيف النحاة والبلاغيين للفظة (نصّ) في كتاباتهم، ولم نلجأ لذلك إلا لعدم وجود تعريف يتعرض للنص في كتاباتهم على الرغم من رواج هذه اللفظة فيها.

فقد ورد في كتاب (الخصائص) لابن جني لفظة (نصّ) بصيغ متباينة في أكثر من موضع، منها قوله متحدثا عن رأي المتكلمين في معنى الكلام :

"وقد علمت بذلك تعسف المتكلمين في هذا الموضع وضيق القول فيه عليهم، حتى لم يكادوا يفصلون بينهما، والعجب ذهابهم عن نص سيبويه فيه، وفصله بين الكلام والقول ولكل قوم سنّة وإمامها"(1)

والمتأمل في السياق الذي وردت فيه كلمة (نصّ) في الموضع السابق من كتاب ابن جني يصل إلى أنه استعملها بمعنى الدالّ الذي يحمل مدلولا (رسالة) متكاملا ويقدم للمتلقي حكما جديدا لم يكن يعرفه من قبل، ويوحي هذا الاستعمال كذلك بثبات هذه الرسالة ووضوح مضمونها، وأنها لا تحتمل تأويلا.

ووردت كلمة (نص) كثيرا في كتابات اللغويين بهذا المعنى يمكن أن نشير إليها ببعض المواضع :

- قول ابن هشام في مغني اللبيب :" أما الأول فلأن عطف البيان في الجوامد بمنزلة النعت في المشتقات فكما أن الضمير لا ينعت كذلك لا يعطف عليه عطف بيان، ووهم الزمخشري فأجاز ذلك ذهولا عن هذه النكتة وممن نص عليها من المتأخرين أبو محمد ابن السيد وابن مالك والقياس معهما في ذلك"(2)

---

(1) (ابن جني) أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ج1،ص193.

(2) (الأنصاري) جمال الدين ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، المكتبة العصرية ، بيروت، 2005م ، ص 41.

بعد التتبع للكتابات الأدبية العربية القديمة لا نجد بونا شاسعا بينهم وبين اللغويين في التعامل مع هذا المصطلح، فهم لم ينصوا على تعريف محدد له، بل تداولوه في كتاباتهم بالدلالة نفسها التي وردت عند اللغويين (أي البيان والظهور، والدلالة على الشيء الثابت) جاء في (أدب الكاتب) لابن قتيبة : " قولهم نص الحديث إلى فلان أي رفعه إليه وهو من النص في السير وهو أرفعه "(1)

وجاء في (صبح الأعشى) في حديثه عن التفاؤل بأيام الأسبوع : "واعلم أنه لا أصل لذلك من الشريعة ولم يرد فيه نصّ من كتاب ولا سنة"(2)

والمتأمل في المعاني السابقة للنص يلاحظ أنها ليست بعيدة عن المفهوم الاصطلاحي له فهي – وإن لم تصرح بذلك – تتضمن سمات النص وخصائصه.

إن هذه المفاهيم التي أوردناها في أثناء الحديث عن معالجة القدماء لدلالات النص تشكل مجموعة من المعايير قننها المحدثون في نظرية متكاملة المعالم، تعرف بعلم النص، تركز على الجوانب الآتية :

- كون النص منطوقا أو مكتوبا أو كليهما.
- مراعاة الجانب الدلالي.
- مراعاة التحديد الحجمي.
- مراعاة الجانب التداولي.
- مراعاة جانب السياق.
- مراعاة جانب التماسك.
- مراعاة الجانب الوظيفي للنص.
- مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي.

---

(1) (ابن قتيبة) عبد الله بن مسلم ، أدب الكاتب . المكتبة العصرية ، بيروت ، 2004م، ص54.

(2) أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م ، ج2، ص392.

- الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية، مثل الكفاءة والأداء... وغيرها.
- إبراز كونه مقيدا.[1]

وتعد الخصائص السابقة سمات للنص المتكامل، وفي حالة فقدانه لأحدها يفقد معيارا من معايير النصية التي تؤهله لأن يكون موضع دراسة.

(1) انظر : (الفقي) صبحي، علم اللغة النصي ج1 ، دار قباء ، القاهرة ، 2000م ، ص 29 .

ثانيا : مفهوم النص عند المحدثين :

في هذا الجزء نستعرض التعريفات المختلفة للنص سواء أكانت عند علماء اللغة العرب المحدثين، أم عند علماء اللغة الغرب بعد أن صارت الحاجة ملحة لوضع تعريف مقنن للنص بعد تبلور علم اللغة النصي في السبعينيات من القرن العشرين تقريبا.

في الجزء الأول من الموسوعة اللغوية[1]، يعرض (كولنج) مجموعة من الأسئلة يراها مهمة قبل التطرق لمفهوم النص منها : ما الذي يجب أن يسمى نصا ؟ (أي ما المعايير الواجب توافرها في الأداء اللغوي حتى يعد نصا أو ما هو النص ؟ أهو الرمز سواء الكتابي أم الصوتي أم المعنى الذي يحمله أم كلاهما معا ؟)، هل هو موضوع جزء من نظام رمزي أو موضوع ينضوي تحت نطاق تطبيق مثل ذلك النظام؟، وهنا يناقش قضية اللغة والكلام، أي هل النص مجموعة من القواعد المختزنة في ذهن الجماعة اللغوية أو هو الممارسة الفعلية في الكلام المرتبط بسياقات اجتماعية ؟

وبعد طرح هذه الأسئلة التي يطلق عليها (كولنج) الأفكار التمهيدية يعمد إلى تعريف النص في عدة نقاط على النحو الآتي :

(أ) النص هو موضوع رمزي – علائقي تغلب عليه السمة الكلامية ذو شكل مكتوب يدويا أو مطبوع في شكل أو هيئة مادية.[2]

(ب) العناصر المعجمية في النص الرمزي – العلائقي الذي تسيطر عليه السمة الكلامية هي العناصر المسيطرة التي تحمل المعنى.

(ج) النصوص هي من عناصر الاستعمال اللغوي وليست ضمن نطاق النظام اللغوي.[3]

---

(1) ن.ي كولنج ، الموسوعة اللغوية ، ترجمة محي الدين حميدي وآخرين ، المجلد الأول ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1421هـ، ج1، ص 207.

(2) يقصد بالرمز هنا الدال وهو إما أن يكون مكتوبا أو منطوقا ، ويقصد بقوله (علائقي) أي يتشكل عن طريق العلاقة بين الدال والمدلول.

(3) النصوص حسب مفهومه لها تنتمي إلى الممارسة اللغوية (الكلام) ، وليس إلى النظام (اللغة)،

(د) هناك تمييز بين النصوص كاملة الاستقلالية والنصوص المستقلة جزئيا.[1]

(هـ)تحقق النصوص الرمزية – العلائقية ذات الصبغة الكلامية معايير النصية إذا تم احترام التوقعات الآتية : يعبر الموضوع في حالة تخاطبية معطاة أو مفترضة، عن شكل متصل (وتام) لحالة من الحالات، ويحقق وظيفة تخاطبية معطاة أو مفترضة، وله تركيب كلامي متصل وكامل[2] [3]

وهناك أيضا تعريف (جوليا كريستيفا) للنص، إذ يتميز تعريفها أنها تعد النص ممارسة سيميولوجية معقدة (أي مجموعة من العلامات)، وأنه ظاهرة عبر لغوية (أي تتعدى اللغة إلى رموز وعلامات أخرى) وهو لا ينحصر في اللغة[4]. فهي تراه أنه "جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها"[5]

ويركز رولان بارت في تعريفه للنص على عملية القراءة (جانب المتلقي) فيرى أن النص عبارة عن نموذج يعطي للكلام طاقته الإنتاجية بعد أن كان نظاما

فحالها ليس كالكلمات ، والمورفيمات التي تحددها قواعد النظام اللغوي ولا تستقل عنه .

(1) يثير هذا البند في تعريف (كولنج) للنص سؤالا حول القرآن الكريم من حيث كونه نصا ، هو هل القرآن بأكمله نص مشتمل على جميع سوره ، أم كل سورة من سوره تمثل نصا متكاملا ؟

(2) قوله (حالة تخاطبية) يشير إلى ما يسمى بالموقفية من معايير النصية ، أما قوله (ويحقق وظيفة تخاطبية) فيشير إلى معيار آخر وهو الإعلامية ، وكذلك القصدية ، أما قوله (تركيب كلامي متصل) فيشير إلى معيار التضام أو التماسك في النص .

(3) ن.ي كولنج ، الموسوعة اللغوية ، ترجمة محي الدين حميدي وآخرين ، المجلد الأول ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1421هـ ، ص207

(4) وجدت بعض الإشارات من هذا القبيل في التراث العربي ، حيث جاء في البيان والتبيين للجاحظ : (... وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ ومن غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ، أولها : اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال ...)

(5) (فضل) صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، العدد164 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1992 م ، ص 229 .

مختزنا لا قيمة له، وهو يرى أن عملية الاتصال لا تقتصر على أطرافها الكلاسيكيين المعروفين: المرسل والرسالة والمستقبل، لأن النص عملية إنتاج مستمرة، فهو فضاء يمكّن صاحبه وقارئه من عملية التواصل المستمرة.[1]

وقدم بارت نظريته من مفهوم تفكيكي، وأطلق عليها "من العمل إلى النص"، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية :

- يطرح بارت النص بديلا للعمل الأدبي، فالنص عبارة عن نموذج أو منهج وليس إنتاجا محددا.
- يقول فيه بتعدد القراءات، وأنه لا يمكن أن يكون مغلقا أو مطلقا أو نهائيا، فهو شيء متجدد باستمرار.
- تكتمل خريطة التعدد الدلالي من خلال عالم النص الداخلي الذي تتقاطع فيه الثقافات واللغات المختلفة، والنصوص الأخرى ؛ فالنص نتاج لعملية التقاطع والتداخل.
- ليس للمؤلف سلطة على النص، فدوره مقصور على الإنتاج، مما يلغي مفهوم الانتماء.
- لا يقتصر دور القارئ على الاستهلاك، بل يتعداه إلى عملية المشاركة في إنتاج النص، فممارسة القراءة إسهام في التأليف[2].

أما هاليدي،ورقية حسن فرؤيتهما لمفهوم النص مبنية على فكرة التماسك أو الارتباط : "تشكل كل متتالية من الجمل نصا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر بين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة".[3]

---

(1) انظر : فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 230 .

(2) انظر : المرجع نفسه ص 231.

(3) (خطابي) محمد ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1991، ص 13.

ويعمد براون ويول إلى تعريف النص تعريفا مجتزأ ثم يراجعانه ليسيرا مع تيار من يقول بالتماسك النصي، فيقولان : "لقد اعتمدنا إلى الآن في كتابنا على تعريف أقرب ما يكون إلى البساطة لما يشكل نصا. لقد عرّفنا النص على أنه التسجيل الكلامي لحدث تواصلي. ولكن عددا من الكتاب سعوا إلى الإتيان بتفسير أكثر ضبطا وأكثر تقنيناء و يهتم هؤلاء الكتاب بمبادئ الترابط (الوصل والفصل) التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض." (1)

(1) ج .ب . براون ، و ج . يول ، تحليل الخطاب ، جامعة الملك سعود ،الرياض ، 1997، ص227.

المبحث الثاني

نحو النص، مفهومه وتاريخه

أولاً: مفهوم نحو النص:

نحو النص مصطلح لساني حديث عرف في الدراسات اللسانية الأوروبية الحديثة، وتباينت ترجماته إلى العربية فمنهم من ترجمه إلى نحو النص ، وترجمه آخرون إلى نحو النصوص، وآخرون إلى علم النص، وآخرون إلى لسانيات النص. وهو في الإنجليزية (Text Grammar) وفي الفرنسية (Grammair de Text)

وكما تباينت ترجمات المصطلح، كذلك تباينت تعريفاته. يعرفه مصطفى النحاس بأنه: "النحو الذي يتخذ من النص وحدته اللغوية الكبرى للتحليل بعكس نحو الجملة، الذي يعد الجملة وحدته الكبرى للتحليل، أو هو دراسة الوظيفة الدلالية لبعض العناصر النحوية وربطها بشبكة الدلالة في النص"(1)

ويعرفه صبحي الفقي بأنه: "هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة، أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل) ، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"(2)

ونلاحظ أن تعريفات نحو النص تركز على التفريق بينه وبين نحو الجملة من حيث المادة التي يعنى بدراستها كل نوع،و إمكاناته، إضافة إلى تقنياته في التحليل فعلى حين يهتم نحو الجملة بالجوانب الخاصة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجملية، وشروط الفصل والوصل ومعاني الأساليب ، والدلالات الخاصة يهتم نحو النص بقضايا أعمق من ذلك، فهو يبحث في المشكلات النصية الاتصالية والمشكلات الدلالية المحورية إضافة إلى القضايا التركيبية.(3)

---

(1) (النحاس) مصطفى، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ذات السلاسل، الكويت، 2001 م ، ص4 .

(2) (الفقي) صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،، دار قباء، القاهرة ، 2000م ، ج1 ، ص36 .

(3) انظر: (بحيري) سعيد حسن، علم لغة النص، مؤسسة المختار، القاهرة، 2003 م ، ص119و120.

والواضح أن نحو النص -كما يراه الكثير من الباحثين- قد حل الكثير من القضايا الشائكة المتعلقة بتحليل القول التي تتعلق بما وراء الجملة من علاقات، ووسائل ربط، يقول الدكتور صلاح فضل: "الوقوف على الكلمات والجمل في تحليل النصوص لن يسهم في الكشف عن الخواص النوعية البنيوية المميزة للنص"[1]

ويمثل في كتابه (بلاغة الخطاب) لهذه العلاقة بين الجملة والنص بمن يعمد إلى دراسة مدينة من المدن فهو لا يكتفي بدراسة أجزاء ومكونات المدينة فقط، ولكن يدرس تفاعل تلك الأجزاء بعضها مع بعض من مثل أثر الثقافة التي يحملها الأشخاص على النواحي العمرانية والصناعية في المدينة.[2]

ويراعي نحو النص في وصفه وتحليلاته عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل (في نحو الجملة) ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها.[3]

وهناك مجموعة من الأسباب دعت اللغويين إلى توسيع مفهوم النحو ليشمل النص بعد أن كان مقصوراً على تحليل الجملة ،منها:

1- أهمية البعد عن الشواهد المتكلفة في أثناء المعالجة اللغوية، والحاجة إلى شواهد عفوية مقنعة بالظاهرة اللغوية موضوع الدراسة،وتلك الشواهد لا تتوفر في الجملة الواحدة بل في نص متكامل أنتج في موقف ما.[4]

2- عدم اكتفاء الجملة المفردة بذاتها وحاجتها إلى ما حولها من الجمل، أي أن بترها عن سياقها لا يعطيها دلالة صادقة، ومن ثم يفقد التحليل صفة الموضوعية،

---

(1) (فضل) صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت ، ص253.

(2) انظر: السابق ص254.

(3) (بحيري) سعيد ، علم لغة النص، ص119.

(4) وهذا ما دعا الكثير من الأنظمة التربوية إلى إعادة النظر في أساليب تدريس اللغة وعرضها في المناهج الدراسية، وذلك باعتماد أساليب النصوص المتكاملة ، وتجنب الجمل والشواهد المبتورة عن سياقاتها.

لذلك تباينت القراءات الحديثة- القائمة على أساس أن النصّ كل متكامل- للنصوص القديمة (مثل المعلقات) عن القراءات القديمة للنصوص نفسها، التي نهجت في تحليلها نهج الاهتمام بأجزاء النص، وفصلها بعضها عن بعض.

3- في الاقتصار على دراسة الجملة تجاهل لنواحٍ دلالية وسياقية كثيرة، مما يؤدي إلى التركيز على الجوانب التركيبية البحتة، ويحول اللغة إلى شكل فارغ من أي مضمون، ما عدا البنية السطحية الظاهرة لها، وإذا صلح هذا في دراسة الخطاب اليومي فلن يصلح في دراسة اللغة الأدبية[1].

4- انفتاح الدراسات اللغوية على مختلف العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع، وعلم النفس والإعلام مما أدى إلى الحاجة لدراسة أثر هذه الجوانب في العملية الاتصالية.

5- عندما نعتمد التحليل النصي نجد أن هناك إمكانية عالية لتأويل الأوضاع المختلفة للجملة بناء على السياق الواردة فيه، على العكس من حالة فصل الجمل عن سياقاتها.

6- الحكم على تركيب ما بأنه جملة من عدمه يكون حسب المقابلات والمقارنات بين الأنماط المعهودة المتفق عليها، أما النص فيكون الحكم عليه من خلال تحقيقه لوظيفة الاتصال، وإن خالف بعض القواعد النحوية وشذّ عنها أحيانا، كما يحدث في الشعر، إذ تبرز فيه ظاهرة الانحراف عمّا تم الاتفاق عليه من الناحية التقعيدية لكنه على الرغم من ذلك يحقق الوظيفة الاتصالية بكفاءة عالية.

أي أن للنص -كما يرى بوجراند- وظيفة براجماتية وهدفاً يراد تحقيقه منه بعكس الجملة.

7- العوامل الاجتماعية والنفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل.[2]

---

(1) انظر: (بحيري) سعيد، علم لغة النص، ص119.

(2) (بوجراند) روبرت. دي ، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1998م،ص88.

وعلى الرغم من النقد الموجّه لنحو الجملة فلا يمكن التخلي عنه في أثناء التحليل اللغوي، بل إن التحليل النصي يعد نحو الجملة أساساً له ومنطلقا، وليس التجاوز لنحو الجملة إشارة على عدم أهميته، ولكن الأمر لا يعدو أن علماء اللغة المحدثين قد وضعوا تصورات جديدة للتحليل،وأهدافا مختلفة عمّا سبق، واختبروا ما لديهم من إمكانات وأدوات، وعندما أدركوا قصورها عن بلوغ الأهداف التي وضعوها لجأوا إلى أدوات أخرى وأشكال جديدة للتحليل والوصف اللغوي، وصرّحوا في أكثر من موضع أن التراث النحوي السابق بكل ما يضمّه من تصورات ومفاهيم وقواعد وأشكال ووصف وتحليل وغير ذلك هو الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصية بكل ما تتسم به من تشعيب أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها.(1)

إذن لا يمكن بحال من الأحوال فصل نحو النص عن نحو الجملة لأن الثاني جزء لا يتشكل الكل إلا في ظله، يقول الدكتور النحاس في كتابه (نحو النص): "وتأتي أهمية نحو النص في مجال التحليل اللساني من حيث احتواؤه على نظم النحو التقليدي وأدواته، فكما أن نحو الجملة عالج المعنى في الأمثلة والنماذج اللغوية المتقطعة من نصوصها من خلال أدواته ليحقق الربط الدلالي في الإسناد(المسند والمسند إليه)، فإن نحو النص يتجاوز ذلك بكثير، إذ إنه يستخدم أدوات النحو ذاتها ، ويوظفها في تحقيق الترابط بين الجمل المتتابعة في النص أو الخطاب."(2)

ويرى فان ديك أن نحو الجملة يشكّل جزءاً مهما من نحو النص.

وقد حاول النحو التحويلي أن يعالج اللغة، لكنه وقع في المأزق نفسه الذي وقع فيه النحو التقليدي ، فوجد نفسه يعالج اللغة على أنها نظام افتراضي وليس نظاماً فاعلاً أو مستخدماً، فهو لم ير فيها أكثر من أنماط معقدة ثابتة على الرغم من الإمكانية التوليدية العالية لهذه الأنماط، ومما أخذ عليه في معالجته الأمور الآتية :-

---

(1) انظر: بحيري، علم لغة النص، ص118.

(2) (النحاس) مصطفى، نحو النص في الدراسات اللسانية، ص9.

1- وجدت هذه النصوص التي يولّدها هـذا النحـو لا تكشف عن نموذج مقبول للنشاط الإنساني؛ لأنـها غير مرتبطة بمواقـف إنسانية فعلية،وإنما هي نماذج مفترضة.

2-لا تصلح هذه النماذج لمجموعة كبيرة من النصوص.

3-لا تراعي هذه المعالجة القضايا الآتية: النصوص الشاذة، تحديد الأسلوب الأفضل أو الأسوأ والإعلامية، التفاعل الاتصالي؛ وذلك لأن مثل هذه القضايا يتم حلـها بوساطة السياق والإحالات الخارجية للنص، ولا يمكـن حلـها ببتر النص عن سياقه.[1]

(1) انظر:(دي بوجراند) روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص127

ثانياً: التاريخ والنشأة:

1- نحو النص في الدراسات العربية القديمة:

لقد اكتسبت المعالجات النحوية القديمة- عند العرب - كثيرا من سمات التحليل النصي المعروفة اليوم فمنها على سبيل المثال لا الحصر: اهتمام القدماء بالنواحي الاتصالية في معالجة النصوص اللغوية؛ إذ صنَّف الكتاب الأول في تاريخ النحو لهذا الغرض، وهو كتاب سيبويه، انظر إلى قوله في باب الاستقامة من الكلام والإحالة:

"فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح،وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك:أتيتك أمس وسآتيك غداً.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت وكي زيداً يأتيك وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"(1)

نلاحظ من هذا النص المأخوذ من (الكتاب) أنه يحوي بعضا من خصائص التحليل النصي منها:

1- عدم الاقتصار على النواحي التركيبية والإعراب في معالجة اللغة،بل يتعداها إلى النواحي الدلالية.

2- الاهتمام بالجانب الاتصالي كما يفعل علماء النصية اليوم، وذلك من خلال اهتمامه بمناسبة اللفظ للسياق الخارجي واتفاقه مع الواقع.

3- تركيزه على الرسالة التي يحملها النص من حيث مطابقتها للواقع، وهو ما يسمى اليوم بقصدية المنتج، ومدى قبول المتلقي لها، وهذا ما يطلق عليه في التحليل النصي بعامل المقبولية.

---

(1) (سيبويه) عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة ، الطبعة الثانية، 1977م ، ج1، ص25.

4- الإشارة إلى أهمية اتساق التركيب اللغوي، وهو ما يسمى بالترابط أو التماسك ويظهر ذلك في قوله: "وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه" أي في موضع لا يتحقق فيه الترابط.

كان ذلك نموذجاً لحضور بعض خصائص التحليل النصي ومبادئه في كتابات القدماء، إذ كانت تساق في تصانيفهم اللغوية عرضاً في أثناء حديثهم عن مختلف القضايا اللغوية.

أما البلاغيون فلم يكونوا بمنأى عن الظواهر النصية، فقد كثر حديثهم عن تلك الظواهر سواء أكان على مستوى تنظيراتهم وقواعدهم البلاغية، أم على مستوى تطبيقاتهم على النصوص بمختلف أشكالها.

ونمثل هنا بهذه المقولة لعبد القاهر الجرجاني:

" واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها على بعض. وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس. وإذا كان كذلك فيمكن أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله.

وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة أو حالاً أو بدلاً منه..."[1]

يؤكد عبد القاهر بهذه الكلمات مجموعة من المبادئ يعتمدها في قراءته للنصوص شعرية كانت أم نثرية، وهي لا تنفصل كثيراً عما يمارسه علماء النصية اليوم منها:

1. أهمية التماسك في النص على المستوى الأفقي أو ما يعرف اليوم بالاتساق.
2. لا يمكن إغفال جزء من أجزاء النص عند معالجة غيره بل هو أجزاء لا تُعرَف إلا بالكل الذي يجمعها (ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض).

---

(1) (الجرجاني) عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمد رضوان الداية وآخرين ، مكتبة سعد الدين، دمشق، 1987م، ص98.

3. اتسام النص بالتماسك في أجزائه جميعها ؛ إذ لا فرق هنا بين عمدة و فضلة فالكل يسهم في صياغة الرسالة.

وقبل أن ننتقل إلى إسهامات المفسرين وكتاباتهم التي حملت إشارات واضحة في مبادئ النصية نقف عند ممارسة تطبيقية صريحة للتحليل النصي من قبل عالم من علماء البلاغة العربية وهو حازم القرطاجني، وذلك في تحليله وقراءته لقصيدة المتنبي، فهو يطبق عليها قواعد مماثلة للتي حددها علماء النص اليوم، ويحلل التماسك النصي بطريقة ليست بعيدة عن التحليل الحديث لعلماء لغة النص، إذ يرى أن الشعراء يقسمون قصائدهم إلى فصول – حسب قوله – كل فصل يحقق غرضا ما لكن الشاعر الحاذق يعمل على أن يوجد بين هذه الفصول حلقات تصل بعضها ببعض، وصوّر هذه الحلقات بقوله : " يكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحوا من اقتران الغرّة بالتحجيل في الفرس... وإذا اتجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصول إلى بعض على النحو الذي يوجد التابع فيه مؤكدا لمعنى المتبوع ومنتسبا إليه، كان ذلك أشد تأثيرا في النفوس... "[1] و يقول ممثلا على كلامه بتحليله لقصيدة المتنبي :

" وذلك نحو قوله – يريد أبا الطيب – :

أغالب فيك الشوقَ والشوقُ أغلب وأعجب من ذا الهجر، والوصل أعجب

فضمن هذا البيت من الفصل تعجبا من الهجر الذي لا يعاقبه وصل، ثم أكد التعجب في البيت الثاني...ثم افتتح الفصل الثاني بالتعجّب من وشك بينه وسرعة سيره فقال :

ولله سيري ما أقل تئية عشيّة شرقيّ الحدالى وغرّب

فكان هذا الاستفتاح مناسبا للبيتين المتقدمين من جهة التعجب وذكر الرحيل... "[2]

---

(1) (القرطاجني) حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط3 ، 1986،ص 297

(2) المرجع نفسه ، ص 298.

ويستمر الكاتب على هذا المنوال حتى ينتهي من تحليل القصيدة كاملة.

أمّا فيما يتعلق بحضور ظاهرة نحو النص في كتابات المفسرين وكتب علوم القرآن الكريم فهي بارزة، بل قد خصصت كتب بمجملها في هذا الشأن مثل كتاب السيوطي (تناسق الدرر في تناسب السور).وأسهب الزركشي في الحديث عن المناسبة النصية والارتباط والتماسك في كتابه البرهان، "وإذا كان البلاغيون قد أسهموا إسهاماً واضحاً في الكشف عن كثير من الأدوات والوسائل التي يتحقق بها اتساق النص وانسجامه فإن المفسرين قد كشفوا عما في كتاب الله عز وجل من اتساق وانسجام"(1)

وسنمثل هنا لهذا الكلام النظري بنموذجين تطبيقيين، الأول من كلام المفسرين والآخر من كتب علوم القرآن، ففي الأول اخترنا من كلام الزمخشري في تفسير قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(2). إذ يقول: "ومما اختص به هذا الموضع - موضع الآية - أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته - نخصّ بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به"(3)

يبين هذا النص المنهج الذي اعتمده الزمخشري في تفسيره وهو الربط بين آي القرآن بعضها ببعض وعدم قطع الأواصر التي بينها فهو هنا يركز على الارتباط الدلالي والمناسبة بين الآيات الأولى في سورة الفاتحة من قوله تعالى:(الحمد لله...) وحتى قوله تعالى: (...يوم الدين) يربط بينها وبين قول المولى عز وجل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (4) إذ يرى في الأولى تمهيداً للثانية.

---

(1) انظر: (الفقي) ، علم اللغة النصي ، ج1، ص128.

(2) سورة الفاتحة (5).

(3) (الزمخشري) محمود بن عمر، الكشاف، دار الفكر، ج1 ، 1977م، ص69

(4) الفاتحة (5).

ويواصل مبيناً أوجه الترابط بين أجزاء الآية الخامسة، فيقول: "فإن قلت: لم قُرنت الاستعانة بالعبادة؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته. فإن قلت لم قدّمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها"[1].

ولم يكن الأمر مقصوراً على الزمخشري في الوعي بأهمية النظر إلى النص القرآني نظرة شاملة، بل إن معظم المفسرين أدركوا ذلك الأمر فأكدوا التماسك في مستوياته المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)، ومن هنا ظهر التماسك عندهم على أبعاد كثيرة، مثل التماسك بين الحرف والحرف، والكلمة والكلمة، والكلمة والجملة والكلمة والفقرة، والجملة والجملة والسورة والسورة، وأول السورة وآخرها[2].

أما أبرز من عني بالظواهر النصية ممن كتبوا في علوم القرآن الكريم فجلال الدين السيوطي ، والزركشي، وسنعرض لبعض المواضع من كتاب البرهان في علوم القرآن لنرصد مدى الوعي الذي كان يحمله حول تلك الظواهر.

نبدأ بتفصيل المؤلف وشرحه لنظريته في علم المناسبة وهي ما يسمى اليوم بالإحالتين الخارجية والداخلية، إذ يقول: "ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها -والله أعلم- إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين أو التلازم الخارجي..."[3]

---

(1) (الزمخشري)، الكشاف ، ص66.

(2) انظر: (الفقي) ، علم اللغة النصي،ج1 ، ص128.

(3) (الزركشي) محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1980م، ج1، ص35.

ويمكننا هنا استخلاص ثلاث ملحوظات من النص السابق نثبت بها ما قلناه حول الزركشي سابقاً، وهي:

1. عدم تحقق الجانب الإجرائي للغة إلا بوجود ارتباط بين القول والظروف المحيطة به سواء الداخلية أو الخارجية.
2. الترابط الدلالي أو المفهومي كما يسميه (بو جراند) ، أحد عوامل المناسبة أو الإحالة.
3. للترابط الدلالي علاقات[1] سبق الزركشي بها علماء النص المحدثين. (مثل الترادف والتضاد والسببية...).

ويحمل الزركشي في موضع آخر على الذين لا يعتنون بالمناسبة بين الآيات إذ يقول: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي...."[2]

ويتناول المؤلف في كتابه بعد ذلك الكثير من النماذج القرآنية التي يؤكد من خلالها آراءه في أهمية التماسك والتناسب بين أجزاء القرآن، وأنه لا يمكن بحال من الأحوال الوصول إلى فهم صحيح لآي القرآن إلا في ظل هذا المفهوم. ومن النماذج التي أوردها التناسب بين قوله تعالى في افتتاح سورة البقرة: "إن قوله (ألم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، وذلك الكتاب جملة ثانية، ولا ريب فيه ثالثة، وهدى للمتقين رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة،وموجب حسن النظم، إذ جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق ؛ وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض..."[3]

ولم يكن النقاد القدماء بمنأى عن تلك المبادئ والنظرات في نحو النص؛ إذ كانت حاضرة في ممارساتهم النقدية، فهم على كل حال يعتمدون علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، أدوات تعينهم في اختبار نتاجات الأدباء والشعراء الذين يضعونهم في ميزان النقد.

---

(1) انظر : دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص180 وما بعدها. والفقي ص118.

(2) الزركشي، البرهان، ص 36.

(3) الزمخشري ، الكشاف ، ج1، ص21.

ويمكن أن نستشهد في هذا المقام بحديث الجاحظ عن تنافر الألفاظ في الشعر؛ إذ يقول: ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبرُ

"ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج"[1].

يناقش الجاحظ هنا قضية مهمة في الاتساق النصي وهي الانسجام الصوتي؛ إذ يرى في البيت الذي استشهد به أصواتاً متنافرة، مما يؤدي إلى صعوبة النطق به جملة واحدة.

ثم يواصل الجاحظ حديثه في هذا الإطار فيسوق بيتاً لخلف الأحمر حول القضية ذاتها فيقول: وأنشدني أبو العاصي قال: أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى:

وبعض قريض القوم أولاد علة ... يكدّ لسان الناطق المتحفظ

وقال أبو العاصي: وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي:

وشعر كبعر الكبش[2] فرق بينه ... لسان دعيّ في القريض دخيل

ويعلق الجاحظ على الأبيات التي ساقها مبينا رأيه في التماسك والترابط الواجب تحققه في الشعر فيقول:

أما قول خلف "وبعض قريض القوم أولاد علّة" فإنه يقول: إذا كان الشعر مستكرهاً، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلاّت، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً

---

(1) (الجاحظ) عمر بن بحر، البيان والتبيين ج1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1993م، ص74.
(2) وصف الشعر أنه كبعر الكبش لأن هذا الأخير يقع متفرقاً لا متجمعاً.

موافقاً كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة، وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم لذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان[1].

وعلى الرغم من بساطة التشبيه في بيت خلف الأحمر الذي استشهد به الجاحظ في هذا الموضع إلا أنه يعبّر عن رؤية واعية لأهمية التماسك النصي في الأبيات الشعرية، (فأولاد العلاّت) هم أخوة من أمهات شتّى وأب واحد، فهم على الرغم من كون الأب جامعا لهم إلا أنهم لا يأتلفون ولا يتفقون؛ فكذلك الألفاظ حال كونها في بيت واحد والتنافر بينها ظاهر بيِّن.

2- نحو النص في الدراسات الغربية الحديثة:

لم يكن نحو النص بدعاً في الدراسات اللغوية الحديثة- كما جاء في المبحث السابق- بل مهّدت له الدراسات اللغوية السابقة حتّى أن بعض الباحثين يعود به إلى العهد الأرسطي، ويربط بينه وبين مقولات أرسطو في البلاغة والنصوص كالشعر والخطابة. ويرى بعض الباحثين أيضاً أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين البلاغة وعلم النص، لأن الأولى تضع في الاعتبار مستويات القراء وأحوالهم النفسية والاجتماعية، وتعدد القراءة، وأشكال التواصل، ودرجات الفهم والاستيعاب وغيرها من المبادئ التي يقوم عليها التحليل النصي[2].

وعلى الرغم من أن كثيراً من الدارسين يرفض عقد مقابلة بين نحو النص وعلم البلاغة أو الأسلوبية أو علم اللغة العام لا يمكنهم الانفلات من حقيقة أن أسس نحو النص شيّدت من نتاجات هذه العلوم، وأنها لم تأت من فراغ.[3]

ومن هنا فمن غير المجدي في هذا المقام استعراض الإشارات والإرهاصات النصية في علمي البلاغة والأسلوبية وعلم اللغة العام، لأنه يعدّ حشواً لا طائل منه،

(1) الجاحظ ، البيان والتبيين، ص76.

(2) انظر: بحيري ، علم لغة النص، ص23.

(3) انظر : المرجع نفسه ، ص 27.

ولكن يكتفى في هذا المبحث باستعراض تأريخي لنشأة نحو النص وتطوره في الدراسات الغربية؛ لأن المصطلح لم يتأصل في الدراسات العربية القديمة ولم تصل تلك الدراسات إلى حدّ النضج الذي وصلت إليه المدارس الغربية الحديثة بإفراد أطروحات في هذا العلم وتطبيق مناهجه وتصوراته على النصوص.

ولن يغرق البحث كثيراً في الجانب التأريخي فالمقام يحتم علينا كذلك إضاءة بعض الحقب والأعمال المعروضة لأنها تمثل محطة نوعية في تطوّر هذا العلم ، ولهذا سنقدم نبذة موجزة عن بعض الأعمال الرائدة في نحو النص.

بداية وقبل العرض التاريخي لنشأة نحو النص وتطوره،يجدر بنا التذكير بأن الباحثين في هذا العلم عجزوا عن نسبة هذا العلم إلى عالم معين، أو حصره ببلد أو بمدرسة لغويّة محددة؛ وذلك لتعدّد مناهجه واتخاذها مسارات متباينة في بلدان مختلفة.[1]

وتذكر الدراسات عملاً مبكراً في هذا المجال لـ(فايل) سنة(1887م)، إذ علق تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، ويشار كذلك إلى دراسة الباحثة الأمريكية ناي (I. Nye) في السنة ذاتها والتي بحثت فيها علامات عدم الاكتمال والتكرار بناء على أسس نصية. ويرى آخرون أن البدايات الفعلية لنحو النص كانت على يد زيلج هاريس (Zellig Harris) في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك في دراسة له بعنوان "تحليل الخطاب"، ثم دراسة دل هيمز (Dell Hymes) 1960م الذي ركز على أهمية السياق الاجتماعي للنص.[2]*

ظلّت الدراسة النصية حتى سنة 1976م مجرد نظرات في كتب و أطروحات

---

(1) انظر: المرجع نفسه ، ص17.

*قصرت محاولات ونداءات علماء اللغة العرب في هذا المجال في الفترة نفسها عن الإقناع بأهمية تطوير النحو، وعلى الرغم من ذلك ظهر الكثير من الدراسات التطبيقية التي مارست التحليل النصي في هذه الآونة ويذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب الأساس في التفسير لسعيد حوّى الذي صرّح صاحبه في مقدمته بالمنهج النصي الذي اعتمده في تحليل النص القرآني.

(2) انظر: بحيري، علم لغة النص، ص29 ، والفقي، علم اللغة النصي ص23.

علماء اللغة والأسلوبيين عندما ظهر كتاب الاتساق في اللغة الإنجليزية(Cohesion in English) لهاليدي ورقية حسن، وهو كتاب يتألف من مدخل حددت فيه مجموعة من المفاهيم مثل: النص، والنصية، والاتساق، وخصصت باقي الفصول لبحث مظاهر الاتساق مثل: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي ثم ختم بفصل تطبيقي لما ورد من مبادئ في المباحث السابقة.(1)

وقد اهتمّ الباحثان في هذا العمل ببيان كيفية حدوث الاتساق في النص، أي الأدوات التي يتماسك بها النص، وجعلاه شرطاً لنصية النص، أي أن النص لا يعد كذلك ما لم تكن أجزاؤه متماسكة.

وهكذا عمد الباحثان إلى المقارنة بين النص المتماسك والجمل المتتالية التي لا يربط بينها رابط.(2)

ثم يأتي في سنة 1977م مؤلف آخر يعدّ كذلك نقلة نوعية في دراسات نحو النص وهو كتاب (النص والسياق) (Text and context) لتون فان دايك (Van Dijk). إذ هدف الكاتب من مؤلفه هذا إنشاء مقاربة أكثر وضوحاً وتنظيماً للدراسات اللسانية للخطاب.(3)

فقد مهّد في الفصل الأول بأغراض البحث وأهدافه، وبين اهتمام النظرية اللسانية وموضوع بحثها فقال: "إن النظرية اللسانية تهتم بأنساق اللغة الطبيعية أعني تراكيبها المتحققة أو الممكنة التحقق، وبتطورها التاريخي وبمختلف أنشطتها الثقافية ووظيفتها المجتمعية وأسسها المعرفية"(4)

---

(1) انظر: (خطابي) محمد، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م، ص11.

(2) انظر: المرجع نفسه ، ص 12.

(3) المرجع نفسه ، ص27

(4) (دايك) فان، النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، بيروت، 2000م،ص17.

ثم يعدّد المجالات والعلوم التي لا بدّ من حضورها في الدرس اللساني في أثناء تحليل الخطاب وأنه لا يمكن حصره في علوم اللغة والنحو: "وذلك أن القواعد المتواضع عليها وشروط الدلالة والمرجع والتأويل، وكذلك استعمال معرفة العالم... كل تلك أمور يصح أن تدمج جوازاً في اهتمام تحليل الخطاب اللساني وانشغاله..."(1)

وفي عقد الثمانينيات من القرن الماضي أخذت الدراسات النصية تنحو منحى جديدا، وذلك على يد روبرت دي بوجراند في كتابه (النص والخطاب والإجراء) ؛ إذ يوجه علم النص إلى التركيز على النواحي الاتصالية للعملية اللغوية،أو كما يسميها الإجرائية، فهو يرى أن معالجة اللغة لها جانبان رئيسان هما الدرس والاستعمال، الدرس هو فحص الكفاءة الأدائية للغة وإمكاناتها التركيبية والدلالية بوساطة النظر في عناصرها على مستوى الجملة وما دونها، نظرا تحليلياً يعتمد على التبويب والتصنيف والتأصيل. أما الجانب الثاني وهو الاستعمال فإنه قد لا يتوافق مع نظام اللغة الافتراضي، لأن للمتكلم مشارب وأغراضا قد لا يحيط بها النظام اللغوي،وهذا الجزء الثاني هو مجال بحث علم النص، ومن هنا كان اهتمام الكاتب بالنواحي الإجرائية للنصوص، ليصل بها إلى رؤية منطقية، وهكذا شرع في معالجة وضع منهجية نصية تتميز عن غيرها بالتركيز على النص كإجراء في عملية اتصالية حية.

يقول الكاتب في مقدمته: "لقد جاء المجلد الحاضر نتيجة لمحاولاتي أن أحدد حقل دراسات النص وأضع له الخطوط العامة من حيث هو نشاط إنساني. فلقد كتبت لأوحد البحوث التي تتناول ذلك من مجالات متصلة باللغة، كعلم النفس المعرفي، والاجتماع اللغوي..."(2)

ويمضي الكاتب في بحثه فيناقش في الفصل الأول الإمكانات النصية المتاحة، التي يمكن توظيفها في العملية الاتصالية، ويعقد مقارنة بين النص والجملة ليثبت أهمية الانتقال من الجملة إلى النص في التحليل اللغوي؛ إذ يسوق بعض المآخذ للمعالجات اللغوية المقصورة على الجملة والكلمة.

(1) المرجع نفسه ، ص30.

(2) (بوجراند)، النص والخطاب والإجراء، ص64.

ثم بعدها يعدد أشكال الترابط التي يمكن تحقيقها ورصدها في النص إذ يبدأ بالترابط التركيبي (أو كما يسميه الرصفي)، ثم بعدها يسهب في عرضه للنوع الآخر وهو الترابط الدلالي (أو كما يسميه المفهومي) وذلك لأن العملية الاتصالية تقوم على النواحي الدلالية المفهومية أكثر منها على النواحي التركيبية على الرغم من سعي المتحدث إلى المحافظة على النظام اللغوي الذي يمارس اللغة في إطاره.

أنواع الترابط

ولم يكتف الكاتب بتقديم منهجية تحليل وتناول الخطاب اللغوي في ضوء نحو النص أو التحليل النصي بل تعدّاه إلى وضع تصورات حول كيفية توظيف نتاجات هذا التحليل في نواحي الحياة المختلفة ، وقد أعطى نموذجاً واضحاً لذلك التطبيق، وذلك بتوجيه علم النص لخدمة المشروع التربوي، إذ عدّد مآخذ التربية في أمريكا بداية، ثم ذكر الحلول والتي تكمن في تنمية مجموعة من القدرات العقلية لدى التلاميذ، ويقترح في هذا المقام توظيف التحليل النصي في تحقيق ذلك الأمر.

ويذكر المؤلف وجهاً يمكن أن يتعاضد فيه علم النص مع التربية "وذلك أن اكتساب نوعي المعرفة الإنساني منهما والعلمي لا يمكن أن يتم إلا بوساطة خطاب حسن التنظيم ، وينبغي لعلم النص أن يهيىء معايير واضحة صالحة للتطبيق من أجل إنتاج النصوص المستعملة في التعلم"[1].

---

(1) المرجع نفسه ، ص558.

ثالثاً: مهمة نحو النص:

يتناول هذا المبحث محورين مرتبطين بالجانب العملي الوظيفي لنحو النص،وهما : الأهداف التي يرمي إليها توظيف هذا المنهج في دراسة النصوص، والأدوات التي يوظفها في دراسة النصوص.

1.مجالات الدرس النصي وأهدافه:

تتعدد آراء الباحثين في المجالات التي يطرقها نحو النص بتعدد المدارس اللغوية التي ينتمي إليها كل منهم. فمنهم من يركز على النواحي اللغوية البحتة في الدراسات النصية، ويرى أن النتائج المتوخاة من ممارسة نحو النص وتحليلاته هي لذات اللغة وبهدف إيجاد نماذج نصية مقننة في تلك اللغة، وتقييد اللغة على مستوى النص بعد أن تم ذلك على مستوى الجملة.

ويرى آخرون أنه لا يجب التوقف عند النتائج التي يفرزها التحليل النصي، والاكتفاء بذلك، بل لا بد من توظيف تلك النتائج في تطبيقات تمسّ حياة الإنسان، وتعمل على تطويرها،بما يحقق له مزيداً من التقدم والرخاء، مثل التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع.

ومن الباحثين الذين تبنوا الرأي الأول ودافعوا عنه (فان ديك) في كتابه (علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات) فهو يرى ضرورة توظيف العلوم المختلفة في التحليل النصي من أجل النص نفسه أو من أجل قراءة النص؛ لأن علم النص يستهدف ما هو أكثر عمومية وأكثر شمولية، فهو يتعلق بكل أشكال النص الممكنة (الأدبية، الاجتماعية، الطبية، القانونية...) وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها.[1]

وهو يرى كذلك أنه لا يمكن فصل علم النص عن العلوم الأخرى المرتبطة به،وهذا ليس إلغاء لخصوصية هذا العلم، بل هو الاتجاه إلى العقلانية في معالجة النصوص؛ إذ يتعذر قصر هذه المعالجة على النواحي اللغوية فقط.

---

(1) دايك ، علم النص ، ص14.

ويمضي المؤلف في كتابه مسترشداً بهذه القواعد النظرية في عرض بعض التطبيقات العملية التي توظف فيها علوم مختلفة لقراءة النص، فتحت عنوان سيكولوجيا استيعاب النص، يناقش مشكلة إدراكية نفسية متعلقة بفهم النصوص، وهي عبارة عن السؤال الآتي: لماذا تختزن بعض المعلومات حول النص المتلقى في الذاكرة وتزول أخرى؟ وما صفة هذه المعلومة التي تبقى في الذاكرة؟ وكيف يمكن أن نعثر عليها مرة أخرى بشكل فعّال لتوجيهها في وظائف أخرى؟[1]

وفي موضع آخر يعرض فان ديك نموذجاً لتحليل الحوار أو المحادثة من خلال توظيف نحو النص، وما يتميز به هذا النموذج أنه حصيلة تخصصات مختلفة، فلعلم اللغة في هذا التحليل وظيفة محدودة، وهي العناية بالجوانب النحوية للنص، والربط الدلالي والبراجماتي، أما علم النفس فمكانته من خلال بيان الشروط الإدراكية والانفعالية في هذه المحادثة،وهكذا باقي العلوم كل حسب تخصصه.[2]

ولا يبتعد كثيراً عن هذا التوجه عرض الدكتور صلاح فضل لمهمة علم النص، فهو يراها أنها تختص بوصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستعمال اللغة، كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة. ثم يتعمق في الهدف المرجو من نحو النص إلى مظاهر براجماتية مثل : شرح كيفية امتلاك المتحدثين لكفاءة القراءة، وسماع المظاهر اللغوية المعقدة المتمثلة في النصوص، وفهمها واستخلاص معلومات محددة منها، والتخزين الجزئي على الأقل لهذه البيانات في الذهن، وإعادة إنتاجها طبقاً للمهام أو الأغراض أو المشكلات التي تثار من أجلها[3].

أما روبرت دي بوجراند فهو صاحب الرؤية الثانية التي لا تكتفي من هذا العلم بإيجاد نماذج نصية مقننة وهياكل لغوية محددة، بل تتعدى ذلك إلى توظيف تلك النتائج في ممارسات عملية تمس نواحي الحياة المختلفة، ومن النماذج التطبيقية التي يعرضها

---

(1) انظر المرجع نفسه ، ص 257.

(2) انظر: المرجع نفسه ، ص345.

(3) (فضل) صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص247.

الكاتب تفعيل نتائج نحو النص في التعليم والتربية بشكل عام ، فهو ينتقد بداية التربية النمطية السائدة في أمريكا، ويرى أنها تسير من الناحية المعرفية في الطريق الخطأ لأنها تهتم غالباً بالمعلومات الوقائعية، وتقلل اهتمامها بالمعرفة العلائقية الفكرية، فالمعلومات المكتسبة حالياً سرعان ما تتعرض للنسيان بعد الامتحان؛ لعدم وجود الترتيب التنظيمي المطلوب من أجل التطبيق، ويدعو الكاتب للخروج من هذا الوضع إلى تنمية طائفة من القدرات العقلية القوية والمرنة من أجل اكتساب المعرفة وتطبيقها، بغض النظر عن المحتوى، ويرى أن نشاط استعمال النصوص مرتكز هذا المشروع التربوي؛ لأن القدرات العقلية القوية والمرنة التي اقترحها يمكن أن تنمى من خلال مهارة إنتاج النصوص واستقبالها بآليات محددة لا تتوفر إلا في علوم اللغة ومنها النص.

ويرى الكاتب أن من أهم تطبيقات نحو النص في مجال التربية أن يسهم هذا العلم في إيجاد خطاب حسن التنظيم يصلح لحمل الرسائل المراد إيصالها للمتعلمين.

ويعرض الكاتب بعدها لتطبيقات تربوية أخرى يمكن توظيف نحو النص فيها مثل تعليم القراءة والكتابة.

2- أدوات نحو النص ووسائله:

من الطبيعي أن تتنوع الأدوات بين الباحثين والممارسين للتحليل النصي؛ وذلك لتنوع المبادئ والتوجهات التي يقيم عليها كل منهم نظرية نحو النص. فهاينه مان وديتر فيهفيجر يقرران أن علم النص لا يمكن أن يمارس بمعزل عن بعض الظروف، التي يجب أخذها في الاعتبار في أثناء التحليل النصي، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1.النواحي اللغوية:

وهنا يعرض الكاتبان أسئلة عن علاقة علم النص بعلم اللغة النظامي، أو"علم لغة الجملة"، ويريان أن علم النص إنما هو توسيع لعلوم اللغة السابقة له، وأنه لا بد أن يعمد إلى وصف المباحث المعتادة: الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية غير المستقلة.

2. **النواحي الاجتماعية والظروف التي قيل فيها النص:**

وهنا يتم مراعاة علم الاتصال، والتفاعل الذي يتم في أثناء عملية الاتصال، بما في ذلك الظواهر غير اللغوية، مثل حركة الجسم وملامح الوجه والإشارات المصاحبة للتعبيرات اللغوية في أثناء الحديث*.

3. النواحي النفسية:

فأبنية النصوص ليست إلا نتائج عمليات نفسية، مما قد يسمى "لقطات سريعة" لتجسيد نتائج الإجراءات الإدراكية.[1]

ويذكر الدكتور صبحي الفقي مجموعة من الأدوات (المستويات) للتحليل النصي، نجملها فيما يأتي:

1- المستوى الدلالي (المعاني)

2- المستوى المعجمي/ النحوي المعجمي (الشكل)

3- المستوى الصوتي.

ويتحفظ على المستوى الثالث بسبب اقتصار معالجاته النصية على النصوص المكتوبة فقط، فهو يستدعي نصاً منطوقاً.

---

* لقد فطن علماؤنا القدماء للجوانب غير اللغوية في عملية الاتصال، وقد وردت إشارات كثيرة في كتب التراث تدلل على ذلك وتؤكده، ويمكن أن نمثل عليها بنموذج واحد، وهو الجاحظ. ويمكن التأكيد على وعي أبي عثمان لهذه الجوانب من عدّة أمور:

أ- تصريحه بأن البيان- الذي هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي- أوسع من أن تتخذ له وسيلة واحدة، ولا يعبر عنه باللفظ فقط.

ب- قسم الجاحظ الدلالات على المعاني إلى دلالات بلفظ وأخرى بغير لفظ وذكر أنها تشمل: اللفظ ، والإشارة ،والعقد، والخط، والحال . ومثّل على الإشارة باليد والرأس، والعين والحاجب والمنكب. (انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ص 85)

(1) فولفانج وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، زهراء الشرق، القاهرة، 2004 م، ص8

ومن هنا يقترح مجموعة من العناصر لا يمكن إغفالها في أثناء التحليل النصي منها:

(1) الاستهلال أو فاتحة النص وتتمثل في : عنوان النـص، والجملة الأولى، والفعل الأول، والزمن الأول، والحرف الأول (الحروف المقطعة في القرآن الكريم مثلا).

(2)الإحالة أو المرجعية*:

تعد من أهم العناصر التي يجب مراعاتها في التحليل النصي؛ لأنها من أكثر الأدوات إسهاما في تماسك النص وترابطه.

وقد تكون الإحالة إلى داخل النص نفسه، وقد تكون خارجية، وهنا تكمن الحاجة إلى معرفة سياق النص والظروف التي نشأ فيها فكثير من الإحالات لا يمكن توجيهها الوجهة الصحيحة إلا بإدراك الظروف التي قيل فيها النص.

ولا تقتصر هذه الصعوبة على الإحالات الخارجية فحسب، بل حتى الإحالات الداخلية أحياناً يصعب على القارئ توجيهها. خاصة في النص القرآني الذي يحتاج الباحث في التعامل معه إلى مزيد من الحذر والاحتياط.

جاء في كتاب سلطة النص لعبد الهادي عبد الرحمن : "نزل القرآن العظيم متفرقاً، أي آية آية أو آيات آيات، أو سورا قصيرة ، وفي أزمنة مختلفة متباعدة ، وتشكل البنية لكل سورة قرآنية غرضاً محدداً قد ينتهي بانتهاء زمانه أو مضموناً ذا صبغة تبقى مع الزمن، وتستمر فيه كتعاليم وشرائع وتقاليد... ولها بعدان زمانيان، وبعدان مكانيان أيضاً.

البعد الأول: هو زمان ومكان الغرض الذي من أجله جاء النص، والثاني زمان

---

* يقصد بها استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة أو لاحقة في النص. (انظر: الفقي ، علم اللغة النصي ،ج1 ، ص38)

ومكان التواصل في التاريخ"[1]*.

(3) التماسك: وهو العنصر الثالث من عناصر التحليل النصي، وتتضح أهميته في تحقيق استقرار النص وثباته؛ إذ عدّ بعض الباحثين عنصر الثبات من أهم الأسس التي يقوم عليها النصّ.

يعدد الدكتور صبحي الفقي ثلاثة شروط لتحقق التماسك، وهي:

أ- العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل.

ب-التطابق الإحالي (أي ارتباط القضايا بعضها ببعض).

ج- وحدة المحال إليه[2].

وقد عرض بحيري[3] ثلاثة نماذج يرى أنها تمثل الاتجاهات الأكثر نضجاً في التحليل النصي يمكن أن نوجزها في الآتي:

(1) التجزئة النحوية للنص:

وظهر هذا الاتجاه في التحليل عند (فاينرش)، وهذا الاتجاه يهتم بالجملة ونحوها ولكن ليس لذاته إنما ليمهد به إلى النقلة التالية على مستوى النص؛ فلا ينظر إلى الجملة بحسبانها جزءاً مستقلاً مفيداً يمكن عزله عن بقية الأجزاء المكونة لكلية النص، والمعلومات التي تقدمها الجملة محدودة ، ولكنها تشكل مع المعلومات الأخرى الخطاب الكلي.

---

1 (عبد الرحمن) عبد الهادي، سلطة النص، سينا للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م، ص89 .

* ويقصد الكاتب بزمان ومكان الغرض الذي من أجله جاء النص هو ظرف النزول الفعلي، أما زمان ومكان التواصل في التاريخ فهو ممارسة النص في ظروف مماثلة لتلك التي نزل فيها ، ويعبر الأصوليون عن الأخيرة بقولهم : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

2 انظر: الفقي ، علم اللغة النصي، ص77

3 بحيري ، علم لغة النص ، ص163-234.

(2) أجرومية النص:

وهو اتجاه فان دايك في التحليل النصـي، ويـرى أن النحـو ليـس مجموعـة مـن القواعد التي تطبق على النص، ولكن مفهوم القاعدة يقتصر على القوانين المستخلصة من النص ذاته، ويدعو هذا الاتجاه إلى حرية الدلالة وجعلها تتصف بالديناميـة والتغيـر في النص، لكن لا تكون الحرية مطلقة لأي دلالـة، بـل تحـدّ بحدود عامـة تحكـم بنيـة النص.

ويحاول هذا الاتجاه دراسة النص وتراكيبه وأبنيته ووظيفته بمعاييـر علميـة، هـي معظمـها مـن المعاييـر المستخدمة في النحـو التحويلـي التوليـدي؛ إذ نجـد في معالجـة الأشكال النحوية معايير الحذف والإضافة والترتيب...وغيرها.

(3) التحليل التوليدي للنص :

وعرف هذا الاتجاه عند (بتوفي) ، وهو ينطلق من المبدأ نفسه الذي عمل سابقوه بمقتضاه وهو الوحدة الكلية للنص، ويقترب نموذجه من نمـوذج فـان دايـك ؛ إذ تـأثر بتوفي بتشومسكي إلا أنه تميز بتركيزه على توضيح كفـاءات المتحدثـين والمستمعين في تحليله، أي كيفية إنشاء النص وتلقيه.

وأكد أن مكونات النص تتعدى النواحي الدلاليـة إلى العنـاصر التداوليـة الـتي يجب ألا يغفلها التحليل النصي، ولا بد من تحقيق تـوازن دائـم بـين العـالم الخـارجي وعالم النص.

ومن هنا فإن هذا الاتجاه يرى عدم الاقتصار في التحليل على المعـاني الداخليـة والسطحية للنص، بل يجب أن يتعداها إلى ما يسمى بالمعاني الإضافية أو الإشـارية أو الإحالية أو التداولية.

رابعاً: التعريف ببعض مصطلحات نحو النص:

هناك الكثير من المصطلحات في نحو النص تحتاج إلى جلاء، وذلك لجدَّة هذا العلم وحداثته في الوسط اللغوي، وفي هذا المقام لا يمكن الوقوف على كل المصطلحات المتعلقة بعلم النص؛ وذلك لسببين أحدهما أن هذا العلم يعد مظلة منهجية تندرج تحتها علوم لغوية عديدة، بل حتى العلوم الأخرى (علم النفس، وعلم الاجتماع...) تتداخل وتتقاطع مع علم النص، وبالتالي فهناك العديد من المصطلحات تتولد نتيجة هذا التفاعل.

والسبب الثاني أن مقامنا هذا لا يهدف إلى تقصّي النواحي النظرية في مجال نحو النص وإنما كان الاستفتاح بهذا الإطار النظري تمهيداً للممارسة التطبيقية في الفصول الآتية.

ويمكن القول إن معظم المصطلحات المختصة بنحو النص توحدت الرؤية حولها، ولا يختلف الباحثون في دلالة هذه المصطلحات:

1- البنية العليا للنص: هي الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص -كما يراها الدكتور صلاح فضل- وأنّ تفكيكه إلى الوحدات المكونة له يعتمد على الإدراك السليم لهذه البنية... ولا مفر لنا عند تحليل النصوص من توظيف معرفتنا الأدبية بخواص الأجناس التي تنتمي إليها هذه النصوص.

فعند قراءة الشعر مثلاً فإن هناك الكثير من الموجهات لهذه القراءة نابعة من طبيعة الشعر وجنسه، وكذلك عند قراءة أي عمل من أيّ فن من الفنون لا يمكن تجاهل انتمائه[1].

2 - البنية الكبرى: هي البنية المتكونة من حالة الترابط على مستوى النص بوصفه كلاً متكاملا، وتتميز هذه البنية بالعموم مقارنة بالأبنية الخاصة الأخرى الأدنى منها في المستوى[2].

---

(1) انظر: فضل، بلاغة الخطاب، ص254 .

(2) دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد بحيري ، دار القاهرة ، القاهرة، 2001م ، ص75 .

ويبدأ التحليل النصي من البنية الكبرى، وهي تتصف بدرجة عالية من التماسك والانسجام،ومن الجدير بالذكر هنا أن تحديد البنية الكبرى للنص أمر نسبي، إذ يختار كل قارئ العناصر التي يراها مهمة في النص، وبذلك يمكن أن يتفاوت هذا الاختلاف بتفاوت ثقافة القارئ وخلفياته واهتماماته ومن هنا يتباين أمر تحديد البنية الكبرى للنص من قارئ لآخر[1].

3 - البنية الصغرى: إذا كان مصطلح (الأبنية الكبرى) يطلق على الوحدات البنيوية الشاملة للنص، فإن (الأبنية الصغرى) يطلق على أبنية المتتاليات والأجزاء.

ويشترط في هذه المتتاليات والأجزاء كي تكون أبنية كبرى، ومن ثمّ نصوصا أن تكون متماسكة[2].

ويرى فان دايك أن أي نحو ينبغي أن يصف جملاً ويصف تتابعات الجمل أيضاً، فمثلما تكون هناك علاقات بين الكلمات في الجملة الواحدة، كذلك لابد من وجود العلاقات نفسها بين الجمل في تتابع ما، يحدد المستويات ذاتها التي توصف بها الجملة الواحدة لوصف الأبنية الصغرى (الصوتي، الصرفي، النحوي، الدلالي).

وهنا يجب التمييز بين الجمل المركبة (المكونة من عدة أجزاء كل جزء في ظاهره يمكن أن يكون بنية جملية مستقلة) وبين البنية الصغرى المكونة من تتابعات جملية، ومحور هذا التمييز وأداته هو السياق الاتصالي[3].

4. التماسك النصي[4]: يعرّفه كريستال: أنه الاتصالات المنطقية، المقدّرة للاستعمال اللغوي، وهو لا يركز على معنى النص، بل ينصبّ تركيزه على كيفية تركيب النص بحسبانه صرحاً دلالياً.

---

(1) انظر: دايك، علم النص، ص75، وفضل، بلاغة الخطاب ص256 .

(2) انظر:فضل، بلاغة الخطاب، ص255 .

(3) انظر: دايك ، علم النص، ص45- 46 .

(4) وظفه الباحث والترابط بمعنى واحد .

ونحكم على النص بالتماسك إذا احتوى على سلسلة من الجمل تطور الفكرة الرئيسة(1).

والحقيقة أن الجدل احتدم حول مفهوم التماسك أو بالأحرى حدود التماسك في النص، وقد توجّهت كل مدرسة لغوية حسب مبادئها ورؤيتها للنص فمنهم من ركز على الجوانب الشكلية والتركيبية للنص في تعريفه للتماسك، ومنهم من رآه في الوحدة الدلالية للنص، وفريق ثالث أخذ بمبدأ الوسطية، و رأى أنه لا يمكن فصل التركيب عن الدلالة والعكس، لذا فهو يرى أن التماسك يجب أن يتحقق في الجانبين، وإذا اختل أحدهما يفقد الأداء اللغوي سمة النصية.

ويتحتم علينا هنا أن نورد مصطلحين يمثلان هذين المحورين في التماسك اللغوي (التركيب والدلالة)، وهما السبك والحبك*.

أ-السبك: هو الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص. ويقصد بظاهر النص الأصوات والكلمات والجمل الناتجة عن العملية اللغوية. ويمكن إجمال أبرز وسائل السبك في التكرار، والمصاحبة المعجمية والإضمار، والحذف، والربط (يقصد به أدوات الربط مثل العطف والاستدراك...).

ب-الحبك: وهو ما يطلق عليه الترابط المفهومي، الذي يهتم بالعلاقات بين المفاهيم وترابطها. ومن أبرز علاقاته: السببية، والزمانية، والإبدالية، والمقارنة، والتضمن

---

(1) الفقي، علم اللغة النصي، ص96 .

* لقد كان العرب القدماء على وعي بنظرية التماسك التي تأسس عليها نحو النص – كما جاء سابقاً عن الجاحظ – وقد شمل إدراكهم هذين المحورين (السبك والحبك) ، جاء في كتاب منهاج البلغاء للقرطاجنيّ في حديثه عن القانون الأول في ما يجب حول وضع الفصول وترتيب بعضها من بعض في القصيدة قوله: ". . . فيجب أن تكون متناسبة المسموعات (السبك) والمفهومات (الحبك) حسنة الاطراد غير متخاذلة النسج غير متميز بعضها عن بعض التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية . . ." انظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص288 .

(علاقة الكل بالجزء، علاقة الملكية)، الإجمال والتفصيل[1].

5- الإحالة:

وتنقسم إلى نوعين:

- إحالة داخلية: وتعني العلاقة الإحالية داخل النص نفسه وتكون إما بالرجوع إلى ما سبق وتسمى إحالة قبلية، أو بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النص، وتسمى إحالة بعدية(2).
- إحالة خارجية: وهي من الأهمية بمكان في التحليل النصي، ويطلق عليها مصطلحات "المقام، والسياق"، وتعرف بأنها الأنماط اللغوية التي تشير إلى الموقف الخارجي عن اللغة [3].

---

(1) (عبد المجيد) جميل، علم النص (مقال في مجلة عالم الفكر)، المجلد 32، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003 ، ص145 – 148.

(2) ومن نماذج الإحالة القبلية أن يأتي اسم ويتلوه ضمير أو اسم إشارة يعود عليه ، يحيل إلى ما قبله
والإحالة البعدية يمثل لها في العربية بنموذج واحد هو ضمير الشأن حيث يحيل إلى ما بعده ولا يسبق بشيء وذلك مثل قوله تعالى: "قل هو الله أحد". يحيل إلى ما بعده

(3) انظر: الفقي، علم اللغة النصي،ج1، ص38 .

خلاصة الفصل الأول

بعد العرض السابق في هذا الفصل يمكن الخروج بالنتائج الآتية :

1- على الرغم من أنه لا يوجد تعريف اصطلح عليه العرب القدماء للنص إلا أن توظيف اللفظ في كتاباتهم، و تصنيفاتهم يدل على أنهم يعبرون عن الكيان اللغوي المصطلح عليه عند المحدثين اليوم باسم النص .

2- تعددت مفاهيم النص عند المحدثين إلا أن معظمها كان يدور حول مجموعة من الخصائص تكاملت لتعرف بعدها بمعايير النصية، والتي يعد الترابط من أهمها.

3- لا شك أن العرب لم يعرفوا مصطلح نحو النص إلا حديثا، لكن بعض آرائهم البلاغية واللغوية تدل على ممارستهم لهذا المنهج.

4- نحو النص منهج لغوي انتقل بالتحليل اللغوي من مستوى الجملة إلى مستوى النصّ.

5- هناك مجموعة من الأدوات لا غنى عنها في التحليل النصي، فهي إضافة إلى اللغة الجوانب النفسية في النص، والإطار الاجتماعي و المقامي له.

الفصل الثاني
نحو النص في سورة الأنعام

المبحث الأول
معايير النصية وأثرها في ترابط سورة الأنعام

من الواجب التنويه هنا إلى أن تناول أيّة مادة لغوية منطوقة أو مكتوبة تحتم على الباحث التأكد من تحقيقها للمعايير النصية وأنها تحقق الاتصال من هذا المنطلق(كونها نصاً متكاملاً)، وليست مجموعة من المفردات والجمل المرصوصة بجانب بعضها بعضا، فالهذيان الذي يهذي به المريض، والمفردات في المعاجم مثلاً لا يمكن عدها نصوصاً؛ وذلك لأنها لا تتحقق فيها معايير النصية.

ولا يتحدّد النص -كما يرى البعض- من التزام القواعد اللغوية في الكلام ، بل هو أعقد من هذا الأمر بكثير، فالقواعد اللغوية، لا تكفي معرفتها لمنح الناس القدرة على الاتصال ؛ فمن غير المعقول أن يقتصر الناس في تواصلهم اللغوي على ما تتيحه لهم تلك القواعد. بل يتخيرون مما تتيحه لهم تلك اللغة، وأحياناً مما لا تتيحه لهم فهم يتجاوزون المتاح إذا اضطرهم الموقف الاتصالي إلى ذلك، ويجعلون للموقف الاتصالي الأولوية [1](*).

إذن نصل من هذا العرض إلى نتيجة مفادها أنه لا يمكن الحكم على مادة لغوية بأنها نصّ بمجرد موافقتها لقواعد النحو فحسب، وأن الأخيرة ليست المعيار الوحيد للحكم على تلك المادة بالنصية.

ومن هذا المنطلق وقبل الشروع في تطبيق مبادئ نحو النص على النموذج الذي تم اختياره من القرآن الكريم وجب التأكد من نصية هذا النموذج[2]؛ لذا سنعرض

---

(1) انظر: بوجراند :ص97.

* يحدث هذا التجاوز ليس على مستوى الاتصال العادي بين الناس فحسب بل على مستوى أبلغ النصوص وهو القرآن الكريم، يقول الدكتور تمام حسان في كتابه (البيان في روائع القرآن) : (اللغة أوسع من النحو لأنها تشتمل إلى جانب المطرد على الشاذ والقليل النادر والرخصة والعدول عن الأصل وهلم جرا مما اعترف به النحاة أنفسهم، فقالوا إن الشذوذ لا ينافي الفصاحة كما لقي الشذوذ احترام الفقهاء فبنوا عليه بعض أحكامهم. ولا عجب إذ نرى القرآن يشوش بعض الرتب المحفوظة . كما في قوله تعالى: 'ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه' ، أي كلما مروا عليه وهو يصنع الفلك سخروا منه ...)

(2) يقصد به إثبات الوحدة الموضوعية ، وأن السورة ليست مجموعة من الموضوعات كما يظن بعضهم.

النموذج المختار إلى اختبار النصية ؛ وذلك للتأكد من تحقق معايير النصية فيه.

وفيما يتعلق بمعايير النصية ، فهناك شبه اتفاق بين الباحثين في علم النص حولها ، ولم يكن الخلاف بينهم – في أغلب الأحيان – إلا في المصطلح الذي يطلقه كل منهم على كل معيار، إضافة إلى أن الدكتور محمد مفتاح ذكر بعض المعايير من وجهة نظره يمكن أن تضاف إلى المعايير المتداولة لدى أكثر الباحثين .

وسنتناول معايير النصية المشهورة من جانبين:

(1) المفهوم النظري لكل معيار.

(2)اختبار المعيار في سورة الأنعام.

وهناك خطوتان ستوجهان هذا المبحث ؛ وذلك بما يخدم موضوع الترابط :

أولاهما: التأكد من تحقق سمة النصية في النموذج المختار لدراسة الترابط النصي (كما ذكر سابقا) ، وثانيتهما: بيان العلاقة الوثيقة بين هذه المعايير مجتمعة من جهة ، والترابط الذي يتحقق في النص من جهة أخرى ، فمثلا يعدّ بعضهم الترابط النصي أحد هذه المعايير ، وآخرون يرون أنه أشمل من ذلك إذ تجتمع كل هذه المعايير لتحقيقه، إضافة إلى وسائل أخرى سوف تكون موضوع مباحث الفصل الثالث.

أولاً: السبك : Cohesion

ويطلق عليه بعضهم التضام، وهو يختص "بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص "Surface Text". ويقصد بظاهر النص هنا: الأحداث اللغوية التي تنطق أو تكتب والتي تنتظم في شكل مبان نحوية. وهي لا تشكل نصاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته"[1].

ويجمل الدكتور جميل عبد المجيد وسائل السبك في الآتي:

1. التكرار Recurence : وينقسم إلى عدة أنواع، هي:

(أ)التكرار التام أو المحض:Fullrecurrence

ويتمثل في تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد. ويحقق هذا التكرار أهدافاً تركيبية ومعنوية كثيرة، فهو في القرآن الكريم إنما يأتي لغرض بلاغي، وبذلك أسهب القدماء في الحديث عنه حتى لا يقع في النفس أنه مجرد حشو لا طائل منه كما يحدث في كلام الناس[2]. ويظهر هذا التكرار على سبيل المثال في سورة الأنعام في تكرار لفظي (السماوات والأرض)، من حيث وردت مكرورة في ثمانية مواضع في السورة. بل وردت ثلاث مرات فيما لا يزيد عن أربع عشرة آية:

---

(1) عبد المجيد، جميل ، عالم الفكر، ص145.

يقصد بالاستمرارية هنا التزام النص من بدايته وحتى نهايته موضوعا واحد ، وعدم انقطاعه إلى موضوع آخر .

(2) جاء عن الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح قوله في باب الإطناب :"وهو إما بالإيضاح بعد الإبهام، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن ، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم"........ ومثل له بقوله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ" الحجر(66).

ففي إبهامه (ذلك الأمر) تفخيم للأمر، وتعظيم له. (انظر: القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار المختار، القاهرة، ص175)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾(1)

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾(2)

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(3)

وكذلك يحدث التكرار على مستوى الآية الواحدة، وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾(4)

ب- التكرار الجزئي:partialrecurrence

وذلك بأن يستخدم الجذر اللغوي استخدامات مختلفة(5)، فتشتق من الجذر نفسه كلمات هذا السياق، من مثل قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾(6)

فالمحور الرابط في الحديث السابق هو الشرك (مادة شرك) ، أي حدث شرك من الناس وسئلوا عن ذلك الشرك وعن وجهته أين هم (الشركاء) ، فنفى أصحابه حدوثه. (الشرك).

ج- تكرار المعنى واللفظ مختلف:synonym

ويشمل الترادف وشبهه، والعبارة المساوية في المعنى لعبارة أخرى . وهذا ما يمكن أن يقال في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(7)

---

(1) الأنعام الآية (1)

(2) الأنعام الآية (3)

(3) الأنعام (14)

(4) الأنعام الآية (10)

(5) (عبد المجيد) جميل، عالم الفكر، ص146.

(6) الأنعام (22) و (23)

(7) الأنعام (25)

فقولهم (إن هذا إلا أساطير الأولين) هو جزء من الجدال.

د- التوازي:Parallelism

تكرار البنية مع ملئها بعناصر معنوية جديدة مختلفة. ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (1)

فقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ يوازي قوله: ﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾.

2- المصاحبة المعجمية: Collocation

تتحدد معالم النظام المعجمي في النص من خلال عدّة صور منها: علاقة الألفاظ بالأشياء في الواقع، والروابط الموجودة بين هذه الألفاظ في النصّ، وعلاقة الألفاظ بالمنظومة اللغوية الشاملة للنص أو ما يسمى بعلاقات التضمين.

والصورة الأولى التي تحدد معالم هذا النظام تتلخص في اجتماع حشد من الألفاظ يعبر عن مجال من مجالات الواقع، وهذا ما يبرز جلياً في السورة، إذ يمكن حصر المجالات المعجمية السائدة في سورة الأنعام، فنجد منها على سبيل المثال:

(1) ألفاظا دالة على الرفض والصدود والكفر:

عدل، امترى، اعترض، كفر، كذّب، استهزئ، ألبس، سخر، أشرك، عصى، افترى، ظلم، زعم، ضلّ، جادل ...

(2) ألفاظا دالة على العقاب والعذاب:

أهلك، لبس، حاق، عاقبة، القاهر، فتنة، النار، العذاب، حسرة، البأساء، الضرّاء، مبلس...

(3) ألفاظا دالة على القدرة والقوة:

---

(1) الأنعام (52).

خلق، جعل، قضى، مكّن، أنشأ، نزّل، فاطر، حشر، قادر، أخذ ...

أما الصورة الثانية من صور النظام اللغوي التي تسهم في بلورة المصاحبة المعجمية في النص، فهي العلاقات والروابط بين الألفاظ بعضها ببعض، وهناك نوعان من هذه العلاقات يبرز في السورة:

(1) علاقات التضاد والتقابل:

(سرّ / جهر)، (ملك / رجل)، (الإسلام / الكفر)، (العذاب / الرحمة)، (العذاب / الفوز)، (الضرّ / الخير) ...

(2) علاقات التماثل والتشاكل:

(خلق / جعل)، (كفر / عدل)، (استهزأ / سخر)، (الرحمة / الفوز)، (كذب / افترى)، (خسر / تحسّر)، (كذّب / جحد) ...

أما الصورة الثالثة فهي تضمّن بعض المفردات كمّاً كبيراً من الأشياء التي تدل عليها، منها على سبيل المثال: تضمّن كلمة (الحمد) دلالات ما جاء بعدها من ألفاظ مثل: الإسلام، التوحيد، الإيمان، التقوى، الدعاء، المنّ، الشكر. وتضمّن كلمة (العدول) دلالات كل الألفاظ التي جاءت بعدها تحمل معنى الخروج والانحراف عن الحق مثل: (تمترون) (معرضين) (يستهزئون) (كفروا) (سخروا) (المكذبين) (لايؤمنون) (المشركين) (عصى) (الظالمون) (يجحدون) (إعراضهم) .

3- الإضمار: **Pronominalisation**

ويتحقق الترابط من خلال الإضمار بتوظيف الضمير ليحيل إلى سابق أو لاحق.

وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو ...الخ، وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه ... الخ.

وقد تحيل الضمائر إلى داخل النص أو خارجه، ولا تصبح إحالة داخل النص أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به أو في خطابات مكتوبة متنوعة من ضمنها الخطاب السردي[1].

---

(1) انظر: خطابي، لسانيات النص، ص18.

ويرى خطابي أن الضمير -كما يبرز من تخريجات المفسرين- يسهم بشكل فعّال في اتساق الخطاب القرآني، وهو يقوم بوظيفتين:

الأولى: استحضار عنصر متقدم في خطاب سابق.

الثانية: استحضار مجموع خطاب سابق، في خطاب لاحق[1].

يمكن أن نمثل للأول بما جاء في تفسير ابن عاشور للآية الحادية والخمسين من سورة الأنعام: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [2] ، فهو يقول : وضمير (بـه) عـائد إلى (ما يوحى إلي)* ، وهو القرآن وما يوحى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[3].

أما الوظيفة الثانية من وظائف الضمير فنستشهد عليها بما جاء عند القرطبي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4]؛إذ يقول: ... أي يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ؛ عن الحسن وقتادة، وهو قول الزجاج .وقيل : يعود على الكتاب ، أي يعرفونه على ما يدل عليه ، أي على الصفة التي هو بها من دلالته على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وآله[5].

ويرى ابن عاشور عن بعضهم قوله إن ضمير (يعرفونه) عائد إلى التوحيد المأخوذ من قوله تعالى : " إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ" في الآية السابقة[6].

---

(1) المرجع نفسه ، ص175.

(2) الأنعام (51)

* جاء قوله عز وجل (ما يوحى إلي) في الآية السابقة : "قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ"

(3) (ابن عاشور) محمد بن الطاهر ، التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، 2000م ، ج6، ص113

(4) الأنعام (20).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب ، القاهرة ، 1960م ، ج6، ص400.

(6) انظر: ابن عاشور ، ج6، ص49.

ومن هنا نلاحظ تعدد المحال إليه (القرآن ، التوحيد، النبي صلى الله عليه وسلم).

وكل هذه الاحتمالات واردة في الخطاب السابق في السورة مما يؤدي إلى تحقيق اتساق الجزء اللاحق من السورة بالسابق.

4- الحذف :Ellipsis

وهو ظاهرة نصية عرفها القدماء وعرفوا قيمتها السياقية إذ يصرِّح عبد القاهر الجرجاني بما يضفيه على السياق من جمال وما يتركه في النفس من تأثير، يقول في الدلائل في باب الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر،شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن....الخ"[1] . يتضح من الكلام السابق أن الجرجاني كان واعياً لمكامن هذه الظاهرة العجيبة في اللغة وإذا قرأنا عبارته منطلقين من الجو الذي نبحث فيه الآن (التماسك النصي) ، يمكن أن نصل إلى نتيجة أن الحذف أو بالأحرى الفراغ الذي يتركه يؤدي بالمتلقي إلى الرجوع إلى الخطاب السابق للوصول إلى ما يسدّ به هذا الفراغ ، مما يوجد علاقة بين السياق الحالي وما سبق ، فيحس المتلقي بلذّة هذا الجهد الذي بذله في قراءة النص وتفسيره، إضافة إلى ضمان وضوح الرسالة التي يتلقاها لأنه شارك في انتاجها ولم يستأثر المرسل بذلك . وهذا تفسير قول الجرجاني: (لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر) . .

والحذف كما يعرفه دي بوجراند : "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بوساطة العبارات الناقصة"[2].

يحقق الحذف الترابط من خلال البحث عمّا يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب وبذلك يقوم المتلقي للنص بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي وما سبق من خطاب كما في قوله تعالى:

---

(1) (الجرجاني) عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 162.

(2) بوجراند ، ص301.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[1] إذ حذف مفعولي (زعم) والأصل تزعمونهم شركاء[2] .

ومما جاء في هذا الباب قوله تعالى :﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

فالأصل أن يكون الخطاب (فإن استطعت أن ... فافعل ذلك) ولكن حذف جواب الشرط في الآية كان أبلغ من ذكره ، فقد حقق ترابطاً بين الآية وبين الخطاب السابق لها في قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[3]

ففي غمرة هذا الحزن أراد المولى عز وجل تسلية نبيه ومواساته من طريقين، الأول قوله: " فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ... " ، والثاني قوله : " فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ... " إذ لم يكن المغزى في هذا المقام اختبار قدرته على اتخاذ النفق والسلم ، لذلك لم تكن الحاجة إلى جواب الشرط هنا .

5- الربط :Juntion :

ويقصد به في هذا الموضع الربط الجزئي بين الكلمات والتراكيب المختلفة ، لأننا سنتطرق في الفصلين القادمين للربط على مستوى الأبنية الكبرى (العام) بنوعيه (التركيبي والدلالي). ويتم الربط لتحقيق التضام بتوظيف مجموعة من الأدوات والألفاظ على النحو الآتي :

أ-أدوات وألفاظ تفيد مطلق الجمع (Conjunction) :

مثل واو العطف، وبعض الألفاظ التي تستخدم لمطلق الجمع بين شيئين.

---

(1) الأنعام (22).

(2) انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ج2، ص12.

(3) الأنعام (33)

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾[1]

فالواو في قوله تعالى (وختم) هي لمطلق الجمع ، فحققت الترابط بين جزئي الخطاب (أخذ/ ختم). ومن الألفاظ التي تفيد مطلق الجمع ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2] فعملت لفظة (كذلك) في الآية على الربط بين هذه الآية والسابقة وهي قوله تعالى :﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] إذ تبين (كذلك) أن موقف المشركين وطلبهم من النبي صلى الله عليه وسلم طرد الضعفاء والفقراء من مجلسه إنما هو فتنة لهم خلقها الله في نفوسهم .

ب- أدوات تفيد التخيير :Disjunction :

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[4]

وفي قوله تعالى :﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[5]

---

(1) الأنعام (46).

(2) الأنعام (53).

(3) الأنعام (52).

(4) الأنعام (65).

(5) الأنعام (145).

ففي الآية الأولى يتوعد الله المشركين بأحد أصناف العذاب ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم وبعد نزول قوله تعالى (من فوقكم) قال: (أعوذ بوجهك)(1).

أما في الآية الثانية فهو يعدّد ما حُرّم من النعم أو ما استثني من المباح .

ج-الاستدراك contrajunction :

وذلك مثل قوله تعالى :﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (2) .

فالمعنى إنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله(3).

(1) الزمخشري ، الكشاف ، ج2، ص34 .

(2) الأنعام (33)

3 الزمخشري ، الكشاف ، ج2 ، ص18 .

ثانياً : الحبك : Coherence :

يعد المعيار الثاني من معايير النصية بعد السبك ، ويرى بوجراند أنه يتطلب من الإجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي[1] .

أي أن الحبك أداة من أدوات تماسك النص ، ولكنه بدل أن يكون عن طريق سطح اللغة، يوظف أدوات أخرى مرتبطة بالنواحي الدلالية للنص ، فهو يختص بترابط الجوانب الفكرية للنص .

وهو يعنى بالطرق التي تكون بها مكونات عالم النص (هيئة المفاهيم والعلاقات التي تحت سطح النص) مبنية بعضها على بعض ومترابطة .

ويمكن تعريف المفهوم بوصفه هيئة المعرفة التي يمكن استعادتها أو تنشيطها بدرجات متفاوتة من الوحدة والاتساق في العقل . والعلاقات هي حلقات وصل بين المفاهيم التي تظهر معا في عالم النص ، وتحمل كل حلقة وصل نوعاً من التعبير للمفهوم الذي ترتبط به[2].

والحقيقة أن الترابط المفهومي بارز بشكل كبير في سورة الأنعام ؛ لأن السورة كتلة دلالية واحدة ؛ إذ تعالج موضوعاً واحداً ، وهذا الأمر ستتم معالجته عند تفصيل الحديث في أشكال الترابط في السورة في الفصل القادم ، وسنقصر الحديث هنا على بيان مختصر لبعض علاقات الحبك وإثبات وجودها في السورة ، ويمكن إجمال تلك العلاقات بالآتي :

1- السببية :

وذلك أن يرتبط الخطاب بوساطة ذكر النتيجة والسبب ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [3]، فهذا سبب لقوله

---

(1) بوجراند ، ص 103 .

(2) انظر : عبد المجيد ، علم النص (مجلة عالم الفكر) ، ص149.

(3) الأنعام (6).

تعـــالى: ﴿ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ ﴾ [1] * . فالذنوب سبب في إهــلاك تلــك الأمــم ، ليس الذنوب فحسب ؛ إذ كل عناصر الخطاب مترابطة (النعم من التمكــين والغيــث والخصب) قابلوها بالذنوب والنكران والجحود فكانت النتيجة الهلاك.

وتظهر هذه العلاقة بشكل بيّن في قوله تعــالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[2] ، فبعد أن بيّن المولى عز وجل لنبيه أحوال المشركين ومــا كــان مــن قولهم وتعاليــهم في حــقّ المؤمنين﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ ﴾[3] ، وبيّــن لــه سبب صدور هذا القول منهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ ﴾ [4] ، وبعــد كــل هــذه التفاصيل جاء التعليل (لتستبين) أي لتعلم من كل ما جاء حول أحــوال هــؤلاء المشــركين سبيلهم ونهجهم الذي يسيرون عليه ،وكان سبب استحقاقهم للعذاب .

وهكذا تحقق الربط بين أجزاء هذه الكتلة الخطابية وذلك من خلال بيان ســبب وجودها أو علته في ذلك الموضع، فهي إنما جاءت لهدف واحد وهــو وضــوح عقيــدة المشركين[5].

نِعَمٌ ——► جَحودٌ ——► هلاك

(1) الأنعام (6).

(*)جاء عن القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في تفسير هذه الآية قوله : ألا يعتبرون بمن أهلكنا مــن الأمم قبلهم لتكذيبهم أنبياءهم أي ألم يعرفوا ذلك ... فالذنوب سبب الانتقام وزوال النعــم .(انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص391)

(2) الأنعام (55)

(3) الأنعام (53)

(4) الأنعام (53)

(5) انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج2، ص29 .

2. الزمنية :

يرى مستعملو النص الحوادث والمواقف في عالم النص من خلال العلاقات القائمة بينها ولا ينظرون إليها كل على حدة ، ويتدخل الزمن بشكل جوهري في إيجاد مثل هذه العلاقات بين الحوادث .

وعامل الزمن في النص له أثر مهم لا يمكن إغفاله في عملية القراءة والتحليل خاصة .

ويمكن أن نمثل لهذا الأثر للزمن في سورة الأنعام من خلال رصد الحركة الزمنية للخطاب في الآيات الآتية : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]

ففي الآيتين الرابعة والخامسة يوظّف الفعل الحاضر الدال على استمرارية الأحداث (تأتيهم ، يأتيهم) ، ولم يوظف الفعل الماضي إلا للدلالة على ما اقترفت أيدي القوم فيما مضى (كذبوا) ، ويتحول الزمن إلى الماضي ، ولكن فيما يتناسق مع المحور الأساسي للخطاب في هذا الموضع. وذلك للتذكير بما أصاب الأمم السابقة

---

(1) الأنعام (4-12)

(أهلك ، مكّن ، أرسل، جعل، أهلك ، أنشأ) لعل هذا التوظيف للماضي يحدث تأثيرا في نفوس العصاة المكذبين .

وبعد الانتهاء من التذكير وضرب الأمثال من التاريخ يعود الخطاب للمضارع مرة أخرى، وكأنّ ما سبق حديث استطرد به للعبرة والعظة فقط . ثم يتحول الزمن إلى المستقبل غير مبتعد عن السياق الذي ابتدأ به وذلك في الآيات (7-9)، ففي هذه الآيات التي تتوجه بزمانها إلى المستقبل أمنيات أهل الكفر ، وطلباتهم المنبثقة من موقف العصيان والرفض الذي اتخذوه: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [1] فأداة الشرط (لو) تدل هنا على المستقبل.[2] ثم يتحول الزمن مرة أخرى إلى الماضي وعودة إلى التاريخ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [3] . وأخيراً تحول آخر إلى المستقبل ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بما ينبغي أن يواجه به هؤلاء المكذبين ، وما ينبغي عليه تذكيرهم به﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [4]

ثم تمضي بقية الآيات في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعريفه بالرسالة التي يقدمها لبني البشر ، وكلها أوامر لما يراد تحقيقه في مستقبل هذه الدعوة .

"وَلَهُۥ مَا سَكَنَ ... " حتى الآية (71) يتوحد الزمن (أمر للمستقبل) مما يحقق تماسكًا نصياً واضحاً بين هذه الآيات (4-71) فلم ينثن الخطاب عن تقديم التوجيهات والعبر والردود للنبي صلى الله عليه وسلم على صورة أوامر متحققة في المستقبل .

---

(1) الأنعام (7-9).

(2) انظر : ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص290 .

(3) الأنعام (10) .

(4) الأنعام (12)

وهكذا نرى كيف أدى تحـول الزمـن إلى توحيـد الخطـاب وارتبـاط الأحـداث بعضها ببعض، وكيف أن ثباته حقق الغاية نفسها (الترابط والتماسك) .

3-المقارنة[1] :

وهـو الإتيـان بصورتـين متناقضتين في السـياق نفسـه ، لتحقيـق هـدف مـا ، والوصول إلى دلالة واحدة، ويظهر ذلـك في قولـه تعـالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾[2]

4- التفصيل بعد الإجمال :

وذلك عندما تشتد العلاقة وتتآزر الروابط بين طـرفي خطـاب ؛أحدهمـا مكثّـف (عام) والآخر مفسّر ومفصّل له ، ويتضح ذلك في سورة الأنعام من خلال قوله تعـالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[3] هذا كلام مجمل وتقرير من المولى عز وجل على بسطه الأدلـة للخليـل إبراهيـم عليـه السلام بهدف الوصول إلى حالة اليقين من الإيمان بـالله . ويقصـد بـالإراءة هنـا إراءة توفير الأدلة للاستدلال لا الإشارة أو التوجيه البصري .

ثم يأتي بعد هذا الإجمال تفصيل هذه (الإراءة) نوعها، وكيفياتها ، وشـرحها بالهيئـة الـتي كـانت عليهـا:﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗا ﴾ فجـرى ذكـر هـذا الاستدلال كالشرح والتفسير لتلـك الإراءة فوجـب أن يقـال إن تلـك الإراءة كـانت عبارة عن هذا الاستدلال .

والتفصيل يكمن في قولـه تعـالى :﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا

---

(1) أحاط توظيف هذا المصطلح في كتابات الباحثين غموض جعل الباحث يوظفه في مفهوم المقابلة في البلاغة العربية .

(2) الأنعام (125)

(3) الأنعام (75)

ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (1).

5 - العموم :

ومن النماذج الممثلة لعلاقة العموم وما تحققه من ترابط ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ (2) .

يقول الرازي : "اعلم أنه تعالى لما بيّن أنه يحل أكل ما ذبح على اسم الله ذكر بعده تحريم ما لم يذكر عليه اسم الله ... قال الشافعي -رحمه الله تعالى- : فأول الآية وإن كان عاما بحسب الصيغة ؛ إلا أن آخرها لما حصلت فيه هذه القيود علمنا أن المراد من ذلك العموم هو هذا الخصوص ، ومما يؤكد هذا المعنى أنه تعالى قال : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) فقد صار هذا المعنى مخصوصاً بما إذا كان هذا الأمر فسقا "(3) وانظر هنا التلاحم بين الخطاب وبين ما يخصصه مما جاء بعده .

وهكذا يتبين لنا معيار الحبك واحدا من أسس بناء النص ، وهو -كما رأيناه- كل ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثاقة صلة متبادلة ، وكذلك تبين لنا أنه يمثل العلاقة بين عالم النص والعالم الواقعي ، وذلك بما يحويه من علاقات دلالية.

ويمكن الإشارة هنا في هذا المعيار إلى قضية مهمة، وهي ما يظهر أحيانا من تناقض ، وعدم تطابق بين أجزاء الخطاب نفسه ، أو بين أجزائه وما هو موجود في العالم الواقعي وهنا لا يمكن أن نحكم بفقدان علاقات التلاحم بين هذه الأطراف، فقد يكون ظاهر النص - في بعض الأحيان - غير كاف لا عتماده في قراءته ، لكن يجب الأخذ بعين الاعتبار المعايير الأخرى للنص مثل الموقفية والتناص والقصدية .

---

(1) الأنعام (76-79)

(2) الأنعام (121)

(3) الرازي ، ج13، المجلد7، ص177.

ثالثاً: الموقفية Situtionality :-

يرى بوجراند أنها تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه[1] . وتأتي أهمية هذا المعيار في قراءة النص وفهمه ؛ إذ لا يمكن في بعض الأحيان تجاهل الموقف الذي نشأ فيه النص ، والموقف الاتصالي الذي قيل فيه

"ولقد عني العرب بالجانب الموقفي للغة وأهميته على الرغم من إغراقهم في المعيارية في تعاملهم مع اللغة ، ولكنهم لم يقتصروا في عملهم على النظر في بنية النص اللغوي ، كما لو كان شكلاً منعزلاً عن العوامل الخارجية التي تلفه وتحيط به ، كما يفعل البنيويون أو الشكلانيون من الدارسين في العصر الحديث"[2] .

لذلك فاهتمام علماء النص بالموقف الاتصالي ليس بدعاً ، فقد ورد الكثير من ذلك في كتب التراث العربي تؤكد أهمية الموقف في عملية الاتصال[3] .

" لقد أخذ علماء اللغة العرب مادتهم اللغوية على أنها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه ، والذي قد تتغير صوره بتغير هذا المحيط وتلك الظروف ، كما فطنوا إلى أن الكلام له وظيفة ومعنى في عملية التواصل الاجتماعي ، وأن هذه الوظيفة وذلك المعنى لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيه من شخوص وأحداث "[4] .

إن ما يفرزه المقام للمعنى من تقييد وضبط بصورة محددة ، يتطلب من أي باحث ومحلل لغوي ، بل من كل قارئ الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يدور فيها الخطاب ، لذا فالباحثون في علم النص يرفضون ما ينادي به البنيويون الشكلانيون من بتر العلاقة بين النص والعوامل الخارجية ، ويرون أن من الأسس التي تقوم عليها قراءة النص معرفة ظروفه الزمانية والمكانية .

---

(1) انظر : بوجراند ، ص 103

(2) (بشر) كمال ، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب ، القاهرة ط3، 1997،ص74.

(3) يعد علم أسباب النزول من أبرز مظاهر الاهتمام بالموقف الاتصالي.

(4) المرجع نفسه ، ص 74

وحتى نحلل معيار الموقفية في سورة الأنعام لاختبار مدى حضوره في السورة، سنقف على بعض المظاهر التي يبرز دور الموقف ، أو السياق الاجتماعي، أو المسرح اللغوي- كما يسميه البعض- في آياتها ، مسترشدين بما ورد في التفاسير ، وكتب علوم القرآن في هذا السياق ، ومن تلك المظاهر :

1. أسباب النزول :

اهتم القدماء اهتماما بالغاً بمعرفة أسباب النزول ، ولم يفسر القرآن مفسر إلا وهو يحيط بهذا العلم الجليل ، يقول السيوطي في كتابه لباب النقول :" لمعرفة أسباب النزول فوائد ، وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التاريخ ، ومن فوائده الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال"[1].

ولقد أدرك هؤلاء العلماء أهمية الإحاطة بالموقف الذي نزلت فيه الآية لمعرفة مايراد منها من أحكام أو تشريعات . يروي السيوطي عن الواحدي قوله :" لايمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها"[2]

ويعدد السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) عدّة فوائد لمعرفة أسباب النزول منها:

- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
- قد يكون اللفظ عاماً ، ويقوم الدليل على تخصصه ، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته.
- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال[3].

---

(1) (السيوطي) جلال الدين ، لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 1988، ص13.

(2) المرجع نفسه ، ص 13.

(3) (السيوطي) جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، ج1 ،تحقيق عبد المنعم إبراهيم ، مكتبة ابن باز ، مكة، 2005هـ ، ص 99.

ويمكن أن نمثل لأسباب النزول من سورة الانعام ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(1)

قال السيوطي في لباب النقول : أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : كلم رسول الله قريشاً ، فقالوا : يا محمد ، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر ، وأن عيسى كان يحيى الموتى ، وأن ثمود لهم الناقة . فأتنا من الآيات حتى نصدقك؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أيّ شيء تحبون أن آتيكم به ؟ قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا ، قال : فإن فعلت تصدقوني ؟ قالوا نعم ، فقام رسول الله يدعو فجاءه جبريل، فقال له :إن شئت أصبح ذهبا ، فإن لم يصدقوا عند ذلك لتعذبنّهم ، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم(2).

1.2الإشارات:

وهي المظهر الثاني للموقفية في النص القرآني ، ويقصد بها لغة الوجوه والأجساد الموجودة في النصّ ، التي يبرز في القصص خاصة ، أو في الوصف. ولا شك أن هذه الإشارات والإيماءات لا يمكن قراءتها بعيداً عن سياقها الاجتماعي وإلا أدّى ذلك إلى ضرب من التعسف في فهم الرسالة التي يقدمها النص.ويمكن التمثيل على ذلك من سورة الأنعام بقوله تعالى :﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (3) . تصور هذه الآية حال المكذبين برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومدى إغراقهم في التكذيب والكفر ، حتى أنهم لو أنزلت عليهم المعجزات والكتب ورأوها عيانا ولمسوها بأيديهم لمساً مادياً لشكّوا وطعنوا فيها، وقالوا :إنما هي من السحر .

---

(1) الأنعام (109)

(2) (السيوطي) ، لباب النقول في أسباب النزول ، ص103.

(3) الأنعام (7)

فتأمل هنا أهمية الموقف الاجتماعي ، فالتعبير عن المبالغة في الكفر لا يكتمل إلا بصورة اللمس المادي للمعجزات والكتب .

وتظهر أهمية الإشارات في سياق آخر في السورة في قوله تعالى واصفا حال المشركين في أثناء قبض الملائكة أرواحهم :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (1)

فالخطاب هنا مرتبط بالموقف ارتباطاً شديداً ، إذ تشير (باسطو أيديهم) إلى علامة مصاحبة للموقف ، قال الزمخشري : "يبسطون إليهم أيديهم يقولون : هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة العنف في السياق والإلحاح الشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإهمال، وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلّط ببسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهل ويقول له أخرج إليّ مالي عليك الساعة ..." (2).

3. مراعاة سياق الحال :

ويقصد به أن يتم التوافق بين التركيب أو اللفظ من جهة والرسالة المراد تحميله إياها من جهة أخرى ، وهو يدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام ، وعبر البلاغيون القدماء عن هذا المصطلح ب"المقام"، واشتهر قولهم : (لكل مقام مقال). وهناك مجموعة من المتغيرات أو العناصر ينبغي الاهتمام بها ؛ وذلك لاختبار مدى مناسبة المقال للمقام ، أو مدى مراعاة سياق الحال من أهمها :

(1) الزمن.

(2) المكان.

---

(1) الأنعام (93)

(2) الزمخشري ، الكشاف ، ج2، ص 44 .

(3) مكانة المخاطب(بكسر الطاء).

(4) مكانة المخاطب (بفتح الطاء).

(5) العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب.

(6) الأفعال غير اللغوية المصاحبة للحدث.

(7) الموضوع.

(8) العناصر المادية المحيطة بالموقف.

ويمكن أن نمثل بحدث لغوي من سورة الأنعام لحضور هذه العناصر ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1]. فالخطاب هنا موجه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ يصور له المولى عز وجل حال المشركين وهم على أعتاب جهنم ، وحذف الجواب هنا والتقدير (لرأيت سوء منقلبهم).[2]

وإذا أردنا أن نحدد العناصر السابقة في هذا الحدث الكلامي ، ستكون على النحو الآتي:

(1) الزمن: يوم القيامة ، بعد محاسبة كل إنسان على عمله ، يتوجه كلٌ إلى مستقره ومقامه.

(2) المكان: على أعتاب النار (وقفوا على النار)، يقول الفخر الرازي :" وقفوا عندها وهم يعاينونهما فهم موقوفون على أن يدخلوا النار ، أو يجوز أن يكونوا وقفوا عليها وهي تحتهم."[3]

(3) مكانة المخاطِب(بالكسر) : المخاطِب هنا هو الله سبحانه وتعالى بعظمته وجلالة قدره وشأنه ، وهو الوكيل والكفيل بالحساب والجزاء في ذلك اليوم ، بيده الأمر،

(1) الأنعام (27) .

(2) انظر : (الرازي) محمد بن عمر ، مفاتيح الغيب ، دار الفكر ، بيروت ، 1981م ، ج12،المجلد السادس،ص200.

(3) المرجع نفسه ، ص 201.

وهو القادر على كل شيء سواء أفي موقف الخطاب السابق أم في ذلك اليوم الذي يدور عليه الحديث .

(4) مكانة المخاطَب (بالفتح): المخاطَب هنا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وتنقل له هذه الصورة البيّنة عن أحوال هذه الفئة من الناس في ذلك اليوم العظيم لعدة أهداف ، منها التسلية وبيان قدرة الله ، ونقل تلك الصورة لهؤلاء الجاحدين بالرسالة التي جاء بها من لدن ربه عز وجل وإنذارهم بها .

(5) العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب : علاقة الرسالة والتكليف بالتبليغ ، وعلاقة الإله بالعبد، ومن هنا كانت للنبي صلى الله عليه وسلم المنزلة والمكانة العالية عند ربه عز وجل ، لذلك كانت هذه الصورة التي تحكي الجزاء الذي يلاقيه الكفار على جحودهم ، واستهزائهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فالآية تخفف عنه ما كان يجد من صدود هؤلاء ، ووقوفهم في وجه هذا الدين كما جاء في الآية السابقة ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ ﴾ [1].

(6) الأفعال عبر اللغوية المصاحبة للموقف : هما الرؤية(ولو ترى) ، الإيقاف (إذ وقفوا)؛ أما الأول فدار حوله خلاف بين المفسرين هل الرؤية بصرية أم قلبية، ورجح أكثرهم البصرية ، أما الثاني فكان الخلاف في الهيئة التي وقفوا بها على النار هل تحتها أم أمامها أم أنها رؤية من بعيد لزيادة الرهبة والخوف في قلوبهم من النار .

والملاحظ في هذا الموضع مدى التناسق بين تركيب الآية ومقام نزولها سواء أكانت في موقف الترهيب والإنذار (للمشركين) ، أم في موقف التسلية والعزاء (للنبي صلى الله عليه وسلم) .

(7) الموضوع : وصف حال المشركين الذين يكذّبون برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يلقون عقاب تكذيبهم .

(8) العناصر المادية للموقف : العنصر الأول: النار ، وهي أداة العذاب ومحور

---

(1) الأنعام (26)

الدلالة في الآية لأنها دليل قدرة الله عز وجل ، وقهره وعظمته ، وهي عبرة وعظة للمؤمنين . وهي في الوقت نفسه دليل عدله وذلك لأن العذاب لا ينال إلا من يستحقه من الكافرين .

وهي أيضا بما تفعل بالكافرين من نكال وعقاب تخفف عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يجد من صدودهم واستهزائهم به (وهم ينهون عنه وينأون) .

العنصر الثاني: هو الآيات، وهي دليل وحدانية الله عزوجل والإيمان بما هو الغاية الكبرى ، والحدث الأساس في هذه الشبكة والنار وسيلة ترهيب في الدنيا ووسيلة عقاب في الآخرة .

وهكذا يتضح لنا توافر عناصر سياق الحال جميعها في هذه السورة الكريمة مما يثبت - بالتآزر مع المعايير الأخرى - نصيتها[1] .

---

(1) هناك آليات أخرى يتضح فيها مناسبة أو مراعاة سياق الحال أشار إليها القدماء منها : النداء ؛ وذلك من خلال اختيار أداة النداء (القريب أو البعيد) اختيارا يناسب المقام . فمثلاً جاء قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام:}فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {الأنعام78) ، فالنداء جاء بأداة البعيد في قوله (يا قوم) مع أن قومه لم يكونوا بعيدين منه ، ولكن رغبة منه في وصول الرسالة والتنبيه بأهمية ما يقال ، وظف هذه الأداة ليؤثر مدّ الصوت بـ (يا) عليهم ، ويكون في قلوبهم أشد وقعاً .ويعد الحذف كذلك من أوضح الأدلة على مراعاة الكلام لسياق الحال ، ففي قوله تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ...) الأنعام (93) ، حذف جواب (لو) تهويلاً وتعظيماً لهذا المقام . لأن ذكره وتحديده لا يعطي المعنى المراد من هذا الوعيد والتهديد للكفار والتقدير (لرأيت شيئاً عظيما). (انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية) .

رابعاً : القصدية والمقبولية Intentionality & Acceptability :

يعد السبك والحبك من أكثر معايير النصية وضوحاً وأهمية ، إلا أنهما ، في بعض الأحيان يصبحان عاجزين عن إعطاء حدود فاصلة تميز بين ما هو نصٌ وما هو غير ذلك.

فبمقدور كثير من الناس استعمال نصوص تبدو لأسباب مختلفة غير مستكملة السبك والحبك، ومن هنا وجب إدخال اتجاهات مستخدمي النصّ ضمن معايير النصية[1] .

ويتعذر بذلك الاستغناء عن معرفة الظروف الخارجية التي نشأ النص فيها من منتج ومتلق وزمان ومكان ، كما يدعي ذلك الشكلانيون أصحاب الرؤى البنيوية التي تدعو إلى موت المؤلف وانغلاق النص على نفسه ، وتوجيه القراءة للنص ذاته دون اعتبار لأي عامل آخر . فاستفتاح أبي الطيب المتنبي قصيدته التي يمدح بها كافوراً مثلا ، بقوله :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا[2]

فيه إشكال عظيم على القارئ العادي ، والمتلقي البسيط ، فهو لا يعرف تفسيراً للتناقض الماثل في الجمع بين الموت في هذا البيت ، وبين المدح والثناء والشوق للممدوح في باقي القصيدة ، كقوله :

ولكن بالفسطاط بحراً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا[3]

---

(1) انظر : أبو غزالة ، مدخل إلى علم لغة النص. ص 152.

(2) المتنبي ، أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، ج1 ، بيروت ، 2005، ص501.

(3) المرجع نفسه ، ص 505.

فظاهر الأمر أن الترابط غير متحقق في قصيدة أبي الطيب تلك ، ولكن تتدخل المعايير الأخرى لتثبت نصية هذا الخطاب وتماسكه ،وهي القصدية والمقبولية ، فالشاعر يخاطب نفسه في البيت الأول ويهدف من هذا الخطاب تشخيص الحالة النفسية التي يعيشها بعد ما حصل له في مجلس سيف الدولة من إهانة وعدم رد اعتباره من قبل الأمير ، فقد أصبح بعد هذا الموقف يتمنى الموت ويراه أنه الشافي الوحيد لما في صدره ، وفي الوقت الذي تعتلج في صدره مثل هذه المشاعر يحث الخطى نحو كافور يبتغي منه النوال والعطاء ، تعزية وتسرية لنفسه .

وهكذا نلاحظ أن قصدية منتج النص كان لها أثر واضح في جلاء التماسك، وفي معالجة الفقدان الظاهر للترابط في النصّ ، حيث أوجدت الحلقة المفقودة .

ويمكن في حالات كثيرة من هذه الحالة التغاضي عن الخلل الواقع في السبك أو الحبك(أي في الترابط التركيبي والدلالي)"ما دامت هناك غاية ومقصد واضح من النص"[1].

وتعرف القصدية بأنها جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها[2] .

وغالباً ما يوجّه النصّ إلى مستقبل محدد ، وبذلك يحمل النص مادة معرفية أو عاطفية تلبي حاجة معينة لدى المستقبل ، ولكن بعض النصوص تحمل رسالة إلى فئات كثيرة من المستقبلين ، مثل النصوص المضمنة مادة علمية تطبيقية ، أما النوع الثاني فأكثر ما ينطبق على النص القرآني ، لأنه بالفعل – وثبت هذا على مرور الزمن – يحمل رسائل متنوعة للإنسانية ، فهو عقيدة تعرّف الناس بعلاقتهم مع الخالق، وهو شريعة وأحكام فقهية تعرّف الناس بعلاقتهم فيما بينهم ، وهو كذلك معاملات تنظيم شؤون المجتمع وغيرها من الأحكام التي يتضمنها هذا النصّ.

إن إنتاج النص لا يكون اعتباطياً أو عشوائياً ، بل يرتبط بخطة وهدف يراد تحقيقه منه.

---

(1) انظر : أبو غزالة، مدخل إلى علم لغة النص ، ص152.

(2) أبو غزالة، ص157.

والأصل في الكلام أن يكون مترابطاً ملتحماً ، ولكن قد تطرأ بعض العوارض تحول دون تحقق ذلك غالباً ما تكون مرتبطة بقصد المرسل ، مثل :

-تحوّل الخطاب من وجهة إلى أخرى مختلفة :

ففي سورة الأنعام يعرض المولى عز وجل مظاهر قدرته، ونعمه على الإنسان في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [1] ، ويتخلل هذه الحزمة المترابطة دلالياً قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [2].

ويمكن تحليل هذا التحول في الخطاب من عرض دلائل قدرته تعالى إلى ذكر فعل المشركين، أن الله تعالى لما ذكر كل تلك الأدلة على قدرته في الأرض وفي السماء وجد أنه لا يزال من يشرك به من الناس وهم الذين جعلوا له شركاء من الجنّ [3].

---

(1) الأنعام (95-101)

(2) الأنعام (100)

(3) انظر : الرازي ، ج13،المجلد السابع، ص118 .

- تغيير طريقة عرض الرسالة لضمان وصولها:

ويتضح هذا الأمر في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- الواردة في سورة الأنعام وهي في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [1] . حتى الآية (80)، ففي هذه الآيات يبدأ الخطاب الدعوي مباشرا (أأتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال ...) فلما لم تكن هناك إجابة من المتلقين اضطرّ المرسل إلى تغيير طريقة عرض الرسالة لضمان وصولها، فتحولت من التوجيه المباشر إلى التطبيق العملي لتجربة الوصول إلى الإيمان والتغيير في عدة خطوات مقصودة:

(1) ادعاء عبادة القمر.

(2) ادعاء عبادة الشمس بعد غياب القمر.

(3) إثبات العبادة لله وحده بعد غياب الشمس.

فالتحوّل من العرض البسيط للرسالة، إلى هذا العرض الأكثر تعقيداً هو هدف كان يبتغيه المتكلم ، وهو إقحام قومه وإجبارهم على الاعتراف بفساد معتقدهم، جاء في تفسير التحرير والتنوير: "دلّ ذلك كله على أن إبراهيم عليه السلام قال ذلك على سبيل المجادلة لقومه وإرخاء العنان لهم ليصلوا إلى تلقي الحجة ولا ينفروا من أول وهلة " [2] .

قد يتعمد منتج النص خلخلة السبك النصي ليصل إلى نتيجة محددة : وهنا يصل إلى الهدف من طريق آخر غير الطريق الطبيعي للخطاب ، بل أقصر من ذلك الطريق وأبلغ . يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [3]

---

(1) الأنعام (74) .

(2) ابن عاشور، ج6، ص173 وما بعدها .

(3) الأنعام (164) .

ففي قوله تعالى : "أغير الله أبغي" لم تتحقق الرتبة الطبيعية وهي تقدم الفعل على المفعول به ، ولكن ذلك لم يحدث اعتباطا ، بل لهدف مقصود وغاية يراد تحقيقها إذ قدمه هنا لأنه المقصود من الاستفهام الإنكاري ، لأن محل الإنكار هو أن يكون غير الله يبتغي له رباً.[1]

هناك مجموعة من المبادئ التي يقوم عليها معيار القصدية في النص منها :

(1) العلاقة: وهو الترابط المستمر بين أجزاء الموضوع .ويمكن أن تكون الصلة على وجهين:

الأول: على مستوى أنواع المعرفة المتصلة بالموضوع الأساسي:

فسورة الأنعام تناقش قضية محورية من بدايتها إلى نهايتها هي قضية العقيدة والتوحيد والإيمان ، لكن هذا الموضوع ليس معزولاً ولا يمكن عرضه بعيداً عن موضوعات أخرى لا تنفك عنه ، مثل : دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى في الأرض والسماء ، وموقف النبي صلى الله عليه وسلم من فقراء المسلمين ، وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ رسالته ، و صور من القيامة والعذاب ،و صور من القيامة والنعيم ...... وغيرها من أنواع المعرفة المتصلة بالموضوع .

الثاني: على مستوى أنواع المعرفة اللازمة لتحقيق الهدف من النص :

ويمكن التمثيل على ذلك بما جاء في سورة الأنعام من قصص الأمم الغابرة التي كذبت بالوحي ، وما نالها من العذاب جزاء تكذيبها ، قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾[2] . إضافة إلى ما جاء في السورة من قصة سيدنا إبراهيم والوسائل التي اعتمدها لإقناع قومه:﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى

(1) ابن عاشور، ج7، ص153.

(2) الأنعام (6)

﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ ﴾ [1]فهذه معرفة سبقت في هذا الموضع لتحقيق هدف محدد.

(2) تجنب الغموض في التعبير :

و مما لا يختلف فيه اثنان أن القرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين لا غموض فيه ولا إبهام ولا تقعّر . ويعدّ هذا الأمر مبدأ من مبادئ القصدية لأن الغموض يؤدي إلى إبطال مفعول القصد .

(3) الإيجاز :

وهو أداء المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ ، والنموذج القرآني نموذج راق في هذا المجال. يقول الثعالبي في كتابه الإعجاز والإيجاز : "من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوّه على سائر الكلام" [2].

والإيجاز يساعد على وصول مقصد المخاطِب إلى المخاطَب ، في حين يؤدي الحشو والإطالة إلى التشتت وضعف الاستجابة . تأمل قوله تعالى :﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [3].

ترى في هذه الآية إيجازاً بيّناً، وأصل الكلام : " واستهزؤوا بك ، ولقد استهزأت أمم برسل من قبلك ، لأن قوله (من قبلك) يؤذن بأنه قد استهزئ به هو أيضا وإلا لم تكن فائدة في وصف الرسل بأنهم من قبله لأن ذلك معلوم" [4].

---

(1) الانعام (76)

(2) (الثعالبي) عبد الملك بن محمد ، الإعجاز والإيجاز، تحقيق: محمد آل تونجي ، دار النفائس ، 1992م ، ص15 .

(3) الأنعام (10)

(4) ابن عاشور ،ج6،ص28

"ويشير مبدأ القصدية كذلك إلى إعداد المرسل خطة واضحة لإدخال المعتقدات أو إقناع الآخرين بفكرة أو أمر يريده هو ، أي يراعي منطقية العرض."[1]

كان ذلك فيما يتعلق بمعيار القصدية في النص ، أما ما يتعلق بمعيار المقبولية أو التقبلية فهو مرتبط بالسابق (القصدية) لذلك عمدنا إلى الجمع بينهما تحت عنوان واحد؛ إذ يمثل هذان المعياران طرفي العملية الاتصالية ؛ فالقصدية تمثل المرسل ، والمقبولية تمثل المستقبل وردة فعله لما يتلقى.

وتعد المقبولية خاصية مهمة تساعد على تفادي مشكلة عدم القدرة على تقعيد اللغة تقعيدا كلياً ؛ أي أن هناك عجزاً عن الإلمام في أثناء تقعيد اللغة بكل الخطابات اللغوية في اللغة الواحدة ؛ إذ يبقى هناك تجاوزات من قبل مستخدمي اللغة يتجاوزون بها القانون اللغوي المتعارف عليه في أثناء الإجراء الاتصالي ، فاللغة ظاهرة إنسانية ، وحاجات الإنسان متجددة حسب الزمان والمكان والظروف التي تحيط به، وهنا تتدخل خاصية المقبولية للنصوص إذ يكون المتلقي في ظل هذا التجاوز – واعياً بمقصد المتكلم .

ويجب التمييز في ظل هذا الترخص بين أمرين : ما يشترط علم القواعد ، وما هو مقبول فعلاً في الاتصال.[2]

وعلى الرغم مما وجه للغويين القدماء من انتقاد[3] ؛ من حيث نحوهم بالقواعد النحوية والبلاغية والصرفية نحواً معيارياً وابتعادهم عن وصف الواقع اللغوي في كل

---

(1) أبو غزالة ، ص 164

(2) انظر : المرجع نفسه ، ص 174

(3) أخذ الدكتور صلاح فضل في كتابة (بلاغة الخطاب وعلم النص) على ما أسماه البلاغة المعيارية عند العرب فقال وهو يتحدث عن المعيار البلاغي : كان يعتمد على الشاهد الذي يتم اختياره بشكل عشوائي متعسف ، يتوالد ويتردد من مؤلف لآخر ، دون محاولة لإقامة التوازي بين النظرية والتعبير.ظل هذا الانفصام قائما بين التصورات البلاغية ومعطيات التطور الشعري والأدبي ، فهو مجهول لا يشار إليه ، حيث يتم اختيار الشواهد على أساس المزاج الفردي للكاتب البلاغي ، لا طبقا لمقتضيات النظرية التي تميز بين مستويات وعصور الإبداع المختلفة (فضل ، بلاغه الخطاب وعلم النص ، ص111_113)

عصر من العصور ؛على الرغم من ذلك لا يمكن لأحد أن ينكر ما أسهم به هؤلاء اللغويون من ملحوظات حول الجانب الاجتماعي للغة [1] .

وتشير المقبولية إلى تلقي المخاطب للرسالة وفهمها. ولإدراك المقصود من الرسالة لابد من تحقيقها لشرطين :

الأول: الالتزام بدلالة اللفظ من حقيقة ومجاز على أنواعه بالدلالات الإلزامية والإشارات وغير ذلك من الدلالات المصطلح عليها.

الثاني: مستوى الوعي لدى المتكلم وإمكاناته الثقافية ، فلا يمكن حمل الكلام مفهوماً يفوق معرفته ودرجة انتباهه.

والنص الذي بين أيدينا له وضعه الخاص عن باقي الكلام فهو كلام الله عز وجل الذي لا يضاهيه كلام آخر ، وهو الذي نزل بلسان عربي مبين ، لا غموض فيه ولا إبهام ولا التباس ، وهو وحي عن الحق تبارك وتعالى الذي أحاط علمه بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

إذن فإدراك الرسالة القرآنية لا يحول دونه حائل ؛ إذ الوضوح والبيان سمة القرآن البارزة ، لذلك فقارئ القرآن يدرك أنه ليس لعلم قائل هذا النص حدود ؛ إذ يقرأ على أنه كلام من أحاط بكل شيء علماً.

يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[2]

"لقد تم فهم "المحكم" على أساس أنه " الواضح" الذي لا يحتاج إلى تأويل ، كما فهم المتشابه على أساس أنه " الغامض " الذي يحتاج إلى تأويل . وكان القانون الذي اتفق عليه العلماء هو ضرورة رد المتشابه إلى المحكم ، أي تفسير " الغامض" استناداً إلى

---

(1) لبيان هذا الأمر انظر : (بشر) كمال ، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب ، القاهرة ، 1997م.
(2) آل عمران (7) .

الواضح ، ومعنى هذا أن العلماء قد اتفقوا على أن النص هو معيار ذاته فالواضح المحكم يعّد بمثابة الدليل لتفسير الغامض المتشابه وفهمه . إن أجزاء النص يفسر بعضها بعضا "[1]

وتظهر الحاجة بهذا إلى القراءة الكلية للنص ، إذ يعدّ الوضوح والغموض من عوامل تماسك النصّ وترابطه ، فالمتلقي يتقبل النصّ بناء على هذه النظرية إذ يبحث في بعض أجزائه عن مفاتيح لفهم الأجزاء الأخرى .

---

(1) (أبو زيد) نصر حامد ، مفهوم النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990م ، القاهرة ص 200.

خامساً :- التناص Interteoctuality:

يعرف بأنه مجموعة من طرائق الإنتاج الفني التي يثبت من خلالها تفاعله مع نصوص سابقة عليه أو متزامنة معه . أو هو عبارة عن علاقة تفاعلية بين نصّ سابق ونصّ حاضر لإنتاج نص لاحق. والتناص كما يراه بعضهم ظاهرة حتمية في كل النصوص سواء أكانت على مستوى الكتابة أم على مستوى القراءة .

ويمكن أن نتعامل بشيء من الخصوصية في شأن التناصّ مع بعض النصوص التي تحمل محتوى يتصف بنوع من الجدّة ، التي لم يعهد حضورها في النصوص السابقة مثل النص القرآني.

ولا يخلو القرآن الكريم من التناصّ[1] لكونه نصاً لابد أن تتحقق فيه كل معايير النصية، بل يسهم التناصّ القرآني في ربط أجزاء كل سورة بعضها ببعض من جهة، وربط السور القرآنية من جهة أخرى .

ويمكن معالجة التناص القرآني من خلال مجموعة من المحاور المنهجية على النحو الآتي :

1. أسلوب التفسير المسمى تفسير القرآن بالقرآن: مما يدل على أن هناك تقاطعاً بين النصوص القرآنية ذاتها . ويمكن الوقوف على ثلاث طرق لرصد هذا التفاعل بين النصوص القرآنية نمثل لها من سورة الأنعام بالمواضع الآتية :

أ) منهجية العرض : إذ تتماثل منهجية العرض للموضوع نفسه الذي عالجته سورة الأنعام مع أكثر من موضع في سور مختلفة من القرآن الكريم.

ففي قوله تعالى :﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [2] وصف لحالة الإغراق في الكفر والتكذيب

---

(1) تفسير القرآن بالقرآن هو أحد مظاهر تلاقي أجزاء النص القرآني وتقاطع أجزائه بعضهما مع بعض، وهذا التفسير ينحو منحى من يقول : أن كل سورة في القرآن الكريم تمثل نصا له كيانه المستقل، وقد يتقاطع مع النصوص (السور الأخرى) .

(2) الأنعام (7)

والعناد دون مسوّغ ، بل أحيانا مع رؤية الحق .وجاء هذا المعنى نفسه بمنهجية العرض السابقة في موضع آخر في سورة أخرى وبصورة مغايرة للصورة السابقة (نزول الكتاب ولمسهم إيّاه) ، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (1)

فالهدف والقالب المستخدم واحد إنما كان الاختلاف في الصورة المعروضة .

ب – إجمال ما تم تفصيله ، وتفصيل ما تم إجماله : وذلك بأن يأتي في موضع من المواضع معنى مجمل قد تمّ تفصيله في مواضع أخرى أو العكس ويظهر ذلك في سورة الأنعام في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (2) فقد تم تفصيل (استهزئ برسل) في مواضع عدّة من القرآن الكريم ؛ إذ جاء في نوح قوله تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ (3). وفي هود قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (4) ، وفي صالح قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(5) وفي لوط قوله تعالى :﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (6)

---

(1) الحجر (14-15)

(2) الأنعام (10)

(3) هود (38)

(4) هود (53)

(5) الأعراف (77)

(6) النمل (56)

ج – تماثل المعاني واختلاف الصياغة (العرض) :

وذلك بتقديم المعنى بصياغات تعبيرية مختلفة ، مثل قوله تعالى :﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [1] عبّرت هذه الآية عن حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إسلام قومه ونجاتهم من عذاب أليم ، وأن ما كان يقوله هؤلاء المشركون يحزن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الله يواسيه ويخفف عنه ببيان أنه ليس المقصود من هؤلاء تكذيبك يا محمد ، إنما يقترفون ذلك في حق الله.

جاء هذا المعنى في آيات أخرى في القرآن منه قوله عزوجل :﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [3].

2- التفاعل بين المعرفة بالعالم المختزنة في ذهن المتلقي وبين المعرفة التي يعرضها النصّ: وهنا يحدث تناص بين النص موضع التلقي والثقافة المختزنة في ذهن القارئ، فالمعرفة التي يعرضها النصّ تحظى بالتفصيل في الفهم والاسترجاع إذا كانت موافقة لأنماط المعرفة المختزنة في الذهن. [4]

والمعرفة التي تقدمها سورة الأنعام عبارة عن شحنة عقدية تعرّف الإنسان بخالقه، ومدبّر شؤون هذا الكون ، وتبصّره بأصل خلقته ، وتخبره بمصيره ، وهي معرفة لها ما يشاكلها في أذهان المتلقين سواء أوافقت مكوناتها ما جاء أم خالفته ، فالأسئلة حاضرة في أذهانهم : من خالق الكون ومدبّره ؟ من أين جاء الإنسان وما مصيره ؟ فهنا يحدث التفاعل بين ما في الذهن وما يقدّمه النصّ .

---

(1) الأنعام (33)

(2) الكهف (6)

(3) فاطر (8)

(4) انظر : أبو غزالة ، ص 260.

3- ارتباط محتوى النص بمدوّنة سابقة عند الملتقى :

ويمكن التمثيل لذلك بالعلاقة بين سورة الأنعام وسورة الفاتحة ، فالأخيرة تشكّل خريطة أو مخططاً للقضايا الموجودة في سورة الأنعام ، لأنها تتضمن - بشيء من التركيز - أسس العقيدة المفصّلة في سورة الأنعام .

كذلك فإن سورة الأنعام والنساء والمائدة تفصّل المقطع الأول من القسم الأول من سورة البقرة وأن سورة الأنعام محل تفصيلها الآيتان الأخيرتان من هذا المقطع ، وهما قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (1)

ولو أنك نظرت في السورة نظرة تأمل لوجدتها تفصيلا لهاتين الآيتين . (2)

4 - مكونات النص السطحية :

تسهم هذه المكوّنات في عملية الترابط بين النص والمعرفة المختزنة في ذهن المتلقي، ففي سورة الأنعام يتم عرض وسائل الثواب والعقاب بطريقة مطابقة لما هو عليه في ذهن من يتلقى النص ، فهو يدرك قسوة النار وشدة ألم من يعرّض لها إدراكاً حسياً ضمن خبراته الواقعية ، وكذلك يدرك ما يجده الإنسان من لذّة عند الأنهار والمياه والخضرة ، وتطلّعه لكل طيّب من الطعام والشراب ، كل هذا متشكل في خبرة المتلقي ، ويحدث التقاطع بينه وبين الآيات عندما تأتي موافقة له ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (3) .

---

(1) البقرة (28-29)

(2) (حوّى) سعيد ، الأساس في التفسير ، ج3 ، ط2 ، دار السلام ، القاهرة ، 1989م . ، ص1557 . (وكما هو معلوم أن سورة الفاتحة تصنف زمنياً قبل سورة الأنعام) .

(3) الأنعام (27) .

سادساً : الإعلامية Informativity :

يستعمل مصطلح الإعلامية للدلالة على مدى ما يجده مستقبلو النص فيه من الجدّة وعدم التوقع، ويمكن ممارسة هذه المنهجية على مستويين :المحتوى ،أو النظام اللغوي (الشكل).[1]

أي إن نسبة الإعلامية تكون مرتفعة عندما يتلقى مستعملو النص نصاً ويجدون أنه خارج الاحتمالات التي توقعوا أن يكون عليها من حيث معانيه ودلالاته ، أو من حيث تراكيبه.[2]

ويمكن أن تحدث الإعلامية في النص القرآني على المستوى اللغوي التركيبي من خلال الظواهر التركيبية التي تعرض للنص : التقديم ، التأخير ، الحذف ، التعريف ، التنكير ونمثل لها في سورة الأنعام بالنماذج الآتية :

-في قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3]

في هذه الآية نسبة الإعلامية مرتفعة ، إذ يخالف هذا التركيب (وجعلوا لله شركاء الجنّ) توقعات المتلقين إذ هم يتوقعون أن يكون على النحو (وجعلوا الجنّ شركاء لله) ، يقول الرازي : "قوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجنّ) معناه وجعلوا الجنّ شركاء لله، فإن قيل : فما الفائدة في التقديم ؟ قلنا : قال سيبويه : إنهم يقدمون الأهم الذي هم بشأنه أعنى ، فالفائدة في هذا التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك

---

(1) انظر : أبو غزالة ، ص 185.

(2) وهو ما كانت العرب قديماً تعرفه بمصطلح (الغرابة)، مدح الآمدى البحتري فقال : "وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحتري" (الأمدي، الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العلمية ، بيروت ، ص318)

(3) الأنعام (100)

سواء كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو غير ذلك . فهذا هو السبب في تقديم اسم الله على شركاء." [1]

- في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2] حذف جواب الشرط (فإن استطعت) وتقديره (فافعل) فهنا مخالفة لتوقع المتلقي الذي ينتظر جواب الشرط ، والغرض بيان شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إسلام قومه .

وقد يكون النموذج اللغوي عاديًا من حيث التركيب النحوي ، لكن معناه عالي الإعلامية،غير متوقع. وفي سورة الأنعام مواضع كثيرة ترتفع فيها نسبة الإعلامية؛ وذلك لأن السورة تتناول قضية العقيدة التي تتضمن كماً زاخراً من الغيبيات التي لا يحيط الإنسان بها علماً فكان وجودها في السورة مخالفاً لمعارفه وعلمه وخبراته ، فالمولى عز وجل يخبر الناس في هذه السورة عن غيبات لم يكونوا يتوقعونها ، وذلك مثل قوله تعالى:﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[3] فالمتوقع أن يؤمن هؤلاء بعد إدراكهم للمعجزة المادية المحسوسة ،ولكن المفاجأة للنبي صلى الله عليه وسلم قولهم : (إن هذا إلا سحر مبين).

و تظهر نسبة الإعلامية عالية في قصة سيدنا إبراهيم مع قومه ، فالمتلقي يعلم يقيناً منزلة إبراهيم عند ربّه والرسالة التي كلف بتبليغها ، وكذلك يعتقد بعصمة الأنبياء عليهم السلام، فيفاجأ بسير الأحداث في الاتجاه المعاكس لكل هذه المعرفة وهذه الخبرات ، وذلك في توجّه إبراهيم عليه السلام - ظاهرا -إلى عبادة الكوكب ثم القمر ثم الشمس ، ولكن اللغز لا ينحلّ ويبقى الأمر ملتبساً حتى قول إبراهيم عليه السلام : "يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ" هنا يدرك المتلقي الغاية من الحجاج السابق

---

(1) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج13، ص120.

(2) الأنعام (35)

(3) الأنعام (7)

الذي مارسه إبراهيم أمام قومه وذلك ليصل بهم - عملياً وليس نظرياً - إلى نتيجة ، وهي فساد عقائدهم ، وعدم استحقاق هذه الآلهة للعبادة من دون الله ؛ لأنها مسيَّرة وتعجز عن تدبير أمرها .

وتظهر الإعلامية كذلك من خلال عدم مراعاة الترتيب المعهود في سرد الأحداث، وتوجيهها حسب الغاية المراد تحقيقها منها ، وذلك نحو قوله تعالى في معرض الحديث عن إبراهيم عليه السلام :﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (1) . فالمتلقي يتوقع أن يتقدم ذكر نوح على إسحاق ويعقوب لأنه أسبق زمنا ولكن يفاجأ بعكس ذلك .

ويمكن لمنتج النص رفع نسبة الإعلامية في الخطاب من خلال تغيير مواقع الكلمات ، وذلك إما بتوظيفها مجازيا ، أو باستعمالها معجميا في غير مواقعها .

فالأول في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (2)

ومنه كذلك قوله تعالى : " وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ "

وللإعلامية أهمية كبيرة في تحقيق الترابط بين أجزاء النص بعضها ببعض ، فقد تكون في بعض المواضع درجة الإعلامية عالية ، ولايمكن للمتلقي استقبال النص مجردا عما حوله؛ لذلك يبدأ بالبحث عن مفاتيح لما استغلق عليه من مفاهيم فيبدأ بما هو داخل النص ، فإما أن يعود أدراجه إلى ما قبل هذا الموضع الغامض، ويبحث فيه عمّا يمكن أن يساعده على فك شفرة الجزء الحالي أو ينتظر الجزء القادم من النص عسى أن يكون هو المفتاح لما غمض ، ومن هنا يتحقق الترابط النصي أي البحث اللاشعوري عن معاني ودلالات جزء من النص في باقي أجزائه الأخرى .

---

(1) الأنعام (84)

(2) الأنعام (25)

ويمكن أن نمثل لهذا الإجراء في خفض المنزلة الإعلامية بوساطة جزء لا حق من النص (أي البحث عن الدلالة فيما سيأتي) في قوله تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (1)

ففي هذه الآية لا يمكن الوقوف على ماهيّة العدول المقصودة ، ولا كيفيته ، ولا الأساليب المتبعة فيه ، ولا درجته (نفاق ، كفر ، تحدّي ...الخ) ، فلا بد من البحث عما يسهم في خفض هذه المنزلة الإعلامية ، والآية هي الأولى في السورة ، ولهذا يضطرّ المتلقي إلى انتظار ذلك فيما سيأتي من آيات ، وهذا بالفعل ما حدث بعد ذلك من خلال قوله تعالى :

- ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾
- ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾(2)
- ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ (3)
- بل إنه يعطي مقياسا دقيقا لدرجة عدولهم عن الحق :
- ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (4)

الصورة الثانية لخفض المنزلة الإعلامية وهي الاعتماد على السياق القبلي فيمكن أن نمثل لها بما جاء في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما كان يحاور قومه ؛ إذ احتدم الخلاف بين المفسرين حول ذلك الحوار أهو نظر في الكون وتأمل أم هو مناظرة لدعوة قومه إلى الحق ، فالنص المعني5 يتصف بارتفاع المنزلة الإعلامية ،

---

(1) الأنعام (1)

(2) الأنعام (4).

(3) الأنعام (5).

(4) الأنعام (7).

(5) يقصد به الحوار ، وهو من قوله تعالى : "فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ....إلى قوله تعالى ...وما أنا من المشركين".

وجأ بعض المفسرين الذين يرون أن الحوار كان عبارة عن مناظرة ، وأن إبراهيم قد وصل في ذلك الوقت إلى درجة اليقين بالعقيدة التي يدعو إليها ، لجأوا إلى الخطاب السابق ، وذلك قول إبراهيم عليه السلام لأبيه :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيَ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1]

وهنا أدت الإعلامية (الغموض الذي يكتنف بعض الأجزاء) إلى توجيه القارئ للاستعانة ببعض أجزاء الخطاب لإضاءة أجزاء أخرى للوصول إلى قراءة منطقية منسجمة للنص .

(1) الأنعام (74)

المبحث الثاني

الأبنية النصية في سورة الأنعام

بعدما تبين لنا مبادئ علم النص ، واختبرنا بواسطتها نصية المادة التي نحن بصدد معالجتها (سورة الأنعام) ؛ وذلك بفحص معايير النصية في السورة ، ووجدنا أنها متحققة، لابد من معالجة أخرى أكثر تطوراً من سابقتها وهي المعالجة العامة للسورة وذلك قبل أن نعمد إلى عملية التحليل، سواء أكانت التركيبية أم الدلالية ؛ للوقوف على عوامل التماسك وأدواته في المستويات المختلفة (التركيبية ، والمعجمية، والدلالية) .[1]

وتتضمن هذه المعالجة العامة رصداً للأبنية التي تتكون منها السورة ، وذلك على ثلاثة مستويات هي :

- البنية العليا .
- الأبنية الكبرى .
- الأبنية الصغرى .

ولا يمكن بحال من الأحوال الحديث عن الترابط النصي في نصّ من النصوص إلا بتحديد عناصره العامة أولاً (الأبنية الكبرى) ، ثم أجزاء كل من هذه العناصر و محتوياتها (الأبنية الصغرى) ، ثم الوقوف على الهيكل الذي بني عليه النص، وكوّن بالتالي تلك الأجزاء والعناصر جميعها (البنية العليا).

وعلى الرغم من الاختلاف البيّن بين الباحثين في علم النص في تناول المصطلحات الثلاثة للبنية [2] إلا أن هناك شبه اتفاق على أهمية تحديد كل منها عند تناول النصوص ، وأنه يتعذر تناول النص بالتحليل دون تحديد هذه المكونات الثلاثة.

إضافة إلى أن تناول هذه المكونات بالتحليل هو من صميم البحث في الترابط النصي، فالبنية العليا كما سنرى – هي هيكل موحد يضم كل تلك المكونات ، بالتالي يجب أن يكون هناك انسجام بينها وبين الأجزاء المختلفة للنص ، والأبنية الكبرى تمثل

---

(1) هذا ما سيكون موضوعاً للفصل الثالث من هذه الدراسة .

(2) يطلق بعضهم على البنية العليا مصطلحات : التيمة والقضية والموضوع . وعلى الأبنية الكبرى مصطلح الفقرة . وعلى الأبنية الصغرى مصطلح العبارة أو الجملة .

الخطوط العريضة للنص ، أو القضايا الكبرى ، وهي كذلك يجب أن يكون بينها قاسم مشترك (دلالياً) ، أما الأبنية الصغرى فهي أجزاء مترابطة داخل البنية الكبرى ، تترابط تركيباً ودلالة إذ تتكون بواسطتها البنية الكبرى ، فالترابط والتماسك سمة بارزة لكل مستوى من المستويات السابقة . وهكذا وحسب رؤية (فان ديك) فإن وصف التمثيل الدلالي للجمل يظل قاصرا دون توضيح الأبنية المجردة التي تضمه أو تشكل أساساً له [1] وقبل الشروع في تحديد ذلك في سورة الأنعام ، نستعرض مجموعة من المبادئ التي تعين عليه:

1. النص أكبر وأشمل وحدة دلالية ، وهو يتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي ، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي ، ويتكون المستوى الأول (الأفقي) من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية،ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية .[2]

2. ينطلق الباحثون في علم النص في عملية التحليل النصي من الجملة ، لكنهم لا يعترفون لها بالاستقلالية عن السياق الموجودة فيه ، بل يعدونها جزءاً لا يتجزأ من ذلك السياق، مترابطاً ومتماسكاً مع ما قبله وما بعده ، ومن هذا المبدأ نشأت فكرة وضع تصورات للأبنية النصية الكبرى ، لأن الاعتبار السابق للجملة ينتج متتاليات مترابطة دلالياً وتركيبياً مما يؤكد حتمية وجود الأبنية الكبرى في النصوص.

3. وعلى الرغم من التقسيم السابق للبنى النصية إلا أنّ المقام يظل " بنية أساسية تسهم بشكل كبير في ترابط النص؛ إذ يبقى السياق هو الموجّه الأساس لسير النصّ في جميع أجزائه ، وبالتالي تنتج وحدة المقام وحدةً دلاليةً نصية .

4. الهدف من تحليل النص إلى بنى كبرى وصغرى هو إثبات : كيف أن النصّ أصبح بوساطة هذا البناء نصاً متماسكاً .

---

(1) انظر : (بحيري) سعيد ، علم لغة النص ، ص 112.

(2) المرجع نفسه ص 108.

هذا ويجد دارس النصّ أياً كان هذا النصّ أنه يحمل موضوعاً واحداً أو مجموعة موضوعات (للوهلة الأولى) . ولو بحثنا في النصّ القرآني على مستوى السور نجد أن بعض السور تتكون من أكثر من موضوع ، ولكن هذه الموضوعات ترتبط فيما بينها بروابط ما ؛إذ كل نص – كما قيل سابقاً – يتجمّع بوساطة بنية عليا واحدة هي هيكل النص أو موضوع أو تيمة واحدة .

ويقسّم النص إلى موضوعاته ،ويطلق بعض الباحثين على هذه الأقسام مصطلح البنية الكبرى وآخرون يطلقون عليها مصطلح الفقرة ، وكل فقرة في النصّ أو كل بنية كبرى تحتوي على بؤرة أصلية ؛ بمعنى أن كل فقرة تحوي جملة نحوية واحدة تشكل في النص نسبة تامة مستقلة بقابليتها للفهم ، في حين أن بقية الجمل التالية لهذه النسبة تشكل نسباً ناقصة[1] متعلقة بالجملة البؤرة ، وتابعة لها لا تستقل بقابليتها للفهم، وتقع هذه البؤرة الأصلية عادة في بداية الفقرة ، بحيث تكون أوّل جملها[2].

ويمكن أن نأخذ نموذجاً لفقرة من سورة الأنعام ونعمد إلى فحص المعايير السابقة فيه على النحو الآتي:

الفقرة الأولى تبدأ من قوله تعالى :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[3] ، حتى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[4] تناقش هذه الفقرة موضوع استحقاق المولى عزّ وجل للحمد والثناء، وكذلك إثبات الألوهية له ، وبيان موقف المشركين من الإيمان ، والفكرة أن الله خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه.

---

(1) النقص ليس تركيبيا فالجملة تامة تركيبيا ، إلا أنها لن تؤدي الغرض منها إذا نزعت من سياقها.
(2) (أبو خرمة) عمر، نحو النص ، ص 114.
(3) الأنعام (1)
(4) الأنعام (19)

البؤرة الأصلية في هذه الفقرة هي (الحمد لله) فهي محور الخطاب هنا ، أي أن هذا الحمد نتيجة حتمية لما منّ الله سبحانه وتعالى به من نعم ، ونتيجة لقدرته تعالى التي لا تضاهيها قدرة (خلق السموات والأرض) ، (خلقكم من طين) ، والامتناع عنه سبب من أسباب الهلاك ، واستحقاق الكفار الوعيد (ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده) ، (يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) .

فهذه البؤرة – كما جاء – تكوّن جملة محوية تشكل نسبة تامة مستقلة قابلة للفهم؛ فجملة (الحمد لله) تفيد استحقاق الله تعالى الحمد وحده دون غيره ، ولكن ذكر الاستحقاق يترتب عليه ذكر أمور أخرى، منها :

- الإنكار على المشركين جحودهم وكفرهم : (ثمّ الذين كفروا بربهم يعدلون)، (ثم أنتم تمترون)
- عظمة الله عز وجل وقدرته : (خلق السموات والأرض)، (جعل الظلمات والنور) .
- نعم الله عز وجل على الإنسان :(خلقكم من طين).

والجمل التالية لجملة البؤرة تشكل نسباً ناقصة تحتاج بشكل مستمر إلى شيء يجذبها إلى البؤرة الأصلية لتوجيهها الوجهة المقصودة في هذا السياق ، مثلاً جملة (الذي خلق السموات والأرض) لا يمكن فهمها بعيدا عن قوله (الحمد لله) فخلق السموات والأرض سبب لاستحقاق الحمد ، وجملة (وجعل الظلمات والنور) كذلك دليل آخر على أحقيته بالحمد ، لأنها أدلة على قدرته تعالى التي تجعل منه أهلاً لذلك الحمد.

أما جملة (ثمّ الذين كفروا بربهم يعدلون) فهي مرتبطة كذلك بالبؤرة الأصلية (الحمد لله) لأنها بيان للموقف المقابل للحمد وهو موقف الجحود والنكران الذي قابل به الكفار نعم الله عليهم .

وهكذا في بقية الجمل التالية في هذه الفقرة فما هي إلا امتداد للبؤرة الأصلية وهذا ما يسمى بظاهرة التوسيع في النصّ .(1)

وكما هو معهود في التحليل النصي "أن يحمّل الباحث في أثناء التحليل الجملة الأولى عبء تراكمية المعنى"(2)، وكذلك كان يفعل الكثير من المفسرين؛ إذ كانوا يربطون بين الجملة الأولى أو فاتحة السورة وبين ما يرد فيها من معانٍ بعد ذلك . يقول السيوطي في الإتقان : "من البلاغة حسن الابتداء ، وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أوّل ما يقرع السمع ... ومن الابتداء الحسن نوع أخصّ منه يسمّى براعة الاستهلال وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله"(3) .

ويظهر من قراءة النصّ القرآني أنه نص مكونٌ من جمل متتالية على مستوى نحو الجملة ، ومتعلقات بها على مستوى نحو ما فوق الجملة ، ومن متماسكات جملية بجملة بؤرة على مستوى نحو النص(4) .

لا يمكن تفسير جملة من جمل النص وتأويلها بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، فإن مفهوم النصّ تتحدد خصائصه بفكرة التفسير النسبي ، أي تفسير بعض أجزائه بالنسبة إلى مجموعها المنتظم كلياً ، فالتأويل هنا يصبح في خط داخلي ، أي تحديد معنى الجملة أو الجزء من النص في ظل معاني الأجزاء الأخرى، فلا يمكن

---

(1) الأصل في التوسيع أن يحدث بطرق أو علاقات محددة فهو ليس عشوائياً ، ومن هذه العلاقات : الحمل ، الإسناد ، التوضيح ، الوصف ، الصلة ، العطف ، الحال ، البدل ، التوكيد .

وتحتوي الفقرة موضوع التحليل على بعض هذه العلاقات مثل : علاقة الإسناد في قوله تعالى (الحمد لله) ، وعلاقة العطف في قوله تعالى : (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) ، وعلاقة الوصف في قوله (الذي خلق السموات والأرض) ، وعلاقة الصلة في قوله : (الذي خلقكم من طين)، فجميع هذه العلاقات تسهم في توسيع النص ".

(2) أبو خرمة ، ص 115.

(3) (السيوطي) جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 967 .

(4) انظر : أبو خرمة ، ص 201.

الوقوف على معنى قوله تعالى: "الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" إلا بمعرفة (الحمد) أولاً، وما ينبغي لله سبحانه وتعالى من ثناء وتمجيد هو حقيق به .

وهنا يجب أن نقف على ملحوظة مهمة وهي أن هذا التحول في التحليل من الجملة إلى النصّ لا يمثل تحولاً كمياً فقط ، بل هو نوعي يكوّن ما يسمى بأجرومية النصّ.وهو أن المعنى الكلي للنصّ والمعلومات التي يتضمنها أكبر من مجرد مجموع المعاني الجزئية للجمل التي تكونه ، لذلك فالدلالة الكلية له تنجم عنه باعتباره بنية كبرى شاملة ، هي موضوع علم النص ، فهو ينتج معناه بحركة جدلية لا تتمثل في الانتقال من الجزء إلى الكل ، وإنما بالتكييف الدلالي للأجزاء في ضوء البنية الكلية الشاملة للنصّ .[1]

وبعد هذه المقدمة حول أهمية تحليل الأبنية المختلفة للنص سنعمد إلى الدراسة الفعلية لكل نوع من أنواعها ، وتطبيق ذلك على سورة الأنعام مع التركيز في هذا التحليل للنص على إثبات الترابط النصي .

---

(1) انظر : بحيري ، علم لغة النص ، ص115.

أولاً : البنية العليا (Suprastructure):

يقصد بالأبنية العليا الأبنية العامة التي تميز نمط نص ما عن غيره ، أو هي القوالب التي تميز كل خطاب لغوي عن غيره ،أو جنساً أدبياً عن الآخر، مثلاً في الخطابة من المتعارف عليه والمعهود أن الخطبة تتكون من مقدمة وعرض للموضوع وخاتمة. ويبنى كل جزء من هذه الأجزاء بطريقة متفق عليها سلفاً في العرف اللغوي، فالمنشئ يراعي هذه المواصفات كما يستحضرها المتلقي عند استقبال النص.

.وينبغي الانتباه هنا إلى اختصاص الأبنية العليا ببناء وهيكل النص دون المضمون إذ قد يعالج المضمون نفسه في أكثر من قالب،فسورة الأنعام مثلاً تعالج قضايا عقدية وردت في السنة النبوية وفي كتب العلماء بإسهاب وتفصيل، ولكن البنية العليا للقرآن مختلفة كل الاختلاف عما عداها في معالجة هذا الموضوع .

"ويفرق بين الأبنية العليا والأبنية الكبرى أن الأولى براجماتية إجرائية خاصة بشكل النص ، أما الكبرى فدلالية خاصة بمضمون النص"[1] ؛ أي أن البنية العليا تحدد القالب المناسب لحمل الرسالة ، وتحقيق الاتصال بالطريقة المثلى.

ولم تعرف الأبنية العليا ولم توظف في التحليل بشكل تقليدي إلا في العلوم التي كانت فيها الأهمية النصية (أهمية القالب النصي) ، أي أن هذا الأخير يؤخذ في الاعتبار في أثناء قراءة النص [2].

وبهذا فإن البنية العليا تميز بين أجناس النصوص ، حتى في أسمائها ومصطلحاتها ، وهذا التمايز يسهّل على القارئ والمفسر عملية التلقي والقراءة ، فهو يعمد إلى وضع نموذج (هيكل) البنية العليا في أثناء القراءة إذ يرشده ويوجهه فالقارئ لسور القرآن الكريم يتوقع آيات وفواصل ، أما القارئ في قصيدة شعرية فيتوقع أبياتاً و أشطراً وقافية ورويّاً .

"ولقد أدرك الجاحظ ذلك على مستوى القرآن الكريم، ورأى أن هذه الأسماء

---

(1) (دايك) أ. فان ، علم النص ، ص 208.

(2) المرجع نفسه ، ص 208.

التي أطلقها النص على نفسه وعلى أجزائه مثل السورة والآية والفاصلة هي من قبيل الأسماء التي تؤكد مخالفة النص لغيره من النصوص في الثقافة .. فالنص ينتسب إلى الثقافة من حيث "شفاهيته" في التلقي والأداء ، لكنه ينفصل عنها باختيار الأسماء الدالة على أجزائه"[1]. وقد ذهب القدماء في قضية إعجاز القرآن كل مذهب ،في النظم الداخلي في النص القرآني، حيث كثر فيه التأليف خاصة بعد كتاب عبد القاهر (دلائل الإعجاز)[2]، وتصريحه بنظريته في النظم ، لكن الباقلاني انتبه إلى قضية مهمة حول طبيعة النظم، ورأى أن الإعجاز لا يقتصر على النظم الداخلي للنص القرآني بل هناك نظم خارجي معجز فيه، وبالتأكيد فإن هذا الأخير له أثره في ترابط النص القرآني مثلما حدث في النظم الداخلي ، يقول في ذلك : "والوجه الثالث أنه بديع النظم عجيب التأليف "[3]. ثم يشرح مفهوم (النظم) لديه في هذا الموضع فيقول : " وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصريفه عن أساليب الكلام المعتاد ؛ وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدّل المسجّع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ، ثم إلى ما يرسل إرسالا "[4].

كما نلاحظ أن الباقلاني يتحدث في الفقرة عن قوالب وأجناس أدبية ؛ إذ ينفي مماثلة القرآن الكريم لها ، وهي لا تختلف عمّا يطلق عليه اليوم في علم النص بالأبنية العليا، فهو يرى أن البنية العليا للنص القرآني مميزة عن باقي القوالب من شعر ونثر، وهذا التمييز وجه من وجوه إعجازه ، وسبب من أسباب عجز العرب عن مجاراته ،

---

(1) (أبو زيد) نصر حامد، مفهوم النص ، ص60.

(2) برز ذلك في كتب إعجاز القرآن وعلومه مثل : إعجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ومؤلفات السيوطي .

(3) (الباقلاني) أبو بكر بن محمد ، إعجاز القرآن ، دار إحياء العلوم ، الطبعة الثالثة، بيروت ، 1994م ، ص 65.

(4) المرجع نفسه ،ص66.

فالإعجاز ليس مقصوراً على النظم الداخلي للقرآن، بل يتعداه إلى الهيكل الذي عجز الفصحاء عند بناء مثيل له ، وهذا ما يفسر أنّ الله تعالى تحدى العرب أن يأتوا بسورة من القرآن ولم يصل الأمر إلى الآية ، لأن القرآن معجز ببنيته العليا المتحققة في السورة الكاملة ، قال تعالى :﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[1] .

"والبنية العليا لا تكشف في النص عن كلية خاصة تالية فحسب ،بل إنها تحدد في الوقت ذاته النظام الكلي لأجزاء النص أيضا ، فهي تتكون من وحدات محددة خاصة بمقولة (جنس) محدد"[2]

مما يسهل على القارئ تتبع الأجزاء المتعارف عليها لذلك النص ، فالقصيدة الجاهلية عرفت بهيكلها المكون من مقدمة طللية، مشتملة على شيء من الغزل، ثم وصف الراحلة والحيوانات البرية كالبقر الوحشي وغيرها، ثم موضوع القصيدة من فخر ،أو مدح ،أو اعتذار مع اشتمالها – غالبا- على بعض الحكم .

فوعي القارئ بهذه الهيكلية يرسم له الطريق لقراءة القصيدة ، وهكذا في معظم الأجناس الأدبية .

إذن فالبنية العليا تشترك مع المضمون والوظيفة البراجماتية والاجتماعية في توجيه النص ليتشكل بهيئة معينة ، ويتكون بطريقة محددة .

هناك سؤال يطرح نفسه في هذا السياق وهو: هل يشترط وجود بنية عليا في كل نص ؟ كما يرى فان دايك أن الإجابة عنه أمبريقية (إجرائية تجريبية) تعتمد على تجربة تحليل كم كبير من تلك النصوص ، وإثبات وجود بنية عليا فيها [3].

وهكذا فالبنية العليا نوع من التخطيط الذي يتواءم معه النص ، فإذا جئنا إلى النص القرآني الذي نحن بصدد دراسة عينة منه يمكن أن نقف على ماهية البنية العليا

---

(1) البقرة (23).

(2) (دايك) أ. فان ، علم لغة النص ، ص 210.

(3) انظر : المرجع نفسه ، ص 245.

من خلال النص نفسه، مما تعارف عليه الدارسون ، وتم الاتفاق[1] على حضوره في أيّ سورة من سور القرآن . وسنعدد بعض تلك الخصائص التي تواترت في أبحاث العلماء قديماً وحديثاً ، ونطبق عليها من سورة الأنعام:

1- "تناسب الآيات والسور وارتباط بعضها ببعض: وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حالاً لبناء المحكم المتلائم الأجزاء"[2] . وهو على نوعين :

- الارتباط الظاهر: وذلك عند وضوح أداة الربط أو علته في الكلام مثل العطف والتوكيد وغيره .

- الارتباط غير الظاهر: وذلك أن تكون كل جملة مستقلة عن الأخرى في ظاهر الكلام.

وقد تحدثنا آنفا عن هذه السمة ومثلنا عليها في مختلف صورها من سورة الأنعام فلسنا بحاجة إلى إعادة ذلك تجنباً للتكرار .

2- المناسبة بين فواتح السور وخواتمها :

فسور القرآن الكريم مبنية على هذه الخصيصة ، إذ ينسجم بدايتها مع خاتمتها، والتزمت معظم السور بهذا القالب . وسنفرد موضعاً خاصاً للحديث عنه في الفصل الثالث.

3- المناسبة بين اسم السورة (عنوانها) ومضمونها :

أي هناك علاقة بين اسم السورة (الأنعام مثلا) ومضمونها أو محتواها ، جاء في التحرير والتنوير قوله :"ليس لهذه السورة إلا هذا الاسم من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسميت سورة الأنعام لما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات"[3].

---

(1) كما هو معلوم أن الأبنية الكبرى ليست عرفية فهي متباينة من نص إلى آخر ، أما الأبنية العليا فشأنها شأن الأبنية النحوية هي عرفية ، أي متفق عليها ومحددة .

(2) (السيوطي) جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 973.

(3) ابن عاشور ، التحرير والتوير ، ج1 ، ص5 .

وهكذا في بقية السور في القرآن الكريم ،إذ يرتبط اسم كل منها بمحتواها ومضمونها بل غالباً ما يمثل الاسم القضية المحورية للسورة .

4- الإيقاع :

إذ تبرز هذه السمة في الآيات في أشكال مختلفة على مستوى الألفاظ تارة وعلى مستوى الفواصل تارة أخرى ، وتؤدي وظيفة أساسية في الدلالة .

" إن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً، فقد أعفي التعبير من قيود القافية الموحدة، والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن، التي تغني عن التفاعيل، والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي ؛ فنشأ النثر والنظم جميعاً"[1].

والإيقاع في القرآن يختلف عما عليه موسيقى الشعر وبحوره ، وكذلك عن النثر المسجوع الذي عرفه العرب ، فهو ينبعث من تآلف الحروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل ، ومرده إلى الحسّ الداخلي والإدراك الموسيقي ، الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع ، ولو اتّحدت الفواصل والأوزان [2]. تكثر في الأنعام النماذج الإيقاعية التي تظهر آثارها في الدلالة ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

لا يخفى على قارئ هذه الآيات ما فيها من انسجام إيقاعي فلو حذفت منها لفظة أو جزءا من لفظة يحدث ثغرة بينة في بنية الخطاب الإيقاعية ، وهكذا في أغلب آيات القرآن الكريم .

---

(1) (قطب) سيد ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ط17، دار الشروق ، القاهرة ، 2004 ، ص 103.

(2) انظر : المرجع نفسه ، ص 104.

(3) الأنعام (85- 87)

5- الفاصلة القرآنية :

هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع[(1)].

"وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً"[(2)].

وتتسم الفواصل القرآنية بالآتي :

(أ) "توظيف حروف ذات وقع نغمي ووضوح سمعي لتظهر للسمع حين الوقف عليها، لذلك وظفت النون فاصلة في حوالي 51٪ من آياته ، تلتها الميم بحوالي 12.5٪ وهما أهم حروف الترنم في العربية"[(3)].

وأمثلته كثيرة في سورة الأنعام ،منها قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[(4)].

(ب) وحدة البنية الإيقاعية : ويتم ذلك بعدة وسائل منها :

---

(1) (السيوطي) جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ص941.

(2) المرجع نفسه ، ص 942.

(3) (خضر) السيد ، الفواصل القرآنية ، مجلة الموقف الأدبي ، موقع اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001م.

(4) الأنعام (20-25).

1) التقديم والتأخير :

ويحدث كثيراً في الفواصل القرآنية ، إذ تظهر أهمية الإيقاع الذي يحدثه التقديم والتأخير ، وهو يحدث لأغراض منها : غرض إيقاعي، إذ تأتي الفاصلة بالحرف الذي يتصف بوقعه وإيقاعه القويّ، فيحدث بالتالي تأثير في نفس السامع ، وغرض آخر بلاغي معنوي إذ يؤدي هذا التقديم والتأخير أغراضاً دلالية يمكن أن نمثل لها بالآتي من سورة الأنعام :

- ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1].

- ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[2].

- ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3].

فأصل الكلام (يجحدون بآيات الله) في الآية الأولى ، و (يحافظون على صلاتهم) في الثانية، و (يستكبرون عن آياته) في الثالثة .

2) الحذف في الفواصل :

وغالباً ما يحذف المفعول في هذه المواضع ،وذلك للمحافظة على البنية الإيقاعية، إضافة إلى الهدف الدلالي . ومن أمثلة ذلك في الأنعام قوله تعالى :

-﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

أي بما كانوا يعملونه.

---

(1) الأنعام (33).

(2) الانعام (92).

(3) الأنعام (93).

(4) الأنعام (108)

- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[1]. أي و ما يفترونه .

ولو ذكر المفعول في هذه المواضع لأدى إلى غياب البنية الإيقاعيـة الـتي تشـترك فيها مع أكثر آيات السورة الكريمة ، كي تعطي انطباعاً بوحدة خطابية متجانسة .

6- القصص القرآني :

من خصائص البنية العليا للقرآن الكريـم توظيفـه للقصـة ، فـهو كتـاب دعـوة عقدية وتربية على القيم والمبادئ الروحية ، وفي هذا الإطار جاءت القصـة القرآنيـة ، فهي وسيلة من وسائل القـرآن الكثـيرة إلى أغراضـه ، لهـذا فقـد خضعـت القصـة في القرآن الكريم بشكل يتميز عن القصة الفنيـة المعروفـة وبذلـك يمكـن اعتبـار القصـة القرآنية ضمن أركان البنية العليا التي يتميز بها النص القرآني عن غـيره، ويمكـن بيـان مجموعة من المظاهر لهذا التميز على النحو الآتي:

(أ) التميز في طريقة العرض : فأحيانا يأتي ملخص للقصة سابقاً لها ثم تتلوه هي ، وذلك مثل قصة أهل الكهف ، وأحيانا قد تذكر عاقبة القصـة ثـم تفصـل بعـد ذلك . مثل قوله تعالى في سـورة القصـص :﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2] إلى آخر القصة.

(ب) الفجوات الزمانية:

وهذه الطريقة متبعة في جميع القصص القرآني تقريباً [3] ، ويمكن أن نمثل لذلـك من سورة الأنعام بقصـة سيدنا إبراهيـم ، قـال تعـالى :﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا

(1) الأنعام (112)

(2) القصص (2- 4)

(3) قطب ، التصوير الفني ، ص 187.

رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[1].

فبين حدثي رؤية القمر ثم رؤية الشمس فترة زمنية لم تأت الآيات على ذكرها ، ولكن المتلقي يدرك بطبيعته استحالة اجتماع الشيئين (القمر ، الشمس) في وقت واحد .

(ج) عنصر المفاجأة في القصة:

ويظهر ذلك أيضاً في قصة سيدنا إبراهيم في سورة الأنعام عندما يتعجب السامع من أن أبا الأنبياء يقول ما قاله من ادّعاء العبودية للكوكب ، ثم للقمر ، ثم للشمس ، ولكنه يدرك سّر ذلك ، حينما تطالعه الآيات الأخيرة في القصة على لسان إبراهيم نفسه؛ إذ يقول : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]

7- المناسبة :

هي من أهم مكونات أو خصائص البنية العليا للنص القرآني ؛ إذ كتب فيها الأقدمون من المفسرين وممن صنّفوا في علوم القرآن . وكذلك تمسك بها المحدثون وأقروا بعدم إمكانية قراءة النص القرآني بدونها . جاء في مقدمة (الأساس في التفسير): "إن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد ، دقيق السبك ، متين الأسلوب قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سوره ، وآياته ، وجمله ، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة"[3]. وتنقسم المناسبة إلى أقسام :

(أ) المناسبة بين أول السورة وآخرها .

(ب) المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة.

(ج) المناسبة بين السورة السابقة واللاحقة[4].

---

(1) الأنعام (77 -78).

(2) الأنعام (78 - 79).

(3) (حوّى) سعيد ، الأساس في التفسير ، دار السلام ، القاهرة ، ط2 ، 1989م، ص 25.

(4) سيأتي تفصيلها في الفصل الثالث .

وهكذا استعرضنا في الصفحات الماضية مفهوم البنية العليا كما هي في علم النصّ ، ثم قمنا بتحديد البنية العليا للنص القرآني من خلال قراءة في كتب الإعجاز القرآني القديمة منها والحديثة، إضافة إلى ما كتبه الأقدمون في علوم القرآن ، فكان اتفاق بين هؤلاء على بنية عليا للنص القرآني [1] رسمنا هيكلها فيما سبق من صفحات ، إذ تكونت من سبع أسس لم تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم ، لذلك لم نتطرق إلى الخصائص التي تميز بعض السور ؛ لأننا بصدد الحديث عن بنية أو قالب عام للنصّ القرآني يتكرر في سوره جميعها .

قد يكون مثل هذا المنهج الاستقرائي مناسباً في هذا الجزء من البحث ؛ وذلك لأن البنية العليا بطبيعتها عرفية – كما جاء قبل – أي يتفق المتلقون عليها ويتعارفون ، وتوجه بذلك قراءتهم للنص ، وهذا ما حصل بالفعل في تفاسير القرآن الكريم فيما يتعلق بالأسس المذكورة آنفاً .

---

(1) يقصد بالنص هنا (السورة) ، ويمكن أن يكون النص هو القرآن الكريم بجميع سوره ، فالبنية العليا عند (فان دايك) يمكن تحديدها بالنسبة للنص بوصفة كلاً أو بالنسبة لقطع محددة من النصّ .

ثانيا : الأبنية الكبرى (Makrostructures) :

"هي بنية تجريدية كامنة تمثل منطق النصّ ، أو ما أطلق عليه جريماس : البنية العميقة الدلالية والمنطقية"[1]. ويقصد بالتجريدية هنا أنها غير ملموسة بشكل مباشر من النصّ بل تحتاج إلى قراءة فاحصة لمضامين النصّ، فهي ليست قواعد عرفية متفق عليها سلفاً كالبنية العليا ، فالقارئ لنص من النصوص يمكنه معرفة خصائص البنية العليا للنص قبل قراءته من خلال الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه ، أما الأبنية الكبرى فلا يمكنه أن يصل إليها إلا بعد قراءته المتعمقة للنص ، فهو يعلم مثلاً عن سورة الأنعام قبل قراءتها أن مضمونها مرتبط بالعنوان (أنعام)، ولابد من علاقة بينهما، ويعلم كذلك أن القصص الواردة فيها (كقصة سيدنا إبراهيم) هي ذات خصائص محددة معلومة يتميز بها القصص القرآني عامة ، ويعلم أن هناك إيقاعاً داخلياً على مستوى الألفاظ كعادة آيات القرآن الكريم ، وإيقاعاً على مستوى الفواصل ... ألخ (هذه هي البنية العليا)، لكنه يجهل موضوعات السورة ، والقضايا التي ستتناولها ، ومضامينها المعنوية(البنية الكبرى) قبل قراءته للسورة.

"وهكذا فالأبنية الكبرى عبارة عن تصورات دلالية يتجمع تحتها كم غير محدد من الأبنية الصغرى ، ويناط إلى المفسر تحديدها ، وتحديد أشكال التماسك الكلي ؛ لأن ذلك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي ينشده القارئ"[2] .

إذن فالبنية الكبرى تتكون من مجموعة من الأبنية الصغرى أو المتتاليات الجملية، ولا يوجد تفسير مطلق للأبنية الكبرى ، فتحديدها في كل نص يعود إلى نوع القراءة لذلك النص، وتتدخل فيه عوامل كثيرة مثل ثقافة القارئ والزمان والمكان وأهداف القارئ مما يقرأ، والحقيقة أن هذا المبدأ حول الأبنية الكبرى يعطي تفسيرا منطقياً لاختلاف المفسرين في تأويل بعض آي القرآن الكريم ، فهم متفقون في المعاني المعجمية للألفاظ ؛ إذ المراجع واحدة في ذلك ، ولكن الاختلاف في المعاني السياقية

---

(1) (بحيري) سعيد ، علم لغة النص ، ص 112.

(2) المرجع نفسه ، ص 116.

على مستوى البنية الكبرى وموقعها من السورة [1].

ومن الواجب هنا التنبيه على قضية في غاية الأهمية عند تحليل النصوص لتحديد الأبنية الكبرى لها وهي أن هذه الأبنية ليست مجموع أبنية المتتاليات الجملية، أي ليست مجموع الدلالات للجمل التي تتكون منها كل بنية كبرى، بل هي نتاج تفاعل معقّد لمكوناتها المعجمية والتركيبية والدلالية والسياقية ،أي أن البنية الكبرى هي مزيج من بنية النص اللغوية ،وقصد المؤلف، وتوقعات (ثقافة) المتلقي"[2]

وتحقق البنية الكبرى مبدأً مهماً على مستوى التحليل النصي، وذلك حين توجه القارئ إلى البحث عن التماسك النصي على مستوى النص كاملاً، وتثنيه عن البحث في التماسك بين جملة وأخرى تالية لها (هذه العلاقات تقدم البنية الصغرى فقط). وكما يرى فان دايك:

"لا يجب الاهتمام في وصف الأبنية الكبرى بأوجه الربط بين جمل متفرقة وقضاياها ،بل بأوجه الترابط التي ترتكز على النص بوصفه كلاً، أو بالوحدات الكبرى للنص"[3].

---

(1) جاء في مقدمة كتاب (التفسير والمفسرون) في أثناء الحديث عن أسباب اختلاف التفاسير: وكان من بين المسلمين من أهمل هداية القرآن ... فأخذ يتأول القرآن على غير تأويله، وكان الذي رمى به في هذه الطريق الملتوية هو تسلط العقيدة على عقله وقلبه، فحاول أن يأخذ من القرآن شاهدا على صدق بدعته، وتحايل على نصوصه الصريحة لتكون دعامة يقيم عليها أصول عقيدته ... وكان بجوار هذا الفريق من المسلمين، فريق آخر منهم، برع في علوم حدثت في الملّة فحاولوا أن يربطوا بين ما عندهم من قواعد ونظريات وبين ما في القرآن من أصول وأحكام وعقائد ...(انظر : (الذهبي) محمد حسين، التفسير والمفسرون ج1، دار إحياء التراث، ط2، ص8)

(2) انظر : (أبو زنيد) عثمان، نحو النص في خطب عمر بن خطاب (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، 2000م ،ص 48.

(3) دايك، علم النص، ص 74.

وبعد هذا البسط النظري لمفهوم الأبنية الكبرى ، وآليات توصيفها في أثناء تحليل النصوص سوف نعمد إلى التطبيق على سورة الأنعام ، وبيان كيف تسهم الأبنية الكبرى في تحقيق التماسك النصي ، وقبل الشروع في التطبيق ينبغي الوقوف على مجموعة من الأساسيات التي يجب مراعاتها في أثناء ممارسة التطبيق على النص فيما يتعلق بالأبنية الكبرى ، وهي على النحو الآتي :

1. الأبنية الكبرى هي أبنية دلالية بحتة مميزة عن البنية العليا ، ويمكن أن تكون في النص بنية كبرى واحدة ، وقد تكون فيه أبنية كبرى عديدة ، وهي مجموع القضايا التي يناقشها ويعالجها النص.
2. يجب أن تلتزم التتابعات الجملية داخل البنية الكبرى بقواعد الترابط الرأسي (الدلالي) ، أي لابد من دلالة مركزية موحدة على مستوى كل بنية كبرى .
3. ليس مهماً في معالجة البنية الكبرى ووصفها التركيز على أوجه الربط بين جمل متفرقة وقضاياها ، بل ينصبّ الاهتمام على القضية الكبرى في تلك الوحدة النصية.
4. تتسم البنية الكبرى بالنسبية؛ أي قد تختلف قراءتها وتحديدها من متلقٍ إلى آخر ، حسب ثقافة كل منهم وميوله، مع اعتماد قرائن واضحة في كل قراءة .
5. يشترط في تحديد البنية الكبرى ارتباطها بالموضوع الأساس والكلي للنص.
6. يراعى في تحديد الأبنية الكبرى أن استعمال اللغة قد ينحرف عن القواعد التركيبية والدلالية المعروفة خاصة في أثناء عملية الاتصال.
7. ضرورة وجود علاقات بين الأبنية الكبرى (دلالية أو تركيبية) وقد تترابط بنيتان كبيرتان في النص ليس بينهما رابط مباشر ، لكن ارتباط كل منهما بالنص الكلي صنع هذه العلاقة.
8. تعطي الأبنية الكبرى في النهاية إجابة حول ماهية موضوع النصّ أو موضوع الخطاب. وهي تساعد المتلقي عندما يواجه نصاً طويلاً في الإجابة عن سؤال : ما موضوع النصّ؟

9. تساعد الأبنية الكبرى على إنتاج نصوص أخرى تشتمل على علاقات مع النصوص الأصلية (كالتفسير، والترجمة، والتحليل، والتلخيص).

10. تعتمد عملية تحديد الأبنية الكبرى لنص ما على مجموعة من العمليات الإدراكية وهي : الحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب .

والمتأمل في الأسس السالفة الذكر للبنية الكبرى للنصوص يلحظ أنها جميعاً دون تحديد من عوامل الترابط داخل النص، وهذا ما سيظهره التطبيق على سورة الأنعام حيث سنحدد أبنيتها الكبرى والوقوف على ما بينها من تماسك.

وإذا كانت الأبنية الكبرى ذات طبيعة دلالية فإن الحاجة ملحة لمعرفة بعض الجوانب الموجهة للوصول للنواحي الدلالية في السورة (ببليوجرافيا السورة)، ولن تعرض إلا بالقدر الذي يحقق هذا الهدف (يساعد في تحديد الأبنية الكبرى داخل السورة):

- العنوان (الأنعام):

سميت بهذا الاسم لكثرة ما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات ،وهي السورة التي عرضت لذكر الأنعام بتفصيل لم يرد في غيرها من السور.

- هي "مكية بالاتفاق" [1] إلا الخلاف الذي حصل في بعض آياتها.
- عدد آياتها مائة وخمس وستون آية . وهي السورة السادسة في ترتيب المصحف .
- أسباب نزولها[2]: "عن ابن عباس أنها نزلت بمكة جملة واحدة، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم .وروي عن سفيان الثوري، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت : نزلت سورة الأنعام على الرسول صلى الله عليه وسلم جملة وهو في مسير وأنا آخذة بزمام ناقته إن كادت من ثقلها لتكسر

---

(1) رواه أبو عبيدة، والبيهقي، وابن مردوية، والطبراني عن ابن عباس.

(2) هناك أسباب خاصة لبعض الآيات مثل قوله تعالى : (قل أي شيء أكبر شهادة ...) ،أخرج ابن اسحق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : جاء النمام بن يزيد وقروم بن كعب ويحري بن عمرو فقالوا : يا محمد ما نعلم مع الله إلها آخر فقال : (لا إله إلا الله ؛ بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو، فانزل الله في قولهم (قل أي شيء أكبر شهادة).

عظام الناقة".[1] ونزلت بعد سورة الحجر.

- هي أول سورة مكية في ترتيب المصحف ، وقد نزلت دفعة واحدة ، وتعالج موضوعاً واحداً هو موضوع العقيدة. يقول سيد قطب في الظلال : "هذه السورة نموذج كامل للقرآن المكي ، وهي تمثل طبيعة هذا القرآن وخصائصه ومنهجه ، في موضوعها الأساس ، وفي منهج التناول وفي طريقة العرض سواء ، ذلك مع احتفاظها بشخصيتها الخاصة ؛ وفق الظاهرة الملحوظة في كل سور القرآن ... حتى وهي تتناول موضوعاً واحداً أو موضوعات متقاربة . فليس الموضوع هو الذي يرسم شخصية السورة ، ولكنه هذه الملامح والسمات الخاصة بها"[2] .

وهذه الوحدة الموضوعية على مستوى النصّ الكلي في السورة ، لا تحول دون تقسيم النص إلى أبنيته الكبرى، التي تندرج تحت مظلة القضية العامة للموضوع ، فالسورة تعالج قضية العقيدة من أكثر من جانب .

ومنهجنا في هذه الدراسة بأن نجمل بداية الأبنية الكبرى في سورة الأنعام، ثم نعمد إلى معالجة مجموعة من هذه الأبنية معالجة نصية نركز فيها على تحديد العلاقات بين كل بنية كبرى، والموضوع الرئيس للسورة من جهة ، وبين الأبنية الكبرى بعضها ببعض .

والبنية الكبرى – كما جاء سابقاً– نسبية بين قارئ وآخر ، حسب ثقافة القارئ، وأهدافه من القراءة ، لذلك جاءت التفاسير مختلفة حول الأبنية الكبرى في سورة الأنعام. و يمكن أن نجمل بعضها هنا، حيث نعرض بداية تحديد الدكتور عبد الله شحاته للأبنية الكبرى في سورة الأنعام ؛ إذ حددها بالقضايا الآتية :

(أ) وحدة الألوهية .

(ب) قضية الوحي والرسالة ، ويتضمن موضوعين هما : تكذيب المرسلين ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(1) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج6 ، ص 6.

(2) (قطب) سيدّ ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الحادية والثلاثون ، 2002م ، ج2 ، ص 1015.

(ج) قضية البعث والجزاء .

(د) قصة إبراهيم عليه السلام.

(هـ) الوصايا العشر[1] . (هي الوصايا التي وردت في آخر السورة).

وسنختلف قليلاً مع التحديد السابق للأبنية الكبرى في السورة ؛ لأنه من العموم بحيث أغفل بعض الموضوعات الكلية الكبرى في السورة ، إضافة إلى عدم تحقيق بعض شروط البنية الكبرى في بعض أجزائه ، وهو شرط الترابط الدلالي لمحتوياتها فوحدة الألوهية مثلاً تتضمن موضوعات كبرى ، فالسورة تعرض الألوهية في عدة مظاهر منها : مجال الكون والحياة ، وتعرضها في مجال النفس والضمير ، وتعرضها في مجاهيل ذلك الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، وتعرضها في مصارع الغابرين واستخلاف المستخلفين، وتعرضها في مشاهد الفطرة وهي تواجه الكون ، وتواجه الأحداث وتواجه النعماء والضراء [2].

---

(1) انظر : (شحاته) عبد الله ، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم،ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986م ، ص79.

(2) انظر : قطب ، في ظلال القرآن ، ج2 ، ص1016.

جدول (1)

الأبنية الكبرى في سورة الأنعام

م	البنية الكبرى	الآيات	
		من	إلى
1	استحقاق الله سبحانه وتعالى للحمد والثناء	1	19
2	أحوال المشركين في الدنيا والآخرة.	20	32
3	تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عمّا يجد من صدود قومه.	33	90
4	المحاورة المباشرة للكافرين	91	105
5	توجيهات ربانية في الدعوة إلى الله	106	117
6	الاعتراف بنعم الله سبحانه والإخلاص له.	118	122
7	العدل الإلهي في الجزاء	123	135
8	التوجيه الرباني في الأنعام	136	150
9	إلغاء نهج الجاهلية	151	153
10	ملخص العقيدة المضمّنة في الدعوة إلى الله	154	165

في هذا الموضع لا يهمنا أن نصنف الأبنية الكبرى السابقة من حيث مكوناتها ؛ لأن ذلك العمل سيأتي في أثناء الحديث عن الأبنية الصغرى . لكن المهم الآن البحث عن أوجه ترابط هذه الأبنية الكبرى، والمرجح بعد التأمل في النص أن الروابط التركيبية منعدمة بينها، إذن سنركز على النواحي الدلالية ،وهي على مستويين [1]:

(أ) ترابط الأبنية الكبرى بعضها ببعض .

(ب) ترابط الأبنية الكبرى مع الموضوع الكلي للنص.

---

(1) ننبه هنا أننا لن نسهب في معالجة العلاقات بين الأبنية الكبرى في هذا الموضوع لأنه سيفرد لها فصل مستقل تحت عنوان: (آليات الترابط النصي في سورة الأنعام) .

يمكن أن نحدد الموضوع العام للسورة في معالجة قضية (العقيدة)، وكل ما جاء بعد ذلك يندرج تحت هذه المظلة ؛ إذ جاءت الأبنية (القضايا) الكبرى من إشعاع هذه البؤرة العامة على النحو الآتي :

- **البنية الأولى** : أن الله تعالى مستحق للحمد والثناء، وذلك لجلال قدرته، وعظيم آلائه على الإنسان، فهو الواحد المستحق لذلك دون غيره .
- **البنية الثانية**: على الرغم من وضوح الآيات والدلائل على أحقية المولى عز وجل بالعبادة والألوهية والتوحيد إلا أن هناك من انحرف عن هذا الطريق، يذكر المولى عز وجل أوصافهم في الآيات (20-32) حتى لا يتعجب من يعلم فعلهم ذلك، فأفعالهم موافقة لعقيدتهم الفاسدة التي تنفي الألوهية عن الله أو تشرك به شيئاً من خلقه.
- **البنية الثالثة**: عزّ على النبي صلى الله عليه وسلم ما شاهد من صدود الناس عن هذا الدين على الرغم من الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة على وحدانية الله عز وجل، مما جعله يلحّ عليهم،و يبالغ في دعوتهم، ويتألم لما يراه من كفرهم وصدودهم عن المنهج الحقّ، فجاءت الآيات تسري عنه وتخفف ما يجد من أحزان وحسرة عليهم .
- **البنية الرابعة**: لم تجد الدعوة النبوية نفعاً مع هؤلاء الجاحدين، ولم يستجيبوا لما يقدمه لهم النبي صلى الله عليه وسلم من مواعظ وعبر وإنذار، فكانت الحاجة إلى الجدال والحجاج المباشر وتفنيد الحجة بالحجة لإثبات القضية نفسها (وحدانية الله عز وجل).
- **البنية الخامسة**: في وسط هذه المعركة المحتدمة بين الكفر والإسلام، وبين الجاهلية والدين الجديد كانت حاجة حملة هذه الدعوة إلى بعض التوجيهات التي تعينهم وتثبتهم على ما هم عليه من الحقّ، إضافة إلى حاجتهم إلى وسائل ناجحة للتعامل مع هذه الدعوة المتميزة عن أيّة دعوة أخرى[1]، فجاءت هذه البنية لتضع مجموعة

---

(1) يرى سيد قطب أن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا بدعوة أخرى غير التوحيد في البداية

من الاستراتيجيات لنجاح دعوة التوحيد، وضمان وصول رسالة التوحيد .

- **البنية السادسة:** جاءت هذه البنية لتحقق ما جاء من نظرية في العقيدة في الآيات السابقة من إفراد المولى عز وجل بالألوهية على المستوى العملي التطبيقي ، فهذه البنية تؤكد حقيقة أن كل من اعترف لله بالوحدانية وجب أن يوجه سلوكه حسب هذا الاعتقاد ، ويلتزم بما أحلّ الله له ، وينتهي كما نهاه عنه .

- **البنية السابعة:** بعد ما جاءت الأوامر الإلهية في قضية العقيدة والتوحيد ، واختار الناس طريقهم فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة ، أصبح من الطبيعي أن يكون الجزاء من جنس عمل الإنسان أو مناسبا لاختياره ، فمن جدّ وجد ، ومن أشرك هلك.

- **البنية الثامنة:** في هذه البنية بيان ما أفرزنه العقائد الفاسدة والمنحرفة عن المنهج القويم من اعتقادات شاذة، فيما يتعلق بنعم الله تعالى في الأرض ، فالنفوس التي زاغت عن منهج التوحيد، أشركت بالله في هذه الأنعام، من حيث الاعتقاد بوجودها من جهة ، أو الاستفادة منها من جهة أخرى ، ثم ذهبت بعد ذلك في تعداد مزيد من النعم التي أفاء الله بها على الإنسان وما يجب على الإنسان تجاه ذلك.

- **البنية التاسعة:** ما كان ذلك التمسك بالشرك من قبل فئة من الناس إلا إصرارا على البقاء على منهج الجاهلية ، وجاءت هذه البنية تستبدل شرائع سماوية فيها سعادة الإنسان بشرائع الجاهلية المنحرفة الشاذة عن الفطرة الإنسانية ، فالألوهية ليست مقصورة على عقيدة يحملها قلب الإنسان ؛ بل هي ممارسة فعلية تظهر ثمارها في حياته .

(كالقومية مثلا) لما وجد ذلك الصدود ولكان الطريق ممهدا له ولما احتاج إلى وسائل معينة لإثبات تلك الدعوة ، ولكن - على حدّ قوله - لم يكُن الله ليخلّص الناس من طاغوت فارسي وطاغوت روماني ليحكّم فيهم طاغوتاً عربياً (انتهى كلامه). فدعوة التوحيد دعوة متميزة في كل شيء ، الوسائل ، والخطاب ، والاستراتيجيات المتبعة فيها ، حتى ردود الأفعال التي أثارتها وهذا ما عالجته البنية الخامسة . (انظر: قطب ، في ظلال القرآن ، ط 31 ،دار الشروق، القاهرة ، ، 2002م ، ص1022) .

- **البنية العاشرة:** تقدم هذه البنية ملخصاً عاماً حول القضية الكبرى للسورة، وتطالب المؤمنين هنا بالتمسك بما جاء؛ لأنه سبب الهدى والسعادة في الدارين ، وتعزز لديهم التوجه بكل ما يقدمونه إلى المولى عز وجل، حتى لا يخالطه شيء من أدران الدنيا من رياء وغيره، ثم يذكرّ الله تعالى بني الإنسان بنتيجة مهمة للألوهية، وهي التكليف، أو الاستخلاف في الأرض .

وهكذا نرى أن الأبنية الكبرى للنصوص دلالية ، فهي تمثل محصلة الترابط القائم بين الأبنية الصغرى، وبالتالي يناط بها دور تحديد معنى النصّ وموضوعه ، وهي في مجموعها – كما رأينا – تلتقي في نقطة واحدة تمثل هذه النقطة القضية الكبرى للنص.

فالأبنية الكبرى العشر السابقة لسورة الأنعام مرتبطة بالقضية الكبرى للسورة، وتجتمع حولها، وهي قضية (العقيدة) ، فالترابط إما أن يكون بين الأبنية الكبرى بعضها ببعض، أو بين البنية الواحدة والموضوع العام للنص ، وهذا ما يصنع الترابط بين بنيتين ليس بينهما رابط مباشر[1] . إذا غالباً ما تكون الأبنية الكبرى متماسكة داخلياً بقوانين النحو ، ولكنها لا تماسك فيما بينها على المستوى النحوي .

---

(1) يرى فان دايك أن عدداً كبيراً لا نهائياً من النصوص المعينة يمكن أساساً أن يشكل عماد بنية كبرى محدودة ، أي كل النصوص التي لها المعنى الكلي ذاته .

ويمكن تمثيل ذلك على القرآن الكريم بمجموع السور القرآنية التي تناقش قضايا مترابطة في نهاية المطاف ؛ حيث تجتمع تحت مظلة الدستور الواحد المتضمن قضايا عقدية تؤسس للإيمان ، وقضايا التشريع الذي هو نتيجة حتمية للإيمان ، وتنطلق في هاتين القضيتين من قصص وحوادث سابقة لعصر نزول القرآن الكريم ، أو متزامنة وكانت سببا لنزول بعض الآيات .

ثالثاً : الأبنية الصغرى : (Microstructures)

كما رأينا سابقاً يطلق تسمية "الأبنية الكبرى" على الوحدات البنيوية والدلالية الشاملة للنصّ ، وهكذا فإن مصطلح "الأبنية الصغرى" يطلق على أبنية المتتاليات والأجزاء للتمييز بينها وبين الأبنية النصية الكبرى[1].

فالنص له بنية عليا تتحدد من خلال الجنس الذي ينتمي إليه ، وتتكون هذه البنية العليا من لبنات دلالية متعددة (حسب حجم النص) هي الأبنية الكبرى ؛ إذ كل منها تمثل قضية أو موضوعاً من موضوعات النصّ الفرعية ، وتتكون هذه الأبنية الكبرى من مجموعة من المتتاليات الجملية تترابط فيما بينها نحوياً (تركيبياً) بعوامل ربط مباشرة أو غير مباشرة ، ويطلق عليها الأبنية الصغرى للنصّ ، ويمكن أن نعدد مجموعة من الخصائص لهذه الأبنية الصغرى على النحو الآتي :

1. تعد هذه الأبنية المستوى الأول من الوحدات النصية (أي أصغر وحدة في النص).
2. يشترط أن تربط بين هذه الأبنية الصغرى علاقات نحوية ، مثل علاقات العطف والوصل والترقيم ، وأسماء الإشارة ، وأدوات التعريف والأسماء الموصولة وأبنية الحال والزمان والمكان ، وغير ذلك من العناصر الرابطة [2]*.
3. يمكن تتبع التماسك النصي وتحليله على مستوى البنية العميقة للنصّ[3] ، أما

---

(1) انظر : فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 237.

(2) يعنى علم اللغة بتحديد هذه العلاقات ورصدها.

*يوظف صلاح فضل مصطلح التماسك مطلقاً في مقابل التماسك الكلي أو النصي ، ويفرق بحيري بين المصطلحين (أي بين الربط النحوي على مستوى الجمل والتماسك على مستوى النص)

انظر : فضل ، بلاغة الخطاب ، ص 237 ، وبحيري ، علم لغة النص ، ص 111.

(3) يفترض النحو التوليدي التحويلي ثنائية البنية اللغوية بمعنى أن هناك بنية ذهنية عميقة تشمل العناصر الكاملة للمقولة اللغوية تتحول إلى بنية سطحية منطوقة ؛ لذا فالنموذج يتكون من مكونين أساسين هما: المكون التركيبي الذي تنتظم داخله عناصر البنية العميقة و المكون التحويلي الذي يحدد البدائل الممكنة لبنيتها السطحية .

الربط الذي يتحقق من خلال أدوات الربط فيمكن تتبعه على المستوى السطحي للنصّ.

4. البنية النصية الصغرى ليس لها وجود إلا في ظلّ الشبكة النصية المتكاملة .

5. قد لا تكون البنية الصغرى ظاهرة في النص ولكن توجد قرائن تدل على وجودها.

لا تمثل الجملة في العادة بنية مجردة على مستوى المنطوق اللغوي بل تتعاضد مع سلسلة الجمل التي تنتمي إليها (ما قبلها وما بعدها) لتكون ما يسمى بالفقرة[1].

وإذا كانت وظيفة النحو الأساسية هي وصف الجملة بمركباتها وعلاقاتها ، فإنه كذلك من مهامه وصف التتابعات الجملية على المستويات ذاتها التي يتناولها في الجملة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)[2]،فأي تتابع جملي ينشأ من الجملة أساساً .

إذن فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن : ما جدوى البحث في الأبنية الصغرى؟

والإجابة عنه تكون نظرياً أن النحو الذي يبحث في الأبنية الصغرى يوصل في النهاية إلى نتيجتين رئيستين :

(أ) التتابعات الجملية المتاحة في لغة ما .

(ب) أهمية العلاقات في التتابع الجملي وكيف تحدد البنية النحوية والدلالية لجملة ما البنية النحوية والدلالية لجمل أخرى [3].

والخير أن نشرع في التطبيق على سورة الأنعام من خلال المبادئ السابقة للأبنية النصية الصغرى ، حتى تتجلى فاعلية القيود والروابط في هذه الأبنية في تحقيق التماسك على مستوى البنية الكبرى. وارتأينا أن يقع الاختيار على بعض الأبنية الكبرى في السورة ؛ لأنه من المتعذر تحليل الأبنية الصغرى في السورة جميعها ؛ إضافة إلى أن المقصد هو إعطاء نموذج للتحليل وإثبات الترابط داخل كل بنية كبرى.

---

(1) يمكن أن نعدّ مصطلحي الفقرة والبنية الكبرى بمعنى واحد.

(2) انظر : دايك ، علم النص ، ص45.

(3) انظر : المرجع نفسه ، ص 46.

وسنبدأ بالبنية الكبرى الأولى وهي من قوله تعالى " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ " وحتى قوله تعالى " قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ". الآيات (1-19).

فهذه الآيات (تسع عشرة آية) تمثل البنية الكبرى الأولى من سورة الأنعام ؛ وبالتالي لا بد أن تتشكل من مجموعة من التتابعات الجملية التي ترتبط بعلاقات مختلفة، تركيبية ، ودلالية، ومورفولوجية .

ولا تزال العلاقات الدلالية هي الأبرز والأهم في ترابط هذه التتابعات ، إذ قد تكون أحيانا مفتقرة إلى الرابط التركيبي المباشر ، وتحليل التتابعات يقوم على تقسيم كل منها إلى أجزائه المكونة له ، وبيان الرابط بين كل جزء والذي يليه، على النحو الآتي:

جدول (2)

الجزء الأول	الجزء الثاني	الجزء الثالث	الجزء الرابع	الروابط
أجزاء التتابعات الجملية				
خلق السموات والأرض	وجعل الظلمات والنور	ثم الذين كفروا يمترون		العطف + العطف
خلقكم من طين	ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده	ثم أنتم تمترون		العطف + العطف
هو الذي خلقكم	هو الله في السموات وفي الأرض	هو القاهر فوق عباده		التكرار (الإحالة)
مكناهم في الأرض	وأرسلنا السماء عليهم مدراراً	وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم		العطف + العطف
ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس	لقال الذين كفروا...			الشرط
ولو أنزلنا ملكاً	لقضي الأمر	ثم لا ينظرون		الشرط + العطف
ولو جعلناه ملكاً	لجعلناه رجلاً	وللبسنا عليهم		الشرط + العطف
ولقد استهزئ	فحاق بالذين			السببية

برسل من قبلك	سخروا منهم			
سيروا في الأرض	ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين			العطف
قل أغير الله أتخذ ولياً	قل إني أخاف	قل أي شيء أكبر شهادة	قل الله شهيد / قل لا أشهد / قل إنما هو إله واحد.	التكرار
إن يمسسك الله بضر	فلا كاشف له			الشرط
وإن يمسسك الله بخير	فهو على كل شيء قدير			الشرط
أوحيَ إلي هذا القرآن	لأنذركم به			السببية
الحمد لله	هو الذي خلقكم	هو الله في السموات و في الأرض	يعلم سركم جهركم	التكرار (الإحالة)
وما تأتيهم من آية..	فقد كذبوا بالحق			(فاء) الاستئناف

تلكم كانت العلاقات التركيبية النحوية بين الجمل في الفقرة الأولى ، والآن سنعرض لبعض العلاقات الدلالية التي أسهمت في ترابط هذه الجمل:

1- الارتباط القضوي :

فالقضية الكبرى في الآية الأولى هي (الحمد) على الله ، لذلك جاءت الآيات من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ

سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[1]. جاءت جميعها محمولة على الحمد ؛ أي أن المولى عز وجل حقيق بهذا الحمد للأسباب الواردة .

كذلك ظهر الارتباط بين قوله تعالى :﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾[3] حيث جاءت الآية الثانية مؤكدة للأولى.

2- الإحالات:

كونت الإحالة متتالية جملية ؛ وذلك عندما اتفقت مجموعة من الجمل في إحالاتها إلى المشركين ؛ وذلك في الآيات (21-31)* ، حيث تحيل مجموعة من الجمل إلى الشيء نفسه ، ويتحقق الترابط بينها لوحدة المحال إليه (محور الخطاب) وهم المشركون ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ

---

(1) الأنعام (1-3)

(2) الأنعام (5)

(3) الأنعام (6) .

* لن يلتزم في التطبيق على الأبنية الصغرى بالفقرة الأولى لأن بعض الفقرات تظهر فيها علاقات الربط على مستوى الأبنية الصغرى أكثر من غيرها .

ﵟ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝٢٨ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٠ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[1]

3- ارتباط القضايا بالوقائع:

تتكون القضية الواحدة من عدة وقائع ؛ أي من شبكة من الأحداث متسلسلة تكوّن في النهاية القضية المقصودة . وذلك يبرز في الفقرة الثالثة من السورة التي تتمحور حول تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عمّا يجد من صدود قومه ، فقد تعددت الوقائع التي تحقق هذا الهدف على النحو الآتي :

(أ) بيان مصير الأمم السالفة التي أبدت مثل هذا الصدود تجاه دعوة الله ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٤٣ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[2]

(ب) بيان قدرة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء المكذبين وأنهم لا يعجزونه :

- قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[3]

---

(1) الأنعام (21-31)

(2) الأنعام (42- 45)

(3) الأنعام (39- 40)

- وقولــه تعــالى :﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (1)

- وقوله تعــالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (2)

جـ) توجيهات مباشرة للنبي صلى الله عليه وسلم تخفف عنه ما يجد من صدود قومه مثل قولــه تعالى:﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (3)

- وقولــه تعــالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(4)، وقولــه تعــالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ

---

(1) الأنعام (46- 47)

(2) الأنعام (61-65)

(3) الأنعام (32- 33)

(4) الأنعام (47)

وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(1)

- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(2)

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(3)

د) صور من التاريخ في الإعراض عن دعوة الله وجزاء ذلك: مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(4)

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(5)

---

(1) الأنعام (50-52)

(2) الأنعام (54)

(3) الأنعام (56- 58)

(4) الأنعام (34)

(5) الأنعام (42- 45)

- وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[1]

هـ) التعريف بمهمة الرسول ووظيفته في الدعوة : ويمثله قوله تعالى :﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2]

- وقولـه تعـــالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]

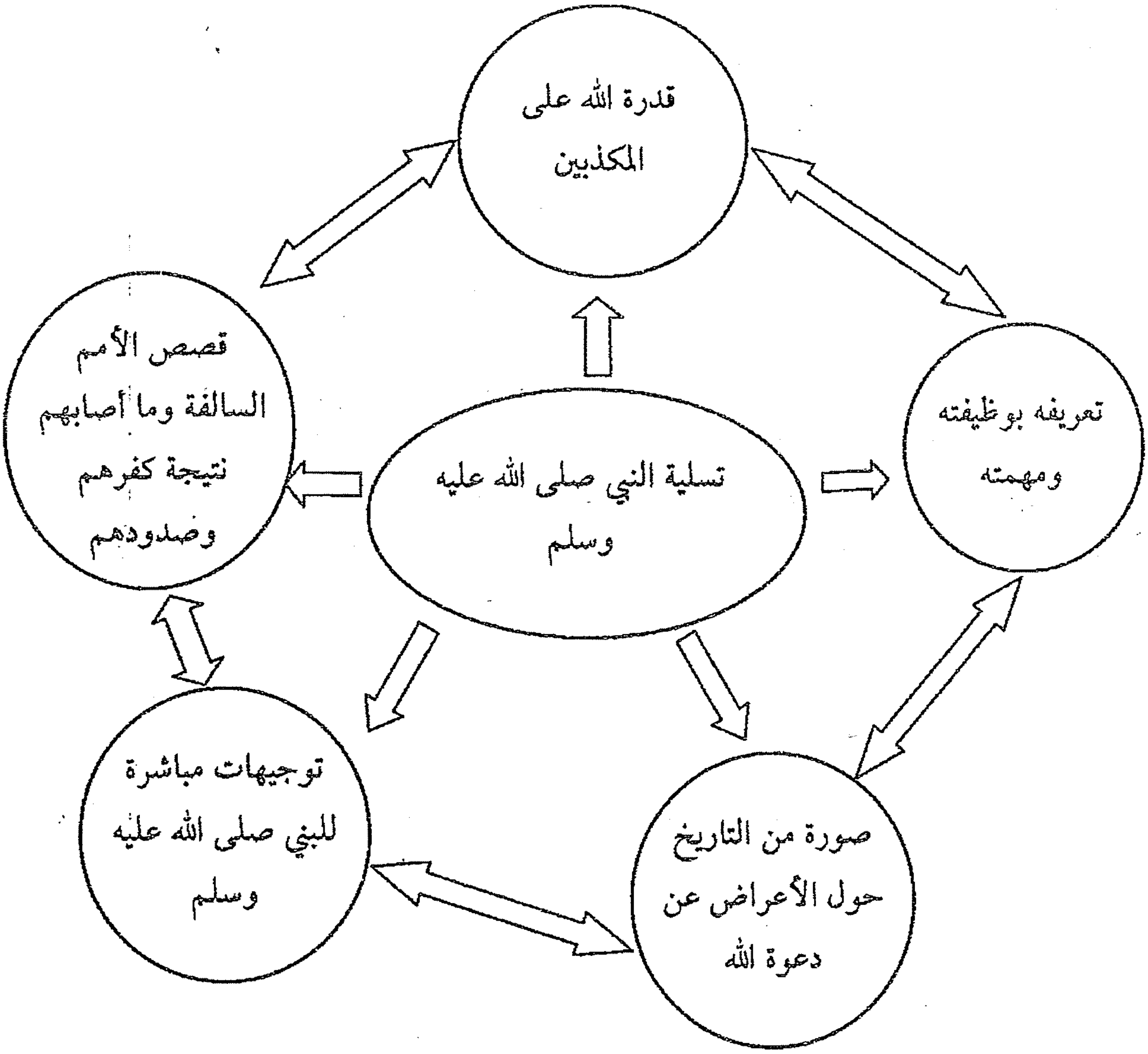
وهكذا تتعدد الوقائع ، والأحداث ، والخطابات علـى مستوى البنيـة الكبرى الثانية (التي اعتمدناها نموذجا في هذا البند) وعلى الرغـم مـن هـذا التعـدد إلا أنـها جميعها تتآزر لتحقق هدفاً واحداً ،وتعالج محوراً واحداً هو التخفيف عن النـبي صلـى الله عليه وسلم وتسريته ، كما هي ممثلة في الشكل التالي :

(1) الأنعام (74- 80)

(2) الأنعام (48)

(3) الأنعام (50)

شكل (1)[1]



---

(1) تشير الأسهم في الشكل السابق إلى عدّة أمور ، منها :

-الوقائع المختلفة متداخلة فيما بينها ومترابطة .

-القضية البؤرة كانت مصدر إشعاع للوقائع المختلفة ؛ فهي تمثل هنا المصدر الذي تنبعث منه كل الوقائع والخطابات السابقة .

ويمكن أن تكون التتابعات بين عدة جمل ،أو أن تكون على مستوى جملة واحدة مركبة، وهكذا فإنه يمكن أن نعبر عن المضمون ذاته سواء من خلال جملة مركبة أو تتابع جملي"[1] .

وارتباط القضايا بالوقائع يشاكل ما يعرف في العربية بالتفصيل بعد الإجمال ، والمثال الواضح عليه من السورة ما جاء في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام من قوله تعالى في البداية ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[2]، فهذه الآية تدل على أن الله تعالى يثبت حكما مفاده : أنه تعالى يعرّف إبراهيم ويبصّره ملكوت السموات والأرض، يعني الربوبية والإلهية ويوفقه لمعرفتها،ويرشده بما شرح صدره وسدد نظره وهداه لطريق الاستدلال. وليكون من الموقنين فعل ذلك[3].

الوقائع التالية للآية أثبتت القضية السابقة نفسها ، وذلك من قوله تعالى : " فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً .." إلى قوله تعالى : " .. مما تشركون " .

وعلى الرغم من ذلك فإنه توجد بعض الفروق بين الجمل المركبة والتتابعات الجملية ، وتظهر هذه الفروق في المواقف الاتصالية .[4]

وهناك الكثير من العلاقات التي تحكم عملية الترابط بين المتتاليات الجملية في كل فقرة سنعرض في هذا الجزء بعضها مما شاع في النص موضع التطبيق ، على النحو الآتي:

1)العلاقات المفهومية :

وهي العلاقات القائمة على معان ؛ وذلك بأن تعبّر مجموعة من المتتاليات عن المعنى نفسه ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا

---

(1) دايك ، علم النص ، ص 46.

(2) الأنعام (75)

(3) انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج2 ،ص 30 .

(4) دايك ، علم النص ، ص 47.

مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

فالآية السابقة تحوي جملاً متتالية يتحقق عامل الترابط بينها ؛وذلك من خلال وحدة المعنى ، فهي تتناول مظهراً من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى وهو إنزال الغيث من السماء وآثاره في الأرض .

2)العلاقات الإحالية :

وهي إما أن تكون علاقات بين المحيلات أو علاقات بين المعاني الإحالية وتسمى بالعلاقات الماصدقية .

ونمثل لها من السورة بقوله تعالى متحدثاً عن ذرية سيدنا إبراهيم : ﴿ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٨٨) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ (٨٩) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]

فإننا نلحظ كيف عملت الضمائر وأسماء الإشارة في هذه المتتالية على تحقيق الربط (آبائهم ، ذريتهم،إخوانهم ، اجتبيناهم ، هديناهم ، يهدي به من يشاء ، ولو أشركوا ، حبط عنهم ، ما كانوا ، أولئك ، الذين ، آتيناهم ، هؤلاء ، فبهداهم).

3)العلاقات الزمانية :

وهنا يتدخل عامل الزمن ليجمع الأحداث والخطابات تحت مظلة واحدة وبالتالي تتحقق وحدة الخطاب ، ويظهر هذا في قوله عزوجل :﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ

---

(1) الأنعام (99)

(2) الأنعام (87-90)

إن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (1)

فالأحداث السابقة جميعها تشترك في وقت الحدوث ولا يمكن فصل بعضها عن بعضها الآخر ؛ إذ تتزامن ردود النبي صلى الله عليه وسلم مثل رده "هل عندكم من علم فتخرجوه لنا" ورده : "لله الحجة البالغة" ، ورده : "هلمّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرّم هذا" ، ورده : "تعالوا أتل عليكم ما حرّم ربكم عليكم" تتزامن كل هذه الردود مع قول المشركين : "لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ". فهنا يعمل الزمن المشترك على ارتباط الأحداث ، وبالتالي تحقيق تماسك النص .

4) العلاقات المنطقية :

وهي العلاقات التي لا تحتاج إلى رابط مباشرٍ من الروابط التركيبية ، أو رابط دلالي ، بل تترابط أجزاء الجملة أو التتابعات الجملية ترابطاً منطقياً أي السابق يحتم اللاحق .

ونمثل لها بقوله عزوجل مخاطباً النبيٍ صلى الله عليه وسلم :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (2)

فالأجزاء التي يتكون منها التتابع قوله تعالى : "الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ" وقوله تعالى : "إنما أمرهم إلى الله" مترابطة طبيعياً ومنطقياً حتى مع عدم وجود (إنما) والضمير في (أمرهم) ؛ لأن عرض القضية في النص يوجه القراءة على هذا النحو، أي أن الإيمان بهذه العقيدة يوصل إلى اليقين بأن كل أمر في الكون موكول إلى الخالق عزوجل ، وبالتالي فقد أصبح الحكم الصادر في قوله : (إنما أمرهم إلى الله) حكماً منطقياً يحتمه العرض السابق عليه .

---

(1) الأنعام (148-151)

(2) الأنعام (159)

5) العلاقات السببية :

وتسهم هذه العلاقات في ربط التتابعات الجملية ، أو أجزاء الجمل المركبة وذلك من خلال ارتباط السبب بالنتيجة ، لنتأمل كيف ترتبط الأسباب بالنتائج في الآيات الآتية من سورة الأنعام ؛ بطريقة لا يشعر بها القارئ ؛ حيث تتداخل بعضها مع بعض : يبدأ المولى عز وجل بذكر الأسباب في التتابع الجملي على النحو الآتي : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٥ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [1]. وبعد الحديث عن موقف المشركين من القرآن الكريم يأتي ذكر النتيجة ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] ثم يعود إلى الأسباب الأخرى التي أدت بالكافرين إلى هذا المصير: ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[3] ، ثم نقلة جديدة إلى النتائج المترتبة على موقف الجحود والتكذيب السابق ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [4]

ويمكن تصنيف جزأي الخطاب السابق إلى نوعين مترابطين ، هما :

- الأسباب : وتتمثل في كفر الكافرين، ادعائهم أن كلام الله أساطير الأولين ، ونهيهم الناس عن الإيمان ، وانكارهم البعث والنشور .
- النتائج : وتتمثل في وقوفهم على النار يوم القيامة ، وأمانيهم بالعودة إلى الدنيا ليتداركوا ما وقعوا فيه .

---

(1) الأنعام (25-26)

(2) الأنعام (27)

(3) الأنعام (29)

(4) الأنعام (30)

خلاصة الفصل الثاني

1- اتفق علماء النص على مجموعة من المحكّات لاختبار نصية أية مادة لغوية ، والحكم عليها ، أطلقوا عليها معايير النصية .

2- هناك سبعة معايير للنصية ، وهي : السبك ، والحبك ، و الموقفية ، والقصدية، والمقبولية ، والتناص ، والإعلامية . جميعها تؤكد صفة الترابط في النصوص .

3- عالج العرب القدماء معظم هذه المعايير في كتاباتهم البلاغية والنقدية بعيدا عن المصطلحات التي عرفت بها اليوم ، فقد تحدثوا عن أهمية ارتباط التراكيب بعضها ببعض ، وأهمية أن تكون معاني النص منسجمة مترابطة ، كذلك لم يغفلوا الموقف أو سياق الحال في أثناء تحليل النصوص .

4- يحوي كل معيار من معايير النصية أدوات يختبر بواسطتها النص .

5- بعد تطبيق أدوات المعايير النصية المختلفة على النص القرآني كشفت هذه الأدوات مظاهر الترابط في النص القرآني على الرغم مما يوحيه ظاهره من تعدد الموضوعات للوهلة الأولى .

6- ضرورة الاهتمام في المعالجة النصية بالأبنية المشكّلة للنص ، وتتمثل في : البنية العليا، والأبنية الكبرى ، والأبنية الصغرى .

7- تعد البنية العليا من أبلغ وجوه الإعجاز في النص القرآني ، فالقرآن الكريم جاء بلغة العرب ، وألفاظه هي ألفاظهم ، وما تميز عنهم إلا في نظمه الداخلي - كما يرى عبد القاهر - ، ونظمه الخارجي كما يثبت من التحليل النصي ، وهنا ندرك سبب تحدي الله سبحانه وتعالى العرب أن يأتوا بسورة من القرآن ، وليس أقل منها ، كالآية مثلا.

8- تسهم الأبنية النصية في إظهار ترابط النص القرآني .

9- أدرك علماء العربية قديما ماهية هذه الأبنية ، وعالجوها في كتاباتهم اللغوية ، والدراسات القرآنية .

10- اتضح من خلال تحديد الأبنية النصية في سورة الأنعام ، ومعالجتها بالتحليل أن السورة تمثل نصا متكاملا ، تترابط أجزاؤه المتعددة ، وتتماسك بناء على قواعد كل نوع من أنواع تلك الأبنية .

الفصل الثالث

آليات الترابط النصي في سورة الأنعام

توطئة :

إن قراءة نص من النصوص هي عملية تشبه من يصعد إلى علوّ بوساطة سلم من السلالم، فالنص عبارة عن مستويات محددة لا يمكن إغفال أي منها ،وقد يستغرق القارئ في مستوى من المستويات أكثر مما يفعله في غيره ، وعندما يصل إلى البؤرة الأساس في النص أو النتيجة العامة يكون بذلك قد بلغ قمّة الهرم النصّي .

ونشير هنا إلى أن نحو النص يعتمد إستراتيجيتين في تحليل النصوص، هما:

1. القراءة الأفقية التي تبحث في العلاقات بين المكونات النصية الصغرى ، مثل العلاقات بين الكلمات في جملة واحدة ، أو العلاقات بين الجمل بعضها ببعض .

2. القراءة الرأسية التي تبحث في العلاقات القائمة بين الوحدات النصية الكبرى.

فالقراءة الأولى تحدد أوجه الترابط داخل كل وحدة نصية كبرى من خلال التتابع الأفقي التركيبي أو الدلالي، لكن الوحدات نفسها تحتاج كذلك ما يثبت أن هناك ترابطاً وتلاحماً بينها[1] . وعلى الرغم من هذا التصنيف إلا أن التحليل النصي للخطاب يمثل إستراتيجية معقّدة لا تكتفي بالنواحي السطحية الظاهرة ،إنما تتعداها إلى النواحي الاتصالية للنص أي أنها ليست عملية ميكانيكية بحتة ، يقول فان دايك : "إن النظرية اللسانية تهتم باتّساق اللغة الطبيعية ،أعني تراكيبها المتحققة أو الممكنة التحقق،وبتطورها التاريخي وبمختلف أنشطتها الثقافية ووظيفتها المجتمعية،وأسسها المعرفية . وفي العادة إنما تصاغ هذه الأنساق، من حيث هي أنساق، صياغة واضحة من قواعد متواضع عليها من شأنها إن تحدد نوع السلوك اللغوي كما يظهر هو ذاته في استعمال العبارة الكلامية اللفظية في كل موقف ومقام تواصلي"[2].

---

(1) لا يعد الخطاب نصاً ما لم يحقق خاصية الترابط بين أبنيته الكبرى جميعها ، وإن كانت الكلمات مترابطة في جمل أو هناك علاقات بين الجمل .

(2) (دايك) فان ، النص والسياق ،ترجمة عبد القادر قنيني ، دار أفريقيا الشرق ،بيروت ، 2000م، ص17.

وبسبب هذه الشبكة المتداخلة في الموقف الاتصـالي تعـددت الآراء والنظريـات حـول الآليـات والوسـائل الـتي يتماسـك بـها النـص ، وسـنعرض بعـض تلـك النظريات،وذلك قبل الشروع في تحليل آليـات الـترابط في سـورة الأنعـام مـن خـلال مستويات لغوية تركيبية دلالية تداولية ، هي في أصلها نتاج هذه النظريات.

أولاً : النظرية اللسانية الوصفية :

مصدر هذه النظرية هو كتاب (الاتّساق في اللغة الانجليزية) الذي ألفه هاليداي ورقية حسن سنة 1976م[1].

وقد صنّف الباحثان وسائل الاتّساق إلى :

أ- إحالية: وتنقسم الإحالة إلى إحالة مقامية تعتمد على الظروف الخارجية المحيطة بالنص، وإحالة نصية تنقسم كذلك إلى قبلية وبعدية تختص بالإحالات الداخلية.

ب- استبدالية : وهي عمليات تتم داخل النص ، ويقصد بها أن يحلّ عنصر محل عنصر آخر في النص ، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع : اسمي ، وفعلي ، وقولي .

ج- الحذف: هو علاقة داخل النص ، حيث يستبدل عنصر بآخر ويتم الاستغناء عن اللاحق ؛ إذ يدل عليه السابق . ومن ثمّ نجد في الجملة الثانية فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق.

د- الوصل : هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم؛ أي أنّ النصّ عبارة عن سلسلة لغوية متتابعة خطيا تربط بين حلقاتها علاقات محددة كأن تكون : إضافية ، أو علاقة اتصال عكسية ، أو سببية ، أو زمانيّة .

هـ- الاتساق المعجمي: يعد مظهراً آخر من مظاهر الاتساق، وينقسم إلى أسلوبين:

(1) التكرير: وهو يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف.

(2) التضام: هو ورود زوجين من الكلمات مرتبطة بعلاقة ما. [2]

وسنفصّل الحديث في هذه الوسائل الاتساقية للنص في أثناء تناولنا لآليات أو مستويات الترابط المختلفة في المباحث القادمة.

---

(1) انظر : (خطابي) محمد، لسانيات النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1991، ص11 .

(2) انظر : المرجع نفسه ، ص16 □ ص26

ثانيا : نظرية لسانيات الخطاب :

مؤسس هذه النظرية (فان دايك) الذي بث مبادئها في كتابه (النص والسياق)، وقد ركز المؤلف في كتابه على معالجة لسانيات الجملة في مستويين: الدلالة والتداول، وهو كذلك لا ينطلق من نموذج نحوي صارم للنصّ ، بل يرى أن المعنى هو العمود الثاني من أعمدة الخطاب وما لم يهتم به النحو ، فهو ناقص.(1)

ولا يقصد بالمعنى هنا المعنى المجرد عن واقع النص فهو يرى أن القول لن يوصف فقط باعتبار بنيته الداخلية والمعنى المسند إليه، وإنما يوصف أيضاً باعتبار الفعل المنجز المؤدي إلى إنتاج مثل هذا القول."(2)

واستند دايك على المبادئ السالفة لبناء تصور محدد للنص ، يتبدى فيه الانسجام في عدة مظاهر هي :

1.الترابط:

استعمل الكاتب مفهوم الترابط للإشارة إلى علاقة خاصة بين الجمل ، ولما كانت الجملة مقولة تركيبية والترابط علاقة دلالية فقد فضل الباحث الحديث عن العلاقة بين قضيتي جملة ما أو جمل ما.(3)

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : ما معايير الترابط ؟

أ- العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل : وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(4) فالجمل في الآية الكريمة متماسكة من خلال العلاقات بين معاني الكلمات (مفاتيح ، يعلم، كتاب) فالمعنى السياقي لها واحد وهو العلم والإحاطة .

---

(1) انظر: (دايك) ، النص والسياق ، ص 18

(2) المرجع نفسه ص18

(3) خطابي ، لسانيات النص ، ص32

(4) الأنعام (59) .

ب- التطابق الإحالي : أي أن يكون المتحدث عنه في طرفي الجملة شيئاً واحداً . وذلك مثل قوله تعالى :﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (1) فالمتحدث عنه في الجمل السابقة جميعها شيء واحد " الذين كذبوا" وسيتم الحديث عن دور الإحالة في الترابط في المباحث القادمة بشيء من التفصيل .

ج- تعالق الوقائع التي تشير إليها القضايا : إذ نلحظ أحيانا أنه لا ارتباط بين معاني الكلمات في الجملة ، والإحالة لا تتوجه إلى محال إليه واحد ، لكن الجمل مترابطة لأن وقائعها متعالقة ، وأحداثها مترابطة متوافقة .

وتكون الوقائع التي تشير إليها قضايا متعالقة بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب ويشترط فيها تحقق إحدى العلاقات مثل السببية أو الزمنية . ونمثل لتعالق نتيجة العلاقة السببية بقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (2) ، إذ جاءت جملة " ما عليك من حسابهم من شيء " سببا للجملة " لا تطرد الذين يدعون ربهم..." فكان الترابط بينهما دون أداة .

2.الانسجام:

يعتمد على تحديد نوع الدلالة، وبالتالي يتم تأويل اللاحق من النص بناء على السابق. ومن العلاقات التي تسهم في تحقيق الانسجام:

أ- التطابق الذاتي: ونمثل لها بما جاء في قوله تعالى في تعداد الأنبياء عليهم السلام من أبناء سيدنا إبراهيم : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

---

(1) الأنعام (31)

(2) الأنعام (52)

وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [1] ، ثم إلحاق ذلك بعدة جمل عن صفات هؤلاء الأنبياء:

﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [2]

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ ﴾ [3]

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [4]

فهناك تطابق بين الذوات، وذلك باجتماعهم في عدة صفات .

ب-علاقات التضمن والعضوية:

وذلك مثل علاقات (الجزء- الكل) ، أو الملكية.

وتظهر علاقة الجزء والكل في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [5]

فالآية الأولى تتحدث عن القلوب ، في حين تتحدث الثانية عن أصحاب تلك القلوب.

ج- علاقة التكرير: وسيتم تفصيل الحديث عنها عند معالجة مستوى الترابط المعجمي.

---

(1) الأنعام (84)

(2) الأنعام (87)

(3) الأنعام (89)

(4) الأنعام (90)

(5) الأنعام (43-44)

3. ترتيب الخطاب :

وهو مظهر آخر من مظاهر انسجام الخطاب،"يسميه فان دايك الترتيب العادي للوقائع في الخطاب ؛ ذلك أن ورود الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا بالعالم"[1].

وأشار فان دايك ، فيما يتعلق بترتيب الوقائع وترتيب المتتالية إلى علاقات تحكم هذا الترتيب ، وهي علاقات تخضع لمبادئ معرفيه كالإدراك والاهتمام ، ومن هذه العلاقات:

أ)العام – الخاص

ب)الكل – الجزء

ج)المجموعة – المجموعة الفرعية – العنصر

د) الخارج– والداخل

هـ) المالك – المملوك

وسيتم تفصيل معظم هذه العلاقات مع التمثيل في مبحث الترابط المعجمي في الفصل الثالث.

4.الخطاب التام والخطاب الناقص :

وقد انفرد دايك عن باقي الباحثين في علم النص بهذا المظهر من مظاهر انسجام الخطاب، إذ يقرر "أن الخطابات ليست تامة في أصلها ، وأن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات الضرورية فقط.

وأن خطاب اللغة الطبيعية ، إذا قيس بخطاب اللغة الصورية ، يعد غير صريح (ضمنياً) مما يدفع المخاطب إلى استغلال آلة الاستدلال ، في بعض الأحيان ، لفهم وتأويل الخطاب"[2].

---

(1) خطابي ، لسانيات النص ، ص38.

(2) المرجع نفسه ، ص40.

عملية الفهم والتأويل هذه هي التي تسهم في انسجام الخطاب إذ تقوم على مهادٍ معرفية عن طريق الجزء السابق في النص ، والـذي يستعان بـه لملء الفراغات اللاحقة . مثلا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (1) إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم ناله استهزاء مماثل لما نال الرسل عليهم السلام ، ويمكن أن نستنتج ذلك من الآيات السابقة ، وهي ما جاء على لسان المشركين :﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(2) وقولهم ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ (3) ، فهي عين الاستهزاء الذي صدر منهم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الأمر يتطلب من القارئ الاستعانة بالسابق لملء الفراغات الناتجة عن الحذف مما يحقق خاصية الانسجام للنص في أثناء القراءة .

5.موضوع الخطاب / البنية الكلية:

يوظف موضوع الخطاب في اختزال المحتوى الدلالي للمتتاليات الجملية في النص.لكن السؤال هنا : كيف يمكن تحديد موضوع خطاب ما ؟

يعتمد فان دايك لتحقيق ذلك عدة طرق ، منها :

أ)الاعتماد على النواحي الكمّية ،وذلك بحساب عدد مرات تكرار الموضوع في النص.

ب) اختزال المعلومات الواردة في الخطاب: وهذه الطريقة مع الاعتراف بجدواها في النصوص البشرية إلا أن هناك محاذير كثيرة تحول دون توظيفها في النص القرآني، لذلك نؤثر عدم تجربتها ، والاكتفاء بالطريقة الأولى.(4)

---

(1) الأنعام (10)

(2) الأنعام (7)

(3) الأنعام (8)

(4) لأن هذه الطريقة تصنف مكونات النص إلى مكونات أساسية تبقى لتحديد موضوع الخطاب ، ومكونات غير أساسية يمكن الاستغناء عنها ، تطبق عليها آليات تحديد موضوع الخطاب من حذف واختزال مما لا يليق بالنص المقدس .

ثالثا : نظرية تحليل الخطاب :

اعتمد في هذه النظرية على مؤلّف (تحليل الخطاب) لـ(براون ، ويول) .

"وتقوم هذه النظرية على استعارة أدوات علوم أخرى مارست ولا تزال تمارس تأثيراً كبيراً في معالجة اللغة مثل : اللسانيات الاجتماعية ، واللسانيات النفسية"(1)

وقبل الشروع في مناقشة مظاهر الانسجام حسب هذه النظرية نذكر ميزتين من مميزات هذه النظرية قد يفيدنا ذكرهما في معالجة مظاهر الانسجام بعد ذلك، وهما :

(1) اختزالها وظائف اللغة إلى وظيفتين : نقليه (نقل المعلومات بين الأفراد والجماعات) ، وتفاعلية (تأسيس وتعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها).

(2)جعلها المتكلم والمتلقي في قلب عمليه التواصل ؛ إذ لا يتسنى – حسب هذه النظرية_ فهم وتأويل الخطاب إلا بوضعه في سياقه التواصلي زماناً ومكاناً ومشاركين ومقاماً .(2)

يتميز هذان الباحثان بنظرتهما إلى الانسجام في النص، إذ يريان أن الانسجام ليس في الخطاب نفسه بل في التأويل، أيّ أنهما لا يعدان أن انسجام الخطاب متحقق في الخطاب ، بل ينبغي البحث عنه للعثور على أدواته ، وهذا هو عمل القارئ أو المتلقي.(*)

---

(1) خطابي ، ص47.

(1) المرجع نفسه ، ص 49.

(*)يجدر بنا في هذا الموضع التنويه على أن الزركشي (في القرن الثامن للهجرة) قد ذكر في كتابه(البرهان) أهمية تدخل القارئ في بعض الأحيان لتحقيق الترابط النصي ؛ إذ قسم الترابط بين الآيات إلى صنفين :

- ارتباط ظاهر ، وهو الذي يقدم أدلة وقرائن واضحة على العلاقات الموجودة بين أجزاء النص .
- ارتباط غير ظاهر ، وهذا النوع ينقسم إلى قسمين : الأول منهما أن يحتوي التركيب جملا معطوفة يشركها في حكم واحد ، والثاني وهو المقصود ما يظهر عدم وجود ارتباط بين الجملتين عبّر عنه الكاتب بقوله : "وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويُشكل وجه الارتباط ، فتحتاج إلى شرح " أي تحتاج إلى تدخّل القارئ لتحقيق الترابط في نص يشير ظاهره بعدم وجود علاقة

إذ يمكننا أن نستنتج من العرض السابق أن هذه النظرية تعزز مبدأ أن الخطاب في ذاته لا يملك مقوّمات انسجامه، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات في أثناء عملية القراءة والتأويل .

ومن مبادئ الانسجام التي تحدث عنها الباحثان :

(أ)السياق وخصائصه :

وهنا يجب على محلل الخطاب أن يأخذ السياق بعين الاعتبار ، ويتكون السياق في نظرهما من :

1- المرسل : وهو في السورة موضع الدراسة المولى عز وجل، منزّل القرآن الكريم ، وجاعله هدى وشريعة للناس .

2- المتلقي : وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ اصطفاه الله سبحانه وتعالى ليكون حامل هذه الرسالة ومتلقيها عنه ، ليبلغها إلى الناس .

3- الحضور : ويقصد بهم كل المستمعين الذين يسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي،وفي حالة الخطاب القرآني لا يمكن أن نقصر الحضور على من عاصر نزول الرسالة وسمع مضمونها من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، بل نتعداه إلى كل إنسان على هذه البسيطة من بداية نزول القرآن إلى يوم القيامة ، فهو يعدّ من الحضور ، لأنه من الفئة الموجه إليها الخطاب ، والمعنية به .

بين أجزائه .

واستشهد الزركشي بما جاء عن المفسرين في قوله تعالى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ البقرة189 ، حيث تدخل المفسرون في الربط بين السؤال عن الأهلة من جهة ، وإتيان البيوت من أبوابها من جهة أخرى . (انظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1972م ، ص 40)

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فالرسالة لا تقتصر على المؤمنين فقط دون غيرهم من الناس . وكذلك جاءت سورة الأنعام متضمّنة لخطابات متباينة بين الترغيب والترهيب ، والإقناع . مما يؤكد توجهها إلى الفئات المختلفة من البشر .

(4) الموضوع : وهو مدار الحدث الكلامي . وسيتم تفصيل الحديث عنه ، عند معالجة المستوى الدلالي للترابط في المباحث القادمة .

(5) المقام : ويقصد به الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي وتؤثر فيه وتتأثر به.

(6) شكل الرسالة : أي القالب الذي وجهت به ، فهو متنوع في السورة ، بين القصة (قصة سيدنا إبراهيم)، والحوار المباشر مثل ما جاء في الآيات (91-105) ، والتوجيهات ، مثل ما جاء في الآيات (106- 117) ، والخطاب العقلي المنطقي كما جاء في الآيات المعدّدة لقدرة الله سبحانه وتعالى في الكون .

(ب) مبدأ التأويل المحلي:

يهدف هذا المبدأ إلى تعيين عملية التأويل للنص من قبل المتلقي وضبطها، حيث يضع بعض الحدود التي تؤطّر عملية التأويل وذلك من خلال بعض المفاتيح في الخطاب مثل أسماء الأشخاص ، ألفاظ الزمان والمكان .

أي أن تدخّل المتلقي الذي يعدّ من أهم الركائز في نظرية تحليل الخطاب ليست عملية عشوائية مطلقة ، بل منظمة بضوابط وقرائن .

ويتحقق الانسجام في الخطاب بناء على مبدأ التأويل المحلي من خلال اضطرار المتلقي إلى البحث عن المفاتيح والقرائن الموجهة للتأويل في مختلف أجزاء الخطاب.

(ج) مبدأ التشابه :

لا ينطلق القارئ في قراءة النص وتلقي الخطاب من فراغ، إنما يوظف خلفياته ومعارفه السابقة في مواجهة الخطاب الحالي.

---

(1) الأنعام (90)

من ضمن ما تزود به التجربة السابقة المتلقي ، القدرة على التوقع، أي توقع ما يمكن أن يكون اللاحق عليه بناء على السابق.

إن تراكم التجارب من خلال مواجهة المتلقي للخطابات واستخلاص الخصائص والمميزات النوعية من الخطابات يقود القارئ إلى الفهم والتأويل بناء على المعطى النصي الموجود أمامه، إضافة إلى الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة .(1)

وعلى مستوى السورة يمكن أن يقال إن موضوعاتها لم تكن جديدة كل الجِدّة على المتلقي فقراءته لأجزاء القرآن الأخرى، وتأويله إياها تساعده على الجمع بين موضوعات السورة ، فهو يعلم لا محالة من خلفياته السابقة أن هناك علاقة وطيدة بين استحقاق المولى عز وجل للحمد والثناء ،وقدرته سبحانه وتعالى؛ و سيعمل على ربط هذين الجزئين ببعض ،كذلك يعلم من خلال رصيده العقدي أن هناك علاقة بين الحديث عن نهج الجاهلية وممارساتها ،والحديث عن(الأنعام والنهج الرباني فيها) والحديث عن (نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان).

(د) التغريض:

يقصد به المحتوى المضمن في بداية الخطاب ،ويمكن أن يكون عنوان النص ،أو الجملة الأولى فيه ، وهو يبحث في العلاقة بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوانه أو نقطة بدايته . وسيتم تفصيل الحديث عن هذا المحور في أثناء معالجة الترابط في المستوى الدلالي.

وبعد هذا العرض للنظريات التي تناولت ظاهرة الترابط النصي نعمد إلى التطبيق على تلك المبادئ مستفيدين من جميع هذه المدارس اللسانية التي تناولت قضية الترابط النصي ، ولن نقتصر في الجانب التطبيقي على تصور واحد من التصورات السابقة ، لكن ارتأينا انتقاء بعض الآليات المناسبة لتحليل الترابط في النص القرآني ، ولغرض الدراسة والبحث نعمد إلى تصنيفها تحت مستويات رئيسة هي :

---

(1) خطابي ، ص58.

1) المستوى النحوي التركيبي.

2) المستوى المعجمي.

3) المستوى الدلالي.

نُنوه قبل الشروع في العمل التطبيقي بأن التصنيف السابق لقصد الدراسة فقط،والأصل أن جميع هذه المستويات متداخلة ،وتتوحد في النهاية لتشكيل النص وصناعته. أي لا يمكن الاستغناء عن أي منها في نص من النصوص .

على الرغم من الإقرار بالترابط النصي للخطاب المدروس ،إلا أننا نكتفي في دراسة آليات الترابط بإعطاء نماذج على الترابط من خلال الأبنية الكبرى للنص أي يتم اختيار إحدى الأبنية الكبرى المتفق عليها سابقاً في سورة الأنعام ،وتعالج نصياً من خلال آليات الترابط المراد فحصها فيه.

المبحث الأول
آليات الترابط التركيبية

وتهدف المعالجة تحت هذا المستوى إلى ردم الهوّة الناتجة من الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى البنية الكبرى ، ومن مستوى البنية الكبرى إلى مستوى النص، وفي المستوى النحوي ست آليات تسهم في ربط أجزاء النص على النحو الآتي:

أولا: الإحالة :

"تعد الإحالة رابطا مهما ذا دور فعال في اتساق النص ، وربط أجزائه بعضها ببعض، وهي لا تخضع لقيود نحوية،ولكنها تخضع لقيد دلالي،وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[1]. ويتناول الحديث ثلاث أدوات للإحالة هي:

(1)الضمائر.

(2)أسماء الإشارة.

(3)أدوات المقارنة.

و تنقسم الإحالة إلى قسمين:

(1)إحالة نصية ، وهي التي تحيل إلى عنصر سابق أو لاحق داخل النص.

(2)إحالة مقامية ،وهي التي تحيل إلى عنصر خارج النص .

والفرق بينهما أن الإحالة المقامية تسهم في إنتاج النص ؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام ، في حين تقوم الإحالة النصية بدور فعّال في اتساق النص[2].

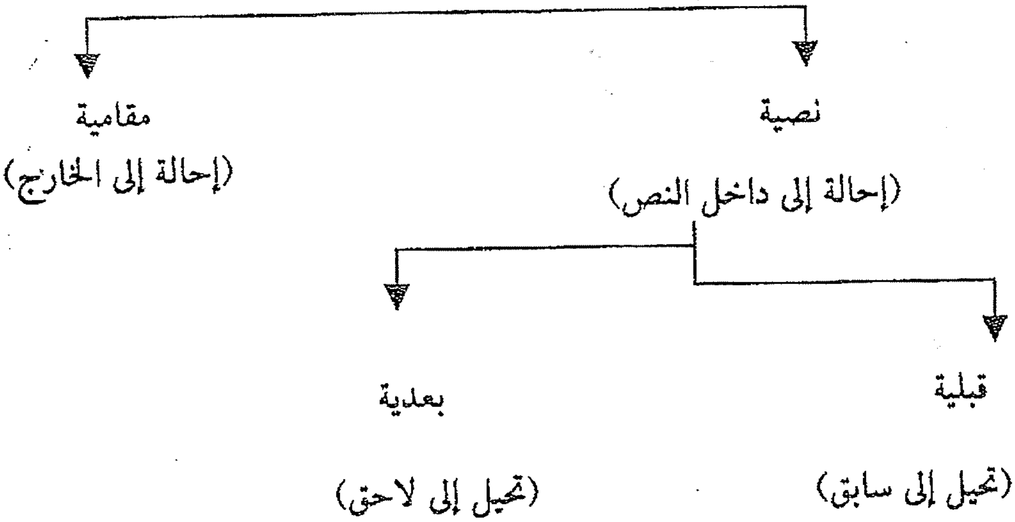
---

(1) (النحاس) مصطفى ،نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ذات السلاسل ، الكويت، 2001م، ص61.

(2) هذا ما يراه هاليداي ورقية حسن في كتابهما (الاتساق في اللغة الإنجليزية) ومن نحا نحوهما من الباحثين ، والظاهر – من التحليل – أن الإحالة المقامية تسهم في ترابط النص كذلك ؛ حيث تعمل على تأطير عالم النص أو تحريك مكونات النص في فلك واحد ؛ وذلك عندما تحيل مكوناته إلى مقامات خارجية بينها قواسم مشتركة . لنتأمل الآيات الآتية من سورة الأنعام :

- "وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ"

ويمكن تلخيص الإحالة وأقسامها بالخطاطة الآتية[1] :



وسنفصل الحديث عن كل نوع من أنواع الإحالة، مع التطبيق عليها بالسورة موضع الدراسة.

- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾
- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
- ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾
- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾

فالآيات السابقة من سورة الأنعام جميعها مرتبطة بحوادث ومقامات محددة (أسباب النزول) ، وبعد مراجعة هذه المقامات وجد أن هناك ارتباطاً مشتركاً بينها من جهة ، وارتباطاً مع موضوع السورة من جهة أخرى .

فالإحالة المقامية التي تؤول إليها هذه الآيات لم تسهم في إنتاج النص فحسب ، بل تعدته إلى الإسهام في شدّ الخطاب تجاه البؤرة الرئيسة ، فالبؤرة هي العقيدة ، وما المقامات التي نزلت فيها تلك الآيات إلا مفردات لهذه القضية .

فالآيتان الأولى والثانية تمثلان مواقف حية من إمعان الكافرين في الرفض لهذه الدعوة ، والآية الثالثة تمثل موقفا آخر وهو دليل حي على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا في الآيات الأخرى .

(1) النحاس ، ص 62 .

1- الضمائر:

أسهب علماء النص المعاصرون في الحديث عن الضمائر وأهميتها في تحقيق تماسك النص الشكلي والدلالي ،إذ تسهم الضمائر في تشكيل معنى النص وإبرازه.

ويتعدد دور الضمير في عملية الإحالة فقد يحيل إلى كلمة مفردة أحيانا (اسم)، وقد يحيل إلى جملة في بعض الأحيان ،ويحيل في أحيان أخرى إلى تركيب أو خطاب متكامل هذا إضافة إلى قدرته على الإحالة إلى سياق مقامي خارج النص.

يعد الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر، أيسر في الاستعمال، وأدعى إلى الخفّة والاختصار، بل إن الضمير إذا اتصل فقد أضاف إلى الخفة والاختصار عنصراً ثالثاً هو الاقتصار.

"ويؤكد اللغويون المحدثون على دور السياق في معرفة مرجعية الضمير ،خاصة إذا كان الضمير مرجعيته غامضة ،وكذلك إذا كانت مرجعيته خارجية ، لأن المرجعية الخارجية تعتمد على سياق الحال" (1).

وهناك سؤال يطرحه الباحثون في علم النص ، وهو : هل يمكن تصور جمل متماسكة دون وجود ضمير يربط بينها ؟

الإجابة أن وجود الضمير وعدمه يعتمدان على قوة العلاقة بين الجملتين أو عنصري الخطاب، ففي بعض الأحيان تكون العلاقة بينهما واضحة للعيان،لا تحتاج إلى رابط خارجي كالضمير وغيره، ويتمثل ذلك في الجمل المفسِّرة والتوابع .

ويمكن الاستعانة كذلك بأسلوب آخر في توجيه الإحالات الضميرية في النص ، وذلك من خلال ما يسمى البؤرة الرئيسة للنص أو النواة ؛إذ تعمل هذه الأخيرة على شد مكونات النصّ نحوها بما فيها الضمائر ، ويكون النصّ متماسكاً عندما تعمل البؤرة على استقطاب وجذب الضمائر نحوها ،ففي سورة الأنعام بدأت الآيات بقوله تعالى:(الحمد لله) ، وهي البؤرة الرئيسة للبنية الكبرى الأولى ، ومما عزّز هذا الحكم أن حشداً من الضمائر يحيل إلى لفظ الجلالة، فقد ورد الضمير المحيل إلى لفظ الجلالة ست عشرة مرة في ثماني آيات ، ناهيك عما بعدها من آيات.

---

(1) (الفقي) صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي ،دار قباء ، القاهرة ،2000م، ج1 ، ص156.

"وتتفرع الضمائر الشخصية إلى نوعين: ضمائر وجودية (أنا ، أنت ، هو،هي.......)، وإلى ضمائر ملكية (كتابي ،كتابك ،كتابه...) ،وتعد الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب إحالة إلى خارج النص ، ولا تصبح إحالة إلى داخل النص إلا في الكلام المستشهد به أو في خطابات مكتوبة متنوعة ،مثل الخطاب السردي" [1].

وهناك خلاف محتدم بين الباحثين حول دور ضمائر الملكية ، والمتكلم ، والمخاطب في اتساق النص.[2]

ومما ينبغي التنبه إليه في تحليل الضمائر ومعالجتها أمران ، هما :

1-قد لا يذكر المرجع الذي يحيل إليه الضمير ، وهنا تعوّد النحاة على أن يرجعوا الضمير إلى مصدر يؤوّل من خلال سياق الكلام ،كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [3]، أي : لصبركم خير.

2- قد يذكر الضمير دون أن يتقدم عليه مرجع ، وإنما يدل السياق على المرجع كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [4] ، فالضمير في "إنه" للقرآن ، وقد دلّ السياق عليه بكلمة (قول)فالإحالة هنا مقامية[5].

بعد هذه المقدمة النظرية التي ضمّنّاها بعض الأسس الممهدة لمعالجة الضمائر في الخطاب نعمد إلى التطبيق ، ونذكّر هنا بالهدف الأساس من معالجة الضمائر في سورة الأنعام ، وهو الوقوف على الدور الذي تقوم به هذه الأداة اللغوية في تماسك النص وانسجامه، كذلك فإن المقام لا يسعف لمعالجة هذا الدور ورصده في السورة جميعها ، لكن المعالجة ستقتصر على إحدى الأبنية الكبرى للسورة ، وهي البنية الأولى التي

---

(1) النحاس ، لحو النص ، ص 62.

(2) ما أراه – من خلال التحليل النصي للسورة – أن الضمائر بكل أنواعها تسهم في تحقيق التماسك النصي .

(3) النحل (126) .

(4) التكوير (15 -19)

(5) النحاس، ص 63

أطلقنا عليها (استحقاق المولى عز وجل للحمد والثناء) التي تتضمنها الآيات (1-19)، فنبدأ بمعالجة الضمائر الشخصية ، ثم الإشارية ، ثم الموصولة على مستوى هذه البنية .وبعد تحليل الضمائر في البنية الأولى تم استخلاص النتائج الآتية :

جدول (3)

المحال إليه	الغائب	المتكلم	المخاطب	المجموع
المولى عز وجل	23	12	–	35
النبي صلى الله عليه وسلم	1	11	14	26
المؤمنون	1	–	–	1
المشركون	27	–	9	36
شئ آخر	14	–	6	20
المجموع	66	23	29	118

ويمكن قراءة الإحصاء السابق بمجموعة من النتائج على النحو الآتي:

(1) وجدت الضمائر في هذه البنية بكثافة كبيرة (مائة وثمانية عشر) ضميراً فيما لا يزيد عن تسع عشرة آية مما يدل على أن الخطاب يتمحور حول ذوات معينة ومحددة ،وما يؤيد ذلك تمحور جلّ الضمائر حول ثلاث ذوات :المولى عز وجل ،والنبي صلى الله عليه وسلم،والمشركون بنسبة كبيرة.

(2) نسبة كبيرة من الضمائر في البنية(31٪)تحيل إلى ذات المولى عز وجل ،وهذا يتفق مع القضية المحورية في البنية وهي : استحقاق الله سبحانه وتعالى للحمد والثناء.

(3) جاءت الضمائر المحيلة إلى الكافرين في هذه البنية في المرتبة الأولى من حيث الكم وبلغت نسبتها (33٪) ، وذلك لأنهم يمثلون الطرف المقابل في القضية ، وهم الجاحدون والرافضون للاعتراف بتلك الأحقية أي الحمد للمولى عز وجل ،

فكأن الخطاب الذي جاء بعد الحمد مخصوص به هذه الفئة ؛ لأنه قد توسط بين "الحمد لله " وبين أدلة استحقاق الله تعالى لهذا الحمد "هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا....وهو الله في السموات .... ".

توسط هذين الخطابين قوله تعالى : "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ".

ومما زاد من تماسك أجزاء النص الثلاثة : (الحمد ، الكفر الذي قوبل به ، أدلة استحقاق الله سبحانه وتعالى للحمد) الضمائر الواردة فيما جاء لاحقا من خطاب والتي تحيل إلى الكافرين (فقد كذبوا) ، (فسوف يأتيهم) ، (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) (فلمسوه بأيديهم) ، (قالوا لولا أنزل إليه) ، وتستمر الإحالة إليهم حتى آخر آيه في هذه البنية (قل الله شهيد بيني وبينكم ....).[1]

(4) نقرأ كذلك من الإحصاء السابق قلة الضمائر المحيلة إلى المؤمنين ، لأن هؤلاء لا يقفون طرفا رئيسا في الصراع العقدي الدائر في السورة ؛ لأنهم تلقوا ما جاءهم برضى وقناعة وعملوا بمقتضاه ، فهم النموذج المثالي لقبول مبادئ العقيدة التي تدعو إليها السورة ، والخطاب المضمّن فيها إنما يهدف إلى دعوة الفئة الأخرى المتخلفة عن ذلك ، أي المشركين لاتّباع المؤمنين فيما سلكوه من طريق الهداية، متخذاً في ذلك كل الوسائل والأساليب الاقناعية الممكنة .

وحتى نقف على قوة العلاقات التي تصنعها الإحالة وكثافتها سنحلل الضمائر المحيلة إلى المشركين في البنية الكبرى الأولى ومضمون هذه الإحالة ، لنرى كيف تتكاثف في هذه البنية لتصنع شبكة مترابطة ، تسهم في تماسك النص :

---

(1) جاء في تفسير القرطبي : " قال العلماء : هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور". (انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج6، ص383) .

جدول (4)

الآية	عدد الضمائر المحيلة إلى الكافرين	مضمون الإحالة
1	2	موقف الكافرين من الحمد
2	3	تذكيرهم بآلاء الله عليهم
3	3	بيان أن الله محيط بهم وبما يقترفونه
4	3	إمعانهم في التكذيب والكفر على الرغم من الأدلة المقدمة إليهم .
5	5	تهديدهم ووعيدهم بأن جزاءهم سيكون من جنس عملهم .
6	3	تذكيرهم بما لحق بالمكذبين والجاحدين من قبل .
7	3	بيان إمعانهم في التكذيب والكفر وإن جاءتهم أبلغ الأدلة
8	2	رغبتهم في تعجيز النبي صلى الله عليه وسلم.
9	2	رد الله سبحانه وتعالى على طلباتهم وطموحاتهم .
10	-	-
11	2	توجيههم إلى الاعتبار والعظة مما أصاب من قبلهم من الأمم .
12	5	يذكرهم المولى بعدله ورحمته التي وسعت كل شيء .

13	–	–	
14	–	–	
15	–	–	
16	–	–	
17	–	–	
18	–	–	
19	3	تذكيرهم بأن الرسول ما عليه إلا البلاغ ، وقد أدي النبي صلى الله عليه وسلم وسلم الرسالة على أكمل وجه والله يشهد له بذلك .	

إذا تأملنا في الجدول السابق سنخرج بملحوظات مهمة ، منها :

أ) ترابط وانسجام موضوعات الآيات إذ تعالج قضية موقف الكافرين من الاعتراف بالحمد لله تعالى ، والسجال الذي يدور فيها لإقناعهم بشتى الوسائل.

ب) عملت الضمائر في هذه الآيات إلى جذب الأفكار المختلفة نحو البؤرة المركزية الحمد إذ تعددت الأفكار من حيث نوعها ولكن ارتباطها بذات واحدة جعل منها منظومة متكاملة مرتبطة بهذه الذات .

ج) يمكن معالجة الضمائر المحيلة إلى الذات الإلهية بالكيفية نفسها التي عالجنا بها الضمائر المحيلة إلى الكافرين .

(5) كذلك بتتبع الضمائر في هذه البنية الكبرى من السورة نلحظ أن منها ما يحيل إلى داخل النص وهو معظم تلك الضمائر ، ومنها ما يحيل إلى خارجه مثل قوله

تعـالى: ﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[1] ، فالضمير في (عنه) و(رَحِمه) يحيل إلى المؤمنين ، وهـم لم يذكـروا صراحـة فيمـا سبق من آيات، ويتوصل إلى توجيه تلك الإحالة من خـبرات المتلقـي ، وهـي أن الرحمة لا تكون إلا لهذه الفئة.

وإضافة إلى خبرات المتلقي في تحديد المحال إليه لا يمكن الاسـتغناء في تلقـي القـرآن الكريم عن مناسبة النزول لتحديد المحال إليه ؛ فلـولا إدراكـه لهـذه المناسـبات لمـا اسـتطاع معرفة مرجعية الضمير، ومن ثم يغيب كثير من المعالم الدلالية ، وقد ينقص من تماسـكهما نظراً لعدم وضوح مرجعية الضمـائر بـها . ويمكـن أن نمثـل لذلـك بإختلاف العلمـاء في مرجعية الضمائر في قوله تعالى :﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ ﴾[2]، فمنـهم مـن قال إنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من قال إنه القرآن، وفي كل تأويل تختلف دلالة الخطاب إضافة إلى اختلال شبكة التماسك في الخطاب .

(6) لا يدل تعدد المحال إليه في الآيات (1-19) على تشتت وجهتها ؛ إذ يمكن تفسير هذا التعدد بالاستعانة بالإحصاءات الموجودة في الجدول رقـم (3) بأنـه عـامل من عوامل التماسك، إذ تشير إلى تقارب واضـح بـين ضمـائر المتكلـم المحيلـة إلى المولى جل وعلا وضمائر المخاطب المحيلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، مما يـدل على أن الخطاب يعتمد على تلقين النبي صلى الله عليه وسلم رسالة محددة يـراد منه إيصالها إلى الفئة المستهدفة ، وهذا ما تحقق بالفعل في الخطاب : " قل أغـير الله ......" " قل إني أخاف ....." " قل أي شيء ...."

ومن هنا نستنتج أن تعدد المحال إليه لا يدل على انعزال كل منهم عن الآخر في هذا الموقف بل المشيرات تدل على نوع من التفاعل متحقق بين أطراف الخطاب، وقد أدى هذا التفاعل إلى تحقيق الانسجام للنص.

---

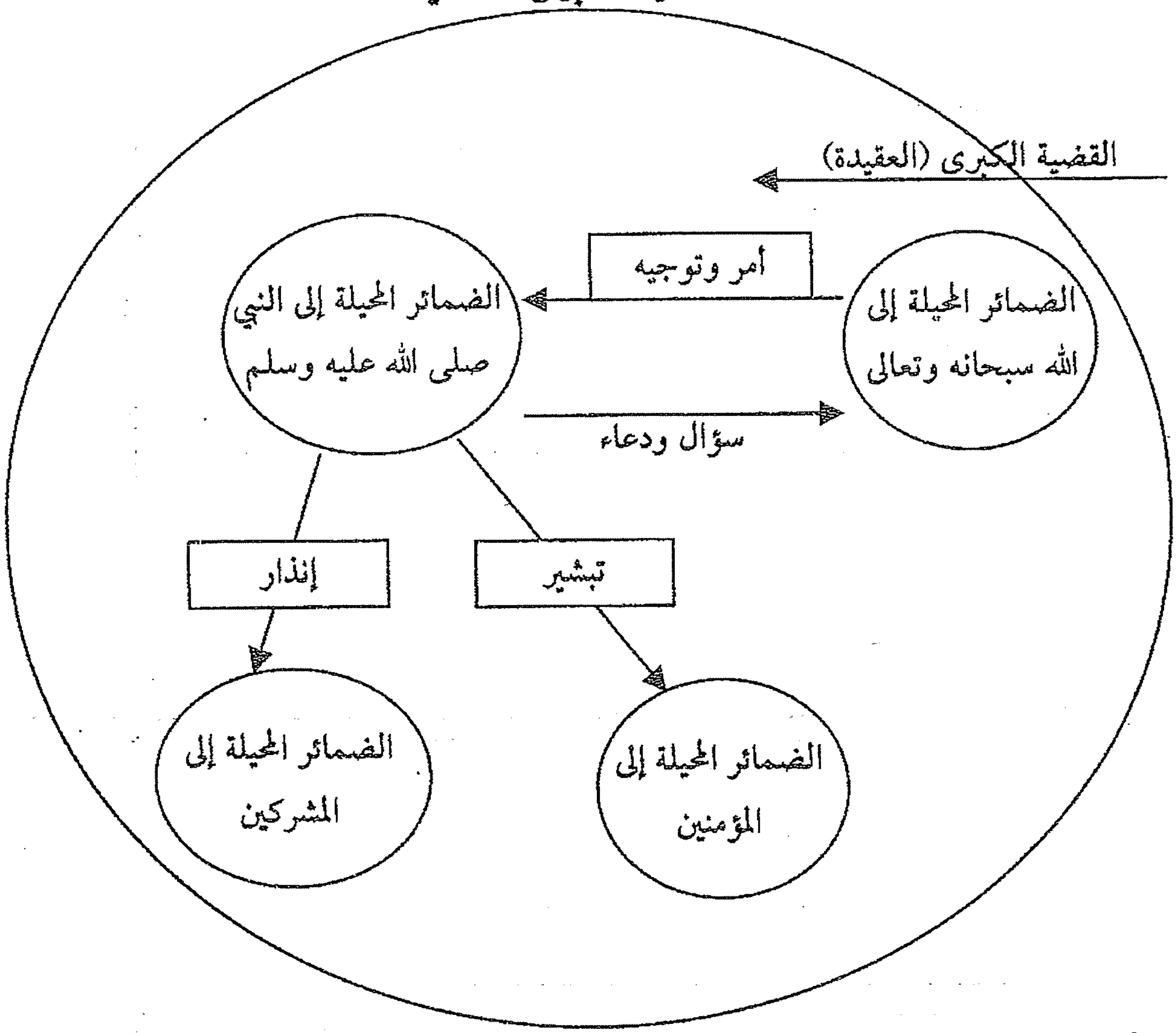
(1) الأنعام (16)

(2) الأنعام (26)

ويمكن تمثيل التفاعل بين ما تحيل إليه الضمائر في إطار القضية الكبرى في السورة على النحو الآتي :

شكل (2)

القضية الكبرى (العقيدة)



2-أسماء الإشارة:

"وتتنوع إلى ظرفية (هنا-هناك) ، وحيادية (هذا) ، وانتقائية (هذه -هاتان-هذان-هؤلاء) أو حسب البعد (ذاك - ذلك - تلك) ، والقرب (هذا ، هذه) وتقوم بالربط القبلي والبعدي مثل الضمائر، ومن ثم تسهم في اتساق النص وربط أجزائه ".[1]

(1) النحاس ، ص 71.

وينطبق على أسماء الإشارة ما قيل في الضمائر من إمكانية أن تكون الإحالة إلى عنصر واحد أو شخص أو شيء ما ، أو أن تكون إلى أشياء متعددة ، أو إلى خطاب .

كذلك تحقق الإشارة التماسك النصي من خلال استدعاء عنصر متقدم أو خطاب بأكمله.(1)

والإحالة بالإشارة في سورة الأنعام قليلة إذا قارناها بالضمائر فهي تمثل في مجموعها سبعة وعشرين موضعاً في السورة جميعها، ومعظم المواضع جاءت بـ(ذلك)، ماعدا موضعين جاءا بـ(هذا) ، وموضعاً واحداً فقط وظفت فيه(تلك).

سنحلل بعضاً من تلك المواضع للوقوف على كيفية عمل اسم الإشارة وإسهامه في عملية التماسك ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(2)

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(3)

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾(4)

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(5)

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(6)

---

(1) خطابي ، ص 177

(2) الأنعام (53)

(3) الأنعام (55)

(4) الأنعام (75)

(5) الأنعام (84)

(6) الأنعام (88)

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (1)

هذه بعض المواضع التي ورد فيها اسم الإشارة في سورة الأنعام، وهو كما ذكرنا آنفا يقوم بالوظيفة نفسها التي يقوم بها الضمير في عملية تماسك النص ، وإذ جئنا إلى النموذج الأول نجد أن (ذلك) تحيل إلى الابتلاء الذي ابتلي به الناس الأغنياء والشرفاء من جهة، والفقراء من جهة ثانية، والإشارة تحيل إلى قوله تعالى: "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي" ، فالسياق هنا يشير إلى طلب المشركين من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم مجلساً خاصاً لا يخالطهم فيه الفقراء والضعفاء تعرف لهم به العرب فضلهم،وبهذا القول تحققت الفتنة(2). وهنا تحقق التماسك بوساطة هذه الإشارة .

أما الإشارة في النموذج الثاني فقد حققت الربط بين كل ما سبق من آيات وبين هذا الحكم وهو التفصيل . جاء في التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية :"والآيات : آيات القرآن.والمعنى نفصّل الآيات ونبينها تفصيلاً مثل هذا التفصيل الذي لا فوقه تفصيل"(3) كذلك أسهمت الإشارة في بيان سبب التفصيل في الآيات الواردة في الجزء السابق من الآيات وهو، (لتستبين سبيل المجرمين) "فكما كان استعمال (كذلك)

---

(1) الأنعام (102)

(2) هنا الإحالة إلى خارج النص وهي الفتنه ؛ لذا يستلزم توجيه الإحالة (كذلك فتنا) وجهتها الصحيحة الوقوف على الظروف المقامية المحيطة بهذا الخطاب : "جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب ، قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين ؛ فلما رأوهم حوله صلى الله عليه وسلم حقروهم ؛ فأتوه فخلوا به وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا ، فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ؟ قال : (نعم) ، قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا ؛ قال : فدعا بصحيفة ودعا عليا – كرم الله وجهه – ليكتب ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل عليه السلام بالآيات." (انظر : تفسير القرطبي ،ج6، ص432)

(3) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج6 ، ص 127.

نفصّل بعد ذكر أفعال عظيمة صلح أن يكون التفصيل المذكور بعد الإشارة علّة لأمر من شأنه أن يعلل بمثله صحّ أن تعطف عليه علّة أخرى ، ومثل ذلك ما جاء في النموذج الثالث : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[1] والإشارة في هذه الآية تربط بين ما رآه إبراهيم عليه السلام من قبح عبادة الأصنام وبين رؤيته ملكوت السموات والأرض، والمعنى: "ومثل ما أريناه من قبح عبادة الأصنام نريه ملكوت السموات والأرض . وهنا دقيقة عقلية ، وهي أن نور جلال الله تعالى لائح غير منقطع ولا زائل البتة ، والأرواح البشرية لا تصير محرومة عن تلك الأنوار إلا لأجل حجاب ، وذلك الحجاب ليس إلا الاشتغال بغير الله تعالى"[2] ، أي أن الخطابين متماسكان والدلالة واحدة ، وهي الرؤية من أجل زرع اليقين والإيمان .

في النموذج الرابع سبقت هذه الآيات ببيان موقف سيدنا إبراهيم -عليه السلام- من دعوة الله ، وكيف أظهر حجة الله في التوحيد وذبّ عنها، ثم جاءت ما بعدها من آيات تبين وجوه نعم الله عليه وإحسانه إليه منها قوله تعالى : " وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم" وقوله "نرفع درجات من نشاء" ، وقوله : " ووهبنا له إسحاق" ، " ويعقوب" ، وإخراجه من أصلاب آباء طاهرين مثل نوح " ونوحا هدينا من قبل" ، كل ذلك كان جزاء للمحسنين " وكذلك نجزي المحسنين " فقد ربط اسم الإشارة بين كل تلك الأحداث والتكريمات السابقة وبين قوله تعالى: "كذلك نجزي المحسنين" .أي بتلك الأمور يكون جزاء المحسنين.

وفي النموذج الخامس جاء اسم الإشارة رابطا أجزاء متعددة لخطاب سابق، إذ جمع كل ما سبق في حكم واحد هو كونه " هدى الله يهدي به من يشاء" ، وأجزاء الخطاب متكونة من قسمين :القسم الأول منها هو المنافحة والحجاج عن منهج التوحيد، ومحاولة إثبات الوحدانية لله تعالى بمختلف الوسائل والسبل ،والقسم الثاني الهبة الإلهية التي كرم بها هذه الذرية الطيبة وهي (الهداية والرشاد) ، أما القسم الأول

---

(1) الأنعام (75)

(2) الرازي ، ج13، ص44 .

فيمكن تفصيله في موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه" وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ..." ،واستغراق إبراهيم في التأمل في الكون وإتيانه للحجة من خلال هذا التأمل : " وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض..."

ومحاجة إبراهيم لقومه و إثباته الحجة عليهم : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [1] أما القسم الثاني فيفصله قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [2] كل ذلك جمعته بوتقه واحدة هي أنه (هدى الله).[3]

والنموذج السادس يحقق التماسك بين الآيات من بداية قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ وحتى قوله: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ إذ يجملها في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ أي تلك صفات الله المستحق لعبوديتكم وخضوعكم له . جاء في الكشاف : (ذلكم) إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات، و (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة على معنى : أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه بعض خلقه ثم قال : " وهو على كل شي قدير " يعني وهو مع تلك الصفات مالك كل شيء".[4]

---

(1) الأنعام (80) .

(2) الأنعام (84- 87)

(3) انظر : الرازي ،ج13 ، ص 69.

(4) الزمخشري ، الكشاف ، ج2 ، ص41.

3- أدوات المقارنة :

"هي نوع من الإحالة يتم باستعمال عناصر عامة مثل التطابق ، والتشابه والاختلاف أو عناصر خاصة مثل : الكمية والكيفية ، فهي من منظور الاتساق لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية "[1] .

ونمثل لعنصر التطابق ما حدث بين الآية الأولى من السورة والآية الأخيرة، فقد تضمّن قوله تعالى : " الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور" بيان أحقية المولى عز وجل بالحمد والثناء من خلال ما سبق من مسوّغات، وعلل لذلك ، وهي في الآية إنعامه على الإنسان بخلق هذه الأشياء المذكورة وقدرته عليها ، وكذلك تضمّن قوله تعالى في الآية الأخيرة بيان لنعمة عظيمة أنعمها المولى عز وجل على الإنسان وهي استخلافه وجعله وكيلاً عنه في الأرض ، وجعل هذه النعمة امتحانا له ليتمايز هو وبنو جنسه فيما بينهم من حيث الشكر والكفر ، يقول الزمخشري : " ورفع بعضهم فوق بعض درجات " في الشرف والرزق " ليبلوكم فيما آتاكم " من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد.....

" إن ربك سريع العقاب " لمن كفر نعمته ، " وإنه لغفور رحيم " لمن قام بشكرها"[2] .

وهكذا فكأن هذا التطابق بين أول السورة وآخرها يضعها بين قوسين يحتويان مضمونها.

وهناك الكثير من مواضع التطابق في السورة لا يسع المقام للوقوف عليها .

أما فيما يتعلق بعلاقات التقابل في السورة فهي كثيرة ، نكتفي بالوقوف عند نموذجين بارزين منها : أولهما ما جاء في الآيات (51- 54) ، إذ تضمنت هذه الآيات حديثاً عن المؤمنين على النحو الآتي :

---

(1) النحاس ، ص72

(2) الزمخشري ،الكشاف ، ج2 ، ص65.

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1).

تظهر المقابلة هنا حين سبقت هذه الآيات بخطاب مماثل إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكن مضمونه مختلف إذ يتضمن الحديث عن المشركين: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2).

وتظهر المقابلة في جانب آخر حين تليت الآيات المتضمنة صفات المؤمنين بآيات تتضمن الحديث عن المشركين المكذبين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (3).

ويمكن تمثيل العلاقة بين هذه الخطابات المتقابلة بالشكل الآتي:

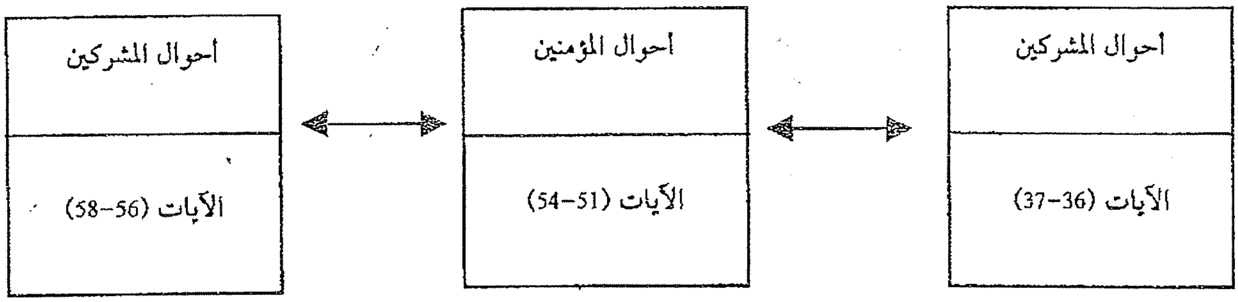
---

(1) الأنعام (51-54).

(2) الأنعام (36-37).

(3) الأنعام (56-58).

شكل (3)



ونمثل لعلاقة المقابلة بنموذج آخر من السورة وهو ما حدث بين خطابين متباينين في قصة سيدنا إبراهيم الأول هو قوله تعالى على لسان إبراهيم :﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. أما الثاني والمقابل له هو قوله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] . ويحقق هذا التباين بين الخطابين تماسكاً يجعل القارئ يلجأ إلى أحدهما ليتبين الآخر، فلا بد من قراءة قصة إبراهيم مع قومه وكيف ناظرهم وبين لهم قصور معبوداتهم ؛ ليصل إلى مناسبة قوله : " إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ... " لأن الثانية نتيجة لما توصل إليه في الأولى حتى أنه انطلق في إثبات الوحدانية لله من النموذج الذي كان يعالجه بالنظر والتأمل فقال : " للذي فطر السموات والأرض " ، أي توجهت بالوحدانية وسلمت القياد لخالق تلك الموجودات التي عددها سلفاً[3] .

---

(1) الأنعام (76-79).

(2) الأنعام (79).

(3) انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج2 ، ص31.

فهنا تظهر مقابلة بين موقفين ظاهرهما متناقض ومتباين ، وهما الإيمان بربوبية الكواكب ، وإخلاص التوجه لله تعالى ، لكن لا يكاد الخطاب يكتمل حتى يتبين القارئ أن المناظرة التي كان يخوضها إبراهيم عليه السلام مع قومه حتمت هذه المقابلة، وبالتالي لا يمكن فهم الخطاب إلا بالربط بين الجزئين .

ثانيا : العطف :

تسهم التوابع بشكل عام في تحقيق الانسجام النصي داخل الأبنية الكبرى .

"ويأتي دورها في هذه العملية من المصطلح الذي يطلق عليها وهو (التابع) ، إذ التابع يتبع متبوعه في بعض الأمور ، ومن ثم يرتبط به لدرجة جعلت عدّ بعض التوابع مع متبوعها كالكلمة الواحدة. وكذلك يرتبط التابع بمتبوعه من خلال المشاركة معه في الوقوع تحت تأثير عامل واحد ، فالعامل في المتبوع هو العامل في التابع ... ويمثل التابع امتدادًا نصياً للمتبوع؛ إذ نلاحظ أن صدى المتبوع يظهر في التابع كذلك "(1)

وعلى الرغم من أن التوابع جميعاً تسهم في التماسك النصي إلا أننا سنقصر الحديث هنا على وسيلة واحدة ، وهي العطف ، لأن المقام سيطول لو عمدنا إلى التوابع الأخرى مثل النعت والبدل والتوكيد ، وكان الاختيار للعطف من منطلق شيوعه وقوة فاعليته في عملية التماسك التي نحن بصدد الحديث عنها.

" والعطف كونه وسيلة اتساق في النص يختلف عن الإحالة ، لأنه لا يتضمن إشارة موجهة إلى سابق ، وإنما يحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص ، الذي هو عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً"(2)

ولم يغفل القدماء من البلاغيين خاصة أهمية العطف في تحقيق التماسك بين أجزاء النص ،فقد جاء عن عبد القاهر الجرجاني في باب الفصل والوصل قوله: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلّص ..."(3) ، ثم يمضي عبد القاهر الجرجاني في الحديث عن أنواع العطف؛ ويذكر له نوعين: الأول عطف مفرد على مفرد ،

---

(1) الفقي ، علم اللغة النصي ، ج1 ، ص243.

(2) النحاس ، نحو النص ، ص 72.

(3) (الجرجاني) ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 223.

والثاني عطف جملة على جملة ؛ أما الأول فلا يُشكل على أحد وغرضه – حسب رأي الجرجاني – أن يشرك الثاني في إعراب الأول ، وإذا فعل ذلك فقد أشركه في حكمه .

والنوع الثاني من أنواع العطف وهو عطف جملة على جملة ، فله وجهان: الأول منهما أن تكون الجملة المعطوف عليها لها محل من الإعراب وبذلك يحدث ترابط بين الجملتين ، ويحقق العطف هدفه ، أما الثاني بأن تكون الجملة المعطوف عليها لا محل لها من الإعراب وهذه له فيها نظر ، إذ يرى أن العطف فيها بالواو يولد إشكالاً ، دون العطف بالحروف الأخرى ، لأن الواو تفيد مطلق الجمع ولا تفيد معنى آخر مثل باقي أدوات العطف التي تفيد التخيير والتعاقب وغيرها من المعاني .

ويرى عبد القاهر أن لا جدوى من العطف بالواو بين جملتين الأولى منهما لا محل لها من الإعراب إلا في حالة واحدة ، وهي أن تكون بين جملتين بينهما علاقة من نوع معين تقتضي هذا العطف. وتظهر هذه العلاقة من خلال متعلقات البؤرة وأجزائها الثانوية ، فهو يرى أن الجملتين (زيد قائم وعمرو قاعد) مترابطتان على الرغم من أن الواو لا تجمعهما في حكم واحد كقولنا جاء عمرو وزيد ، إلا أن الارتباط حسب قول الجرجاني يكمن في الآتي : "أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول ، فلو قلت : زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان خلفاً لأنه لا مشاكلة ، ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر ، وإنما الواجب أن يقال : زيد كاتب وعمرو شاعر ، وزيد طويل القامة وعمر قصير"[(1)]

إذن ما جاء به علماء النص ليس جديدا حين عرّفوا العطف بأنه رابط تركيبي لكن لا يربط إلا بين عنصرين بينهما ارتباط دلالي .[(2)]

وآثار العطف – كما رأينا – لا تقتصر في تحقيق التماسك على مستوى الجزء من الكلام وإنما تتوزع في مختلف المستويات ، فأحيانا نجده على مستوى الألفاظ ،

---

(1) المرجع نفسه ، ص 226.

(2) انظر : (أبو زنيد) عثمان ، نحو النص في خطب عمر بن الخطاب (رسالة ماجستير) ، جامعة اليرموك ، ص 112.

وأحيانا على مستوى الجملة ، وأحياناً على مستوى مجموعة من الجمل ، وأحياناً على مستوى الفقرات ، وأحيانا على مستوى النصوص [1] .

ويشترط في العطف ألا يعطف الشيء على نفسه ، وأن يكون هناك جامع يجمع المتعاطفين ؛ إذ التوابع في عمومها مقسمة إلى ثلاثة أقسام :

(1) كاملة الاتصال بمتبوعاتها ، ولا تحتاج بالتالي إلى رابط ، وهذا مثل التوكيد وعطف البيان والصفة .

(2) وكاملة الانقطاع لا تحتاج إلى رابط ولا يمكن أن يوصل بين طرفيها ، مثل البدل.

(3) متوسطة الصلة بين القسمين السابقين تحتاج إلى رابط وهي التي يمثلها عطف النسق.

إذا عدنا إلى العطف نرصده في سورة الأنعام نجد أن هناك حضوراً كثيفاً لأدوات العطف في السورة ، خاصة الواو ، ومن المعلوم أنه كلما ازداد عدد هذه الأدوات ازدادت قوة التماسك بين مكونات النص القرآني ، كلماته وعباراته وجمله وقصصه ، وسوره، ليخرج في النهاية نصاً محكماً متماسكاً[2].

وإذا أردنا تفسير التماسك الذي تولده أدوات العطف في النص ، يمكن أن يفسر بطريقتين : الأولى تحقيقها للربط كونها حلقة وصل بين أجزاء الخطاب المختلفة ، أما الثانية فتتمثل في تحقيقها لسمة الاختزال في الخطاب ، وهو ما يسمى باللف أو الطي أو الاقتصاد والذي ينتج في نهاية المطاف نصا كثيفا مترابطا لا حشو فيه ، لأن الحشو يؤدي إلى اتساع الخطاب، وبالتالي تباعد مكوناته بعضها عن بعض مما يقلل التماسك.

ويأخذ بعضهم على الدرس اللغوي القديم اقتصاره في تعريف العطف على بعض الأدوات المحدودة المتمثلة بالحروف المعروفة ، ويرى أن العطف يوجد حين توجد علاقة أو سبب مشترك بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولكن العطف أشمل من ذلك . فقد ترجم عن اللغات الأخرى مصطلحات تفيد العطف مثل الاشتراك والتضام والتعلق، والمشاكلة ، والمناسبة ، وهي جميعها تقترب من مصطلح التماسك .[3]

---

(1) انظر : المرجع نفسه ، ص110.

(2) انظر : الفقي ، ص258.

(3) المرجع نفسه ، 249

وسنطبق بعد هذه المقدمة النظرية على بعض النماذج من سورة الأنعام ، على النحو الآتي : قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (1)

جاء العطف في الآيتين السابقتين في عدة مواضع، منها :

- عطفت (قال أوحي) على (افترى) بـ (أو).
- عطفت (من قال) على (من افترى) بالواو .
- عطفت (كنتم تستكبرون) على (كنتم تقولون) بالواو .
- عطفت (ضل عنكم) على (ما نرى معكم) بالواو .

وردت هذه الآيات في سياق جدال محتدم بين النبي صلى الله عليه وسلم والمكذبين بالرسالة التي جاء بها ، جاء قبل هذه الآيات قوله تعالى :﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(2) وبعد تلك الآيات والعبر والعظات حول صدق هذا الكتاب ، وبيان ما فيه من صفات الجلالة والشرف والرفعة، عقب كل هذا جاء الوعيد لمن يدعي النبوة والرسالة على سبيل

---

(1) الأنعام (93- 94)

(2) الأنعام (91-92)

الكذب والافتراء ، فالوعيد موجه لمن يقترف أحد الأشياء الثلاثة : يفتري على الله كذباً ، ويقول إنه أوحي إليه ، ويدعي أنه سينزل مثل ما أنزل الله .

ويمكن بيان دور العطف في التماسك في الشواهد السابقة على النحو الآتي :

1- وظف العطف للربط بين هذه الأمور ، إذ يشدها إلى بؤرة مركزية واحدة وهي الظلم واستحقاق العقاب .

وحسب ما يراه المفسرون فإن هذه الآية جمعت بوساطة العطف بين ثلاث فئات من الناس هم:

أ- مدعو النبوة أمثال مسيلمة والأسود العنسي : فإنهما يدعيان النبوة والرسالة على سبيل الافتراء والكذب ، ويدخل في هذا الصنف كل من ينسب إلى الله تعالى ما هو بريء منه ، إما في الذات ، وإما في الصفات ، وإما في الأفعال .

ب- مثبتو الوحي لأنفسهم ، ونافوه عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ج- الذين يدعون قدرتهم على مجاراة القرآن ومنهم النضر بن الحارث .[1]

2- تم العطف في بعض الجمل بالواو وكان المعطوف عليها جملة لا محل لها من الإعراب، لكن لا يمكن أن نعدّ العطف هنا فضلة لا يحقق غرضا.ففي قوله تعالى:

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ، عطفت الجملة الثانية "كنتم عن آياته" على الأولى ﴿ كُنتُمْ تَقُولُونَ ﴾ بالواو ، ولم تحقق من إعراب جديد وكان العطف بالواو التي تفيد مطلق الجمع ، لكن هناك ما يجمع المتعاطفين وهو تلازمهما ، فقد قيل إن هذين النوعين من الآفات يتصف بهما أكثر المتوسمين بالعلم المدعين له[2] . "فالمعنى في الجملة الثانية لفقة للمعنى في الأخرى ومضافاً له ."[3]

---

(1) انظر : الرازي ، ج 13، ص 79 .

(2) انظر : الرازي ، ج 13 ، ص 79.

(3) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص226.

3- تكوّن سلسلة المتعاطفات في الآيتين السابقتين كتلة دلالية تنسجم مع ما سبقها من آيات ﴿ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ وقوله عزوجل : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فالسلسلة في مجموعها :- تبين عقوبة من ينفي عن الله إرسال الرسل والوحي .

- توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى طريقة التعامل معهم .

-تفصل ما قاله المنكرون والمغرضون في القرآن .

مما يدل على أن العطف لم يقتصر دوره على تحقيق الترابط على مستوى الجمل أو الآيتين المستشهد بهما ، بل على مستوى الخطاب بأكمله كما رأينا ذلك .

وسنتوقف بالتحليل كذلك عند قوله تعالى :

- ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (1)

- ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2) .

- ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ (3)

---

(1) الأنعام (33)

(2) الأنعام (37)

(3) الأنعام (40-41)

في الآيات السابقة تم توظيف أدوات أخرى للعطف غير التي وردت قبل مثل (لكن ، بل) وهي لا تحقق الربط المباشر الذي تحققه الأدوات الأخرى ، فهي لا تشرك المعطوف والمعطوف عليه في حكم واحد :

في الشاهد الأول استدراك أن يكون أولئك الجاحدون المكذبون يقترفون بفعلهم جريرة في حق النبي صلى الله عليه سلم ، بل هم يفعلون ما هو أشد من ذلك وما يستحقون به العقاب الشديد وهو الجحود بآيات الله ، وهذا الأمر فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أن قدره محفوظ ومنزلته عالية عند ربه ، وفيه وعيد للمكذبين لعظم ما يقترفونه . وكذلك في الشاهد الثاني .

أما الشاهد الثالث فيستفهم المولى عز وجل مستنكرا على المشركين : إلى من ستتوجهون بدعائكم حين يحل بكم العذاب أو تأتي الساعة ؟ هل للآلهة التي تدعون كما هو حالكم الآن ؟ ثم تأتي الإجابة بأنهم لن يدعوا إلا الله ، فـ (بل) هنا ليست حرف عطف بالمعنى التركيبي النحوي ، لكنها حرف إضراب أفادت العدول عن موضوع إلى موضوع آخر ، مع إبطال حكم الموضوع الأول وهو دعاء غير الله [1].

يقول فيها القرطبي : "بل هي إضراب عن الأول وإيجاب للثاني" [2] .

ويرفض بعض الباحثين اعتبار أدوات العطف التي لا تشرك الطرفين في الحكم محققة للتماسك ؛ لأنها تربط من الناحية التركيبية دون الدلالية مما يخل بشرط التماسك، وما نراه هنا أن التماسك متحقق بهذه الأدوات ؛ إذ علاقة التخالف هذه تحقق الترابط ، الذي لا يشترط فيه أن يسير طرفا الخطاب في اتجاه واحد ، أضف إلى ذلك أن هناك علاقات أخرى تتولد من هذه العلاقات المتقابلة أو المتنافرة (العدول، الاستدراك ، الإضراب) مثل علاقات الزمان والمكان ووحدة الذوات المشاركة في الخطاب، ففي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ تماسك بيّن على الرغم من الوجهة المختلفة

---

(1) انظر : (الغلاييني) مصطفى ، جامع الدروس العربية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2003، ص 578.

(2) القرطبي ، ج6 ، ص 423.

التي توجه إليها طرفا الخطاب (وقالوا لولا نزّل .....) (أكثرهم لا يعلمون) ، وذلك لأنه يدور حول موضوع واحد وذات واحدة ، فطرفا الخطاب يجتمعان في أنهما يعالجان اعتقاد هذه الفئة من الناس في صفة القدرة عند الله سبحانه وتعالى؛ إذ الجزء الأولى يبين اعتقادهم ويعرّفه وهو الشك ، والثاني يقرر جهلهم ونتيجة الحكم الذي أصدروه .

وسنختم الحديث عن العطف بالوقوف على مواضعه في الآيات الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام، وكيف حققت التماسك في هذا الجزء من النص؛ لأن دورها في هذا الموضع أكثر بروزا.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]

و نخرج من توظيف أدوات العطف في الآيات السابقة بالنتائج الآتية :

1- وظفت الفاء للربط بين الأحداث المتسلسلة في الآيات، وأضفت عليها صفة التراتب.(فلما رأى) ، (فلما أفل) .

2- على الرغم من وجود قرينة تحقق صفة التراتب بين الجمل ؛ لأنه بدأ من الأصغر إلى الأكبر (الكوكب ثم القمر ثم الشمس) إلا أنه جاء بالعطف ، وذلك حتى يضيف معنى آخر للتماسك وهو الارتباط الزمني؛ إذ كانت الأحداث تعقب

---

(1) الأنعام (75- 81)

بعضها بعضاً فلم يكن هناك تــراخ في الزمــن وهــذه مــن فوائــد ومعــاني حــرف العطف (الفاء) ، ولولا ذلك لوظّف حرف آخر للعطف.

3- تماسكت هذه الآيات مع آيات إثبات الحجة وآيات أخرى ســابقة ولاحقـة ، أي أن هذه الكتلة الخطابية التي تم الحديث عنها وقــد تحققـت في وقـت واحـد (مـن خلال توظيف حرف الفاء) كانت هناك من المعاني ما تماسك معها ، ووظـف لـه أدوات عطف أخرى ؛ وذلك من مثل قوله عز وجـل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] وهذه الآيــة تمثل التمهيد لموقف المحاجة الذي تعدى الأب إلى القــوم جميعــهم . وترتبـط هـذه الآيـة مـع أخـرى بعدهـا ، وهـي قولـه تعـالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[2] ، أي ولمثل تلك الدعوة الصالحة نثبّت أيضا إبراهيم باليقين، وهو رؤية آيات الله في الكون ، والرابـط هنـا الـواو، وبعد هذا الخبر تأتي الهبة الربانية لإبراهيم مباشرة دون تباطؤ أو استرخاء لذلـك تم الربط بالفاء مع قوله تعالى : "فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا ....." .

ومنهم من يـرى أن قولـه تعـالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ جـاء معترضـاً ، فالجملة السابقة لا محل لها من الإعراب لأنــها معترضـة بـين قولـه (وإذ قـال) وبـين الاستدلال على ذلك بقوله : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾[3]

---

(1) الأنعام (74)

(2) الأنعام (75)

(3) (الدرويش) محي الدين ، إعراب القرآن الكريم وبيانـه ، دار اليمامـة ، بـيروت ، 1999، ج2 ، ص398.

رابعا: الحذف :

تميل اللغات الإنسانية إلى ظاهرة الحذف ميلاً طبيعياً لأن المواقف الاتصالية تتطلب حدوث ذلك ، إذ يستدعي الموقف الاتصالي الاختزال والاختصار حتى تصل الرسالة بوضوح من جهة ، وحتى لا يشعر المتلقي بالسأم والملل من جهة أخرى .

ويعرفه بوجراند بأنه: "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسّع أو أن يعدّل بوساطة العبارات الناقصة"(1).

ويأتي الحذف من مبدأ عدم معقولية أن يحوّل الناس كل شيء يقولونه أو يفهمونه إلى جمل كاملة ، فالاكتمال النحوي حينئذ ينتج تراكيب لا فائدة فيها ولا وضوح(2) .

ويعدّ الحذف أحد العوامل التي تحقق التماسك النصي ، ويتم هذا الأمر من جانبين: الأول أن الحذف يترك فجوة في الخطاب تحث المتلقي على البحث عما يشغلها ويسدّها ، ويستعين في بحثه هذا بمكونات الخطاب الذي بين يديه ، والثاني هو ما يشترطه علماء اللغة القدماء والمحدثون في المحذوف ، وهو أن يكون من جنس المذكور أو أن يكون في المذكور ما يدل عليه ؛ إذ بهذا لا يتعدى الحذف عملية تكرار حذف المكرور فيها مؤقتاً ، فمثلاً الشاهد الذي جاء به المبرد على الحذف وهو قول الشاعر :

نحن بما عندنا ، وأنت بما عندك راضٍ ، و الرأي مختلف

والتقدير (راضون) ، وهكذا بعد التقدير للمحذوف يحدث الترابط بين الشطرين وذلك لتكرار اللفظ .

وهذا ما دعا الباحثين الغربيين إلى ربط الحذف بما يسمى لديهم بالإبدال (3).

---

(1) بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص301 .

(2) انظر :المرجع نفسه ، ص341.

(3) يختلف الإبدال لديهم عما هو عند العرب فالعرب يعدّونه من التوابع ، أما عند هؤلاء فهو

أي الحذف على نية تكرار اللفظ المحذوف ، وهناك علاقة كذلك بين الحذف والمرجعية؛ إذ الحذف يمثل علاقة مرجعية لما سبق ، وقد تكون مرجعية الحذف خارجية (غير نصية) تعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تقدير المحذوف ، ويرى جل الباحثين في علم اللغة النصي أن الحذف ذا المرجعية الخارجية لا يحقق التماسك .

وفي هذا القول نظر كما قيل في الإحالة الخارجية أو المقامية ، فمن المعلوم أن السياق يسهم في عملية التماسك النصي حسب رؤية فان دايك في كتابه (النص والسياق) ؛ إذ يرى أن الترابط لا تحدده العناصر اللغوية السطحية الظاهرة في الخطاب ، فأهم شرط لتحقق الترابط لديه هو تعليق الوقائع التي تشير إليها القضايا ، وذلك في عوالم (أزمنة وأمكنة) متعالقة[1] .

ويفرق الزركشي بين الحذف والإضمار بأن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ ، وليس الحذف كذلك، ويذكر فوائد الحذف في التفخيم والتعظيم الذي يحسه القارئ عندما يغمض عليه القول وطلب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل.[2]

فالمحذوف من الخطاب يقدّر اعتماداً على البنية العميقة في التعامل مع النص ، ولا يمكن تقديره حسب ما هو ظاهر من لغة الخطاب ، وهنا يجب علينا الإشارة إلى أهمية طرف آخر من أطراف الخطاب، ألا وهو المتلقي .

إن الحديث عن دور القارئ في عملية الحذف يستدعي إشكالاً قديماً حديثاً ، فالقضية جدلية والصراع فيها لا يزال محتدماً : هل يبحث القارئ عن ذاته في النص أم عن ذات النص نفسه؟

حلول عنصر خطابي محل عنصر آخر في الضمائر والإشارة ، ويرون أن الحذف كذلك يعد من الإبدال ، لكن يبقى البديل غائبا ،لذلك يطلقون عليه الإبدال الصفري.

(1) انظر : دايك ، النص والسياق ، ص20 .

(2) انظر : الزركشي ، البرهان ، ج3 ، ص104.

وإذا أقررنا بدور القارئ في إنتاج النص فدوره في تحقيق التماسك النصي بالتالي كبير، وفيما يتعلق بآلية الحذف يتوجب عليه دون سواه ملء الفراغات الناتجة من الحذف ، إذ يملؤها بوعي من خلال آليات و ضوابط متعارف عليها قديماً وحديثاً ، منها أن يراعي السياق في أثناء هذه العملية ،وأن يستعين بالأدلة الموجودة في البنية السطحية .

ويشترط بعضهم خاصة في النصوص القرآنية أن يكون القارئ ممتلكاً لأدوات القراءة ومؤهلاً لها ؛ لأن في عرفهم ليس كل مطالعة للقرآن تعد قراءة ، فالزركشي رتب أنماط القراءة في تصنيف يميز فيه بين القراءة والتجويد والتلاوة والترتيل والتفسير والتأويل[1].

وهنا يأتي دور المتلقي في تحقيق التماسك ، وهذا في عرضه يتناسب مع ما تراه نظرية تحليل الخطاب كما جاء سابقاً في التوطئة ؛ إذ ترى أن انسجام الخطاب وتماسكه ليس شيئاً معطى في الخطاب، وإنما هو شيء يبنى ،أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي . بل المتلقي هو الذي يحكم على النص أنه منسجم وعلى آخر بأنه غير ذلك2 ، وصناعة الانسجام تدخل فيها عملية تقدير المحذوف ، فإذا كان المتلقي على وعي بالخطاب ويمتلك أدوات القراءة والتأويل فسيكون موفقاً في عملية التقدير وسدّ الفجوة ، وإن لم يكن كذلك فلا يمكن أن يكتب للنص تماسك وتلاحم ، وبالتالي فالقراءة لا يمكن الحكم عليها بالنجاح .

ونكتفي بهذا القدر من التمهيد النظري لدراسة أثر الحذف في التماسك النصي وسنطبق ذلك في الجزء الآتي على آيات سورة الأنعام مركزين على الموضوع المحوري وهو إسهام الحذف في التماسك النصي .

هناك العديد من المواضع التي تضمنت ظاهرة الحذف في السورة ، لكن المقام يحتم انتقاء بعضها ، بما يخدم معالجة الموضوع الرئيس على النحو الآتي:

---

(1) انظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 146.

(2) انظر : خطابي ، لسانيات النص ، ص51 .

جدول (5)

الشاهد (موضع الحذف)	تقدير المحذوف1	الدليل عليه
(.. ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ..)	يعدلون به آلهة أخرى	كفروا ، يعدلون (لابد من معادل ومقابل)
(وله ما سكن في الليل والنهار ..)	ما سكن وما تحرك	قرينة السكون
(من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه)	من يصرف عنه العذاب	الآية السابقة (قل إني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم)
(ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون)	تزعمون أنهم شفعاء	زعم فعل متعدٍ
(ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين	ولو ترى .. لرأيت سوء منقلبهم	حاجة الشرط إلى الجواب
(فالق الإصباح وجعل الليل سكناً)	فالق ظلمة الإصباح	لأن الأفق مملوء بالظلمة في ذلك الوقت والفلق يكون بوساطة نور الإصباح .
(وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون)	نصرف الآيات لنلزمهم الحجة	الآية السابقة . (قد جاءكم بصائر من ربكم ... بحفيظ)
(ولقد استهزأ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون)	فحاق بالذين سخروا عقاب ما كانوا ...	سياق الآيات ، إضافة إلى كلمة (حاق).

---

(1) اعتمد في تحليل الشواهد (تقدير المحذوف) على التفاسير : التحرير والتنوير لابن عاشور ، و مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، والكشاف للزمخشري ، والبحر المحيط لأبي حيان .

ويمكننا من العرض السابق استخلاص النتائج الآتية:

(1) كثرة مواضع الحذف في السورة ، تدل على أنه ظاهرة طبيعية في الخطاب الاتصالي ، وهو يعد من مظاهر بلاغة الخطاب ، كما جاء عن عبد القاهر الجرجاني ، إذ يراه أنه شبيه بالسحر على النفس وأنه أبلغ من الذكر في بعض المواضع .

(2) يظهر دور الحذف في تحقيق الإيجاز للخطاب ، وبالتالي تكثيفه وشد بعضه إلى بعض، لأن كثرة التفاصيل والتكرار في الكلام يؤدي إلى ترهل الخطاب ، وانفلاته من مجراه ، وتشتته ، ومن ثمّ يفقد قوته في الترابط، وبالتالي يعجز عن توصيل الرسالة المطلوبة إلى المتلقي . ويؤدي الإسهاب والتكرار والإطناب في غير موضعه إلى توسيع المسافة بين البؤرة الدلالية المركزية وأجزاء الخطاب.

(3) يحقق الحذف في الآيات الكريمة خاصية استبعاد المحتويات السطحية للخطاب التي يمكن لمضمونها أن يتبادر إلى الذهن من خلال السياق الموجود .

ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1].

جاءت الآية في سياق الحديث عن قدرة الله عز وجل "ليجمعنكم إلى يوم القيامة" ، فأراد المولى عز وجل إثبات ذلك من خلال مشاهد واقعية قريبة من أذهان المخاطبين، فأثبت لنفسه ملكية ما سكن في الليل والنهار ، وإذا كان الأمر على الملكية فبالبديهة أنه تعالى يملك الساكن والمتحرك .

(4) تحقق التماسك والترابط في الشواهد بوساطة الحذف من خلال الجوانب التي تمت الإشارة إليها سابقاً . ففي قوله عزوجل:﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾[2] ، تتولد مباشرة في ذهن المتلقي فجوة حول مفعولي (زعم)، ويعود إدراجه للبحث عما يملؤها من الخطاب السابق فيجد أن ما سبق يشير إلى ما فعله المشركون من اتخاذ وسطاء بينهم وبين الله تعالى يعبدونهم من دونه، وهكذا يملأ تلك الفجوة بما استخلصه من هذه الإشارة "تزعمون أنهم شفعاء" .

---

(1) الأنعام (13)

(2) الأنعام (22)

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ ﴾ (1) ، لا يمكن ملء الفراغ الناتج من الحذف إلا بالعودة إلى السياق السابق، وهو قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ (2) ، وبهذه العودة إلى الخلف يتحقق الترابط بين جزئي الخطاب .

---

(1) الأنعام (16)

(2) الأنعام (15)

المبحث الثاني
آليات الترابط المعجمية

أولاً: التكرار:

يعدَ التكرار ظاهرة عامة في جميع اللغات؛ إذ لا يقتصر وجوده على اللغة العربية فقط؛ وقد ثار حوله جدل واسع خاصة فيما يتعلق بإثباته في القرآن الكريم، فقد أنكر بعض العلماء وقوع تكرار في القرآن، وأعلن أن كل مكرر فيه جديد طريف، أراد أن كل مكرر لا يجيء مرة بعد مرة إلا وهو آتٍ لسبب جديد وهدف طريف.[1]*

ما ينكره هؤلاء العلماء في الحقيقة هو ما يعرف بالتكرار المحض الذي لا يضيف شيئاً في الكلام، وهذا لم يرصد منه شيء في القرآن؛ لأن كل مكرر فيه إنما يتم شحنه بدلالة جديدة من خلال السياق الجديد الذي وقع فيه.

أي أنّ كل مكرور في القرآن هو لهدف أسلوبي. وهناك من رأى غير هذا الرأي ومنهم الزركشي في البرهان إذ يرى في التكرار تحسينا للكلام ويعدهَ أحد عوامل الفصاحة والبلاغة إذ يقول : " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظناً أنه لا فائدة له وليس كذلك بل هو من محاسنها لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض "[2] ، كما نرى فإن الزركشي يصرح بدور التكرار في تحقيق التماسك النصي .

ولم يتعد بيان دور التكرار في التماسك النصي إلا الإشارات العابرة ، التي لم يكتب لها – للأسف – الالتفات بشكل يعمّقها ويوسّعها ، مع أنهم تناولوا بالمعالجة نماذج يبرز فيها دور التكرار في تحقيق التماسك مثل تناول ابن الأثير بالتحليل للتكرار في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [3] إذ جاء عنه أنّ تكرار "إن ربك" مرتين دلّ على المغفرة.

---

(1) انظر: (نصّار) حسين ، التكرار ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2003 م ، ص8.

* ومن هؤلاء العلماء الزمخشري فقد كان يذهب هذا المذهب .

(2) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص 9.

(3) النحل(119)

في حين يرى الدكتور جميل عبد المجيد أن التكرار جاء لما أطال الفصل من الكلام ، وكان أوله يفتقر إلى تمام لا يفهم إلا به ، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول ثانية ؛ ليكون مقارناً لتمام الفصل كي لا يجيء الكلام منثوراً لا سيما في (إن وأخواتها) .[1]

وتتلخص اهتمامات الدرس اللغوي القديم بالتكرار في هذا الجانب أي في نفي التكرار المحض ؛ وذلك ردة فعل على ما أبداه بعضهم من عيب تكرار القصص القرآني ولا سيما قصة موسى عليه السلام ، ومن تعجُّب بعض العلماء وحيرتهم من ذلك ؛ لذلك اندفع المتكلمون واللغويون والمفسرون إلى بذل الجهود لدرء وصمة هذا التكرار عن القرآن.[2]

وفي ظل هذا الخلاف اضطرَ المدافعون إلى تسويغ التكرار القرآني ، ومن ثمَ عالجوه من ناحية جمالية بلاغية.

وتمثلت المعالجة البلاغية للتكرار في تحديد مجموعة من الأغراض البلاغية التي يحققها في الخطاب ؛ إذ لم يكتف العلماء والمفسرون منهم خاصة بدراسة التكرار، وتتبعه في النص على أنه أداة ربط فقط ، بل اهتموا بدلالته في كل موضع.

ويشمل التكرار الذي تناولوه تكرار الجمل ، والفقرات ، والكلمات ، والقصص.

هذا فيما يتعلق بتناول القدماء لظاهرة التكرار ، أما فيما يتعلق بعلماء النص المحدثين فإنهم يقسَمون العلاقات المعجمية التي تسهم في اتساق النص إلى نوعين : التكرار والتضام . ويعرفون التكرار بأنه إعادة لـ: الكلمة نفسها، مرادفة أو شبه مرادف . كلمة عامة أو اسماً عاماً .[3]

---

(1) انظر : (عبد المجيد) جميل ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص92.

(2) المرجع نفسه، ص14.

(3) انظر : خطابي ، لسانيات النص ، ص237.

فالتكرار حسب تصورهم وفي كتابتهم زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة فإنه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي ، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره ، هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة ، أو جملة أو فقرة ، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص مع مساعدة عوامل التماسك الأخرى .(1)

فالتكرار عبارة عن إحالة إلى قبلي حيث تحيل اللفظة نفسها إلى مثيلتها السابقة أو يحيل المرادف إلى مرادفه .

ويقسم التكرار إلى أنواع :

1- تكرار تام : وهو التكرار الكلي إذ يأتي الثاني مطابقاً للأول .

2- تكرار جزئي : ويسمى الاشتقاقي ، إذ تتكرر مادة معينة بأشكال مختلفة .(2)

3- تكرار المعنى باختلاف اللفظ : إذ الدلالة واحدة ، واللفظ مختلف .

4- التوازي : ويتناول الأبنية اللغوية المتماثلة في النص .

"وتتطلب إعادة اللفظ وتكراره وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد ولكنها قد تؤدي إلى تضارب في النص حين يتكرر المشترك اللفظي مع اختلاف المدلولات" .(3)

أي أن هناك بعض المحاذير التي ينبغي مراعاتها في تحليل التكرار في العبارات والنصوص،وهي أن اللفظ قد يتكرَر لكنه يدل في سياقه الجديد على معنى غير الذي كان يدل عليه قبل في السياق السابق.

والآن سنعود إلى نموذج عملي لبيان دور التكرار في تماسك النص القرآني وذلك في سورة الأنعام ، ونشير إلى عدم إمكان رصد جميع مواضعه في السورة ؛ إذ

---

(1) الفقي ، علم اللغة النصي ، ج2 ، ص22.

(2) يذكر بوجراند فائدة لهذا التكرار ، فيقول : "ويشير دريسلر إلى أن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطى منتج النص القدرة على خلق صوز لغوية جديدة ؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهِّل فهم الآخر" (بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص306).

(3) بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ص303 .

ستكون الأمثلة المحللة عبارة عن نماذج لها مماثلات أخرى في السورة لا يتسع المقام لتحليلها . وسنرصد في الجدول الآتي نتائج الإحصاء لتكرار بعض الكلمات في السورة ، ونعلق بعد ذلك عليها :

جدول (6)

م	الكلمة	عدد التكرارات	مدى التكرار	
			البداية	النهاية
1	لفظ الجلالة (الله) والضمير الدال عليه (هو)	123	الآية (1)	الآية (165)
2	فعل الأمر (قل)	44	الآية (11)	الآية (164)
3	الشرك ومشتقاته	28	الآية (14)	الآية (160)
4	لفظة (الأرض)	16	الآية (1)	الآية (165)
5	لفظة (عذاب)	10	الآية (15)	الآية (157)
6	لفظة (أنعام)	7	الآية (136)	الآية (142)

نستنتج من الجدول السابق ما يأتي :

(1) التكرارات السابقة على مستوى الألفاظ فقط ، وأكثرها تكرار لفظ الجلالة والضمير الدال عليه (هو) ؛ وذلك لأن السورة تتمحور حول قضية واحدة كبرى هي قضية العقيدة (العبودية و الألوهية)، وكذلك كون السورة مكية ترسخ أصول الإيمان بالله .

وقد أدت هذه التكرارات للفظ الجلالة على جذب أجزاء السورة نحو مركز هذه القضية فالتكرارات تنحصر بين الآية الأولى والآية الأخيرة ، فكأنه إطار للقضية لا تخرج عنه، ولا تكاد آية تخلو منه .

والتكرار في ذاته لا يحقق التماسك النصي خاصة إذا شعر القارئ أو المتلقي أنه حشو في النص ؛ لكنه في القرآن الكريم يؤدي هذا الغرض بفاعلية ؛ إذ يعمل عمل الإحالة القبلية حين يوجه القارئ للنص لأن يستبين مغزى الكلام المكرور من الأصل الوارد قبل .

فقوله تعالى : (هو الـذي خلقكـم مـن طـين .....) ، (وهـو الله في السـموات والأرض.....)، (وله ما سكن في الليل والنهار وهو الله السميع العليم) ، (قل أغـير الله أتخذ ولياً ....) ، (إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له) .

كل هذه الآيات وغيرها مما يتكرر فيه لفظ الجلالة أو الضمير المحيل إليه لا يمكن تفسيرها والوقوف عليها كلٌ على حدة ، بل تؤخذ بشكلها الكلي وتـؤول علـى أن هناك صلة معينة تحققت بينها وهي كونها مسندة إلى ذات واحدة ، إضافة إلى إعادتـها إلى الأصل الأول قبل التكرار وهو قولـه تعـالى : "الحمـد لله الـذي خلـق السـموات والأرض" ، إذ جاءت لتثبيت هذا الإسـناد الحـاصل ، وترسـيخ هـذه العلاقـة وهـي استحقاق الله للحمد والثناء فما جاء بعد مما تكرر فيه لفـظ الجلالـة إنمـا لبيـان أوجـه قدرته تعالى ، وبيان نعمه على الخلق وكلاهما مما يجعله أهلاً للحمد والثناء المثبـت لـه في الآية الأولى .

(2) توحي التكرارات بالنسق الخطابي الذي تنتهجه السورة ، إذ يعطي تكـرار كلمـة (قل) بالعدد المشار إليه أربع وأربعين مرة، مشيرات أن السورة عبارة عن سـجال بين فريقين ، وأحد هذين الفريقين يتلقى التوجيهات الربانية لحسـم هـذا الجـدال لصالح القضية الرئيسة، فبعـد التمـهيد حـول أحقيـة الله وحـده بـالحمد والثنـاء والعبودية ، وبيان موقف فئة من الناس من ذلك ، إذ أشركوا بالله على الرغم من كل ما ساقه لهم من أدلة وبراهين ، بعد كل هذا تأتي التوجيهات للنبي صلـى الله عليه وسلم حول كيفية إدارة هذا الحوار وكيفية حسم هذا الجدال بالحجة الدامغة والدلائل الساطعة ، فالتوجيهات مرتبطة بمـا قبلـها كونـها أسـلوباً لإدارة الأزمـة السابقة المتمثلة في قوله تعـالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾[1]، فالآية مرتبطة بمـا بعدهـا وهـو الهـدف النهائي ممـا جـاء في السورة ؛ أي بيان حدود الـذوات والأشياء الـواردة في سياق السـورة ، وبيـان مكانها الحقيقي في خلق الله ، والحكمة الـتي وجـدت مـن أجلـها ، وذلـك مـا تم

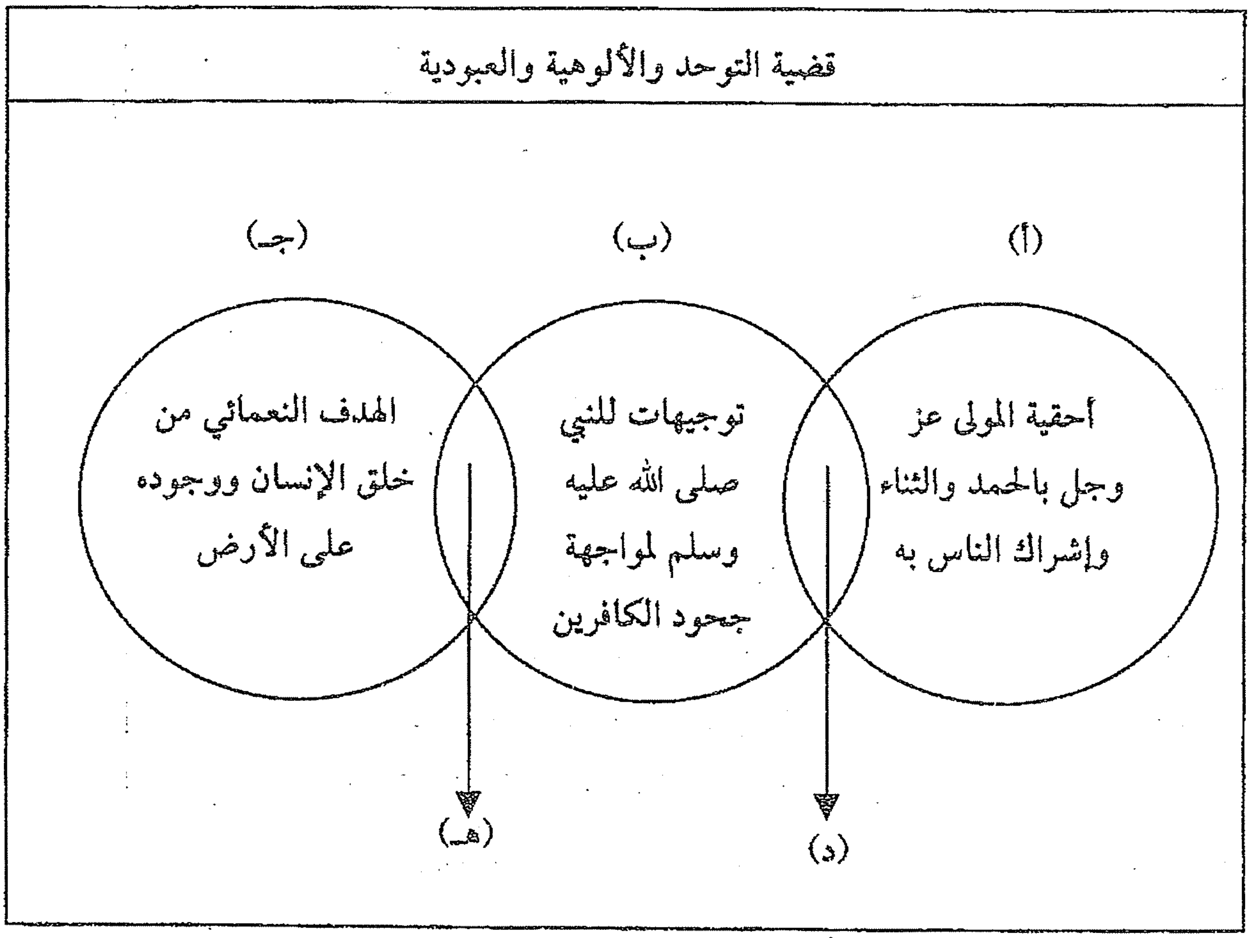
(1) الأنعام (4)

تلخيصه في آخر السورة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ (1)

فملخص الحديث أن الإنسان خليفة الله في الأرض ، ولا بد أن يثبت أهليته لذلك ويجتاز الامتحان (ليبلوكم) ، إذ عليه أن يعترف بنعمة الله عليه (فيما آتاكم) ، وبذلك الحمد يكون قد اعترف لله بالوحدانية و العبودية (الحمد لله).

من هذا التحليل نستنتج أن هناك ثلاث كتل خطابية متماسكة داخليا، وخارجيا. يمكن تمثيلها بالشكل الآتي:

شكل (3)



---

(1) الأنعام (165)

ما يهمنا من هذا الشكل هو الكتلة الخطابية (ب)؛ إذ نطرح حولها سؤالين:

ما سبب ترابط أجزائها الداخلية؟

ما الذي يربطها بما قبلها وما بعدها؟

أما السؤال الثاني فقد أجبنا عنه سابقا حين تحدثنا عن طبيعة المنطقتين (د) ، (هـ)

أما السؤال الأول فإجابته أن من أهم أسباب تماسك الكتلة الخطابية (ب) هوالتكرار إضافة إلى أسباب أخرى.

وأهم تكرار في هذا الجزء هو الفعل (قل) الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالتوجيهات الربانية قائمة على هذا الفعل:

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (1)

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (2)

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (3)

... إلى آخر الآيات.

ونستخلص من الشكل السابق أيضا أنه لا يمكن أن نصل إلى فهم صحيح للخطاب (ب) إلا من خلال الخطابين (أ) (ج)، فما مناسبة الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهذه الفئة من الناس كل ما أمر به بكلمة (قل)؟

إجابة هذا السؤال تكون في تحديد العلاقة بين الخطابين (أ) (ج) من جهة والخطاب (ب) من جهة أخرى، أو بالأحرى تحديد مضمون المنطقتين (د) (هـ).

---

(1) الأنعام (11)

(2) الأنعام (12)

(3) الأنعام (15)

كذلك تشير الإحصاءات إلى وجود ما يسمى بالتكرار الاشتقاقي؛ وذلك في مشتقات (شرك)، إذ تكررت (28) مرة بصيغ مختلفة (المشركين)، (تشركون)، (أشركوا)، (شركاؤكم)، (أشركتم)، (شركاء) ولكن على الرغم من تعدد الصيغ إلا أن الدلالة واحدة وبالتالي تحقق تماسك النص، إذ يشكل تكرارها دليلا على حضور القضية الأساس في السورة وهي قضية الوحدانية والألوهية.

هذا فيما يتعلق بتكرار اللفظ الواحد في أكثر من موضع ،أما تكرار أكثر من لفظ ، وتكرار الجمل والعبارات فنمثل له بالآتي:

جدول (7)

الأصل	التكرار	ملحوظات [1]
"الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور"	-"فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين"	تكررت لتذكر بنعمة أخرى غير التي ذكرت سابقا وهي نعمة النصر على الظالمين.
"الحمد لله الذي خلق السموات والأرض"	-"وهو الله في السموات والأرض"	-لا يشارك الله أحدا في صفاته من الكائنات كلها.
	-(قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة)	- استدلال يتضمن استفهاما تقريريا الهدف منه تبكيت المشركين وإلجاؤهم إلى الإقرار بما يبطل معتقدهم. (استدلال بالعبودية)
	-(قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)	- استفهام إنكاري ، يؤكد عدم جدارة غير الله لأن يتخذ وليا (استدلال بالافتقار إلى الله في أسباب البقاء).

(1) اعتمدنا في تفسير مواضع التكرار على تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور .

	-(وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق)	- (بالحق) لحكم عظيمة خلقت، وأودع فيها ما يحقق هذه الحكم.
	-(وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض)	- استنباط الحجة من دلالة أحوال الموجودات على وجود صانعها.
	-(إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض)	- إشارة إلى سبب توجهه لعبادة الله تعالى.
	-(بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد)	- تقوية التنزيه عن طريق بيان عظيم قدرة الله عز وجل.
(وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)	- (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة)	الأولى جاءت في موضع إبطال استحقاق الأصنام للعبادة، أما الثانية فبيان لقدرة الله تعالى التي فاقت قدرة الأصنام التي يعبدونها لأنه يرسل النوم على الإنسان فيشل قواه.

نلحظ من الجدول السابق أنه على الرغم من تكرار العبارة أو اللفظ إلا أن السياق يضفي سمة خاصة على كل عبارة فيجعلها مميزة عن مثيلاتها، إلا أن ذلك لا ينفي صفة التماسك بين هذه المواضع بسبب وجود قواسم مشتركة بينها، ففي الجدول يتضح جليا ما تميز به تكرار (السموات والأرض) في كل موضع، وكذلك لا تخفى نواحي الاتفاق بين كل المواضع وهي إثبات الوحدانية لله تعالى.

ونختم هذا الجزء من المبحث الثاني بما يعرف بالتوازي وهو نوع من التكرار يهتم بالتماثل في البنية ، عرف قديما عند البلاغيين في علم البديع تحت أسماء شتى، وهناك مواضع كثيرة في السورة تحققت فيها ظاهرة التوازي نحلل أبرزها، ونعلق عليها من خلال دورها في تحقيق التماسك في السورة، ومن أبرز تلك المواضع ما جاء في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ونمثله بالشكل الآتي:

جدول (8)

ج1	ج2	ج3	ج4
فلما جن عليه الليل رأى كوكبا	قال هذا ربي	فلما أفل	قال(لا أحب الآفلين)
فلما رأى القمر بازغا	قال هذا ربي	فلما أفل	قال(لئن لم يهدني ربي..)
فلما رأى الشمس بازغة	قال هذا ربي	فلما أفلت	قال(يا قوم إني بريء...)

فالتكرار هنا يتمثل في إعادة القالب نفسه ، نلاحظ أن المواضع الثلاثة في كل من (ج1)، (ج2)، (ج3)، (ج4)متماثلة؛ إذ الأول يتكون من (الفاء + أداة الشرط + جملة الشرط)، والقالب الثاني يتكون من (جملة جواب الشرط المتماثلة حرفيا في المواضع الثلاثة) وكذلك القالبين التاليين لهما المكونات السابقة نفسها.

يؤدي هذا التماثل إلى تحقيق التماسك النصي، فبالتأكيد أن القصة تحتوي على فجوات زمانية كبيرة، فلا يعقل أن يحدث كل هذا الجدال في وقت واحد ؛ لأن موقف سيدنا إبراهيم سيفتقد منطق الحجاج والمجادلة عندما يؤمن-ظاهرا- بالشيء ويكفر به في الوقت نفسه، كذلك لا يمكن تزامن رؤية الشمس والقمر في وقت واحد، والتكرار كما يتضح نجح في صناعة خطاب ملتحم ومتماسك حتى لا يشك المتلقي في وحدة القضية التي يعالجها الموقف السابق، وإن اختلف الزمان .

ثانيا: التضام:

يقصد بالتضام "توارد زوجين من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[1] والعلاقة التي تربط هذين الزوجين لا يشترط أن تكون بالإيجاب دائما، فقد تكون علاقة تعارض وتقابل ويرى خطابي أن المتلقي يواجه إشكالا في إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها، فليس دائما تكون هذه العلاقة واضحة للعيان، ولكن القارئ يعمد إلى ذلك متسلحا بمخزونه اللغوي وخلفياته الثقافية (الحدس اللغوي)، مما يعني أنه لا يوجد مقياس آلي صارم يجعل المتلقي يصنف كلمات النص في مجموعة محددة.[2]

وسنعالج هذا المحور من خلال تناول أحد الأبنية الكبرى في السورة وتصنيف ألفاظه في مجموعات معجمية تربط بينها علاقة من العلاقات المعروفة : كالترادف، أو التضاد، أو الجزئية أو الكلية.

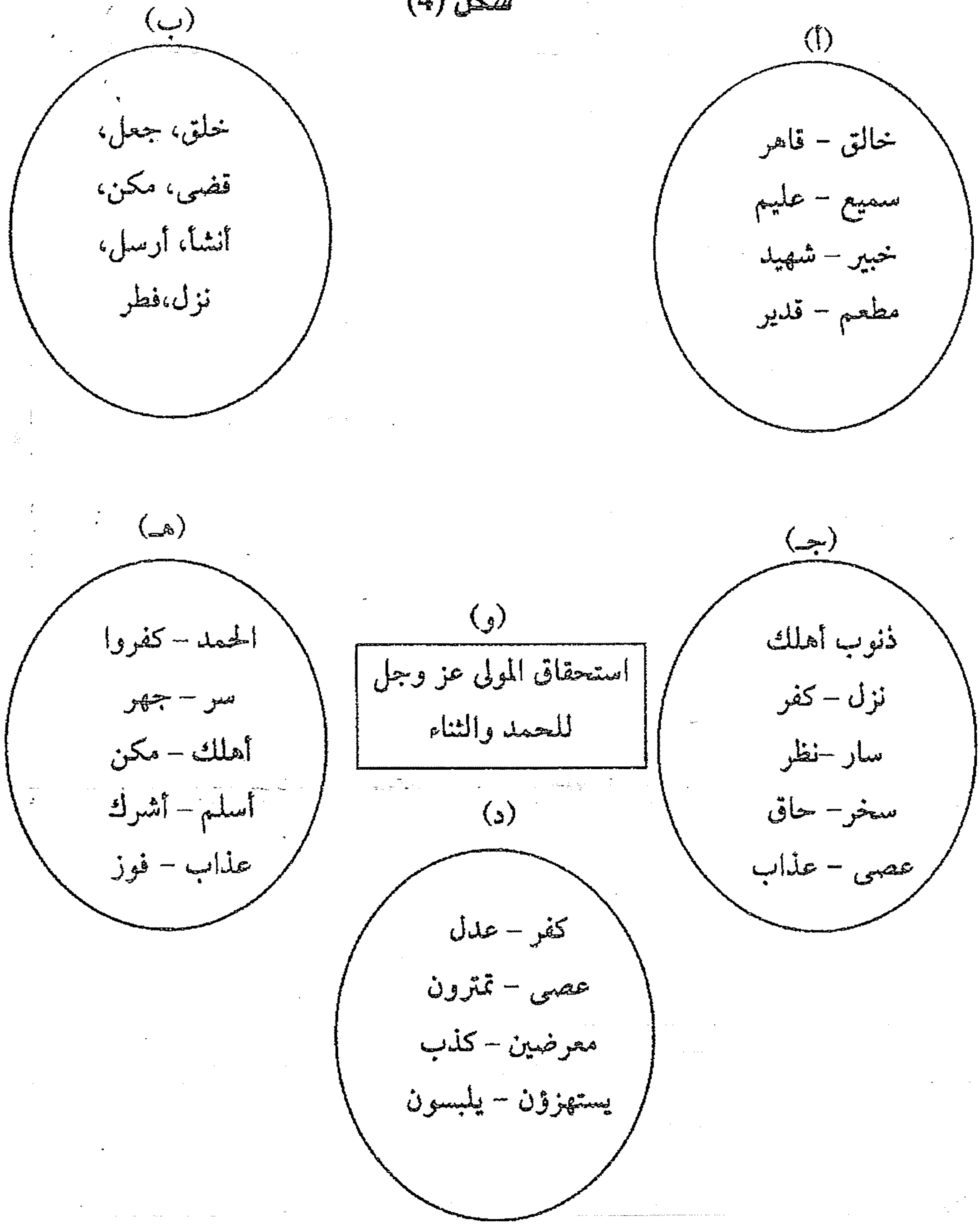
وقد وقع الاختيار على البنية الأولى وهي الآيات (1-19) :

---

(1) خطابي، لسانيات النص، ص25.

(2) انظر: المرجع نفسه ص25.

شكل (4)



من الشكل السابق يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1- يمثل المستطيل (و) القضية الأساس، والبؤرة الرئيسة لهذه الفقرة أو البنية. وتتمحور جميع العلاقات المعجمية الأخرى حول هذه البؤرة.

2- تمثل المجموعة(أ) أزواجا من صفات المولى عـز وجـل المتقاربـة في المعنـى فـالخلق يرتبط بالقهر بعلاقة القـوة والقـدرة ، وصفـة (سميـع، عليـم) تترابطـان بعلاقـة معجمية هي (الإحاطة والعلم).

أما المجموعة (ب) فتحوي أزواجا من أفعال دالة على القدرة.

والمجموعة (ج) تحوي أزواجا من الأسباب والنتائج.

وتحوي المجموعة (د) أزواجا من المترادفات والمتماثلات.

وتحوي المجموعة (هـ) أزواجا من المتقابلات.

وهكذا كانت الفقرة مكتملة نتاج تفاعل هذه الأزواج المعجمية مما عمـل علـى تحقيق التماسك في الخطاب.

المبحث الثالث
آليات الترابط الدلالية

أما فيما يتعلق بالمستوى الدلالي فيختص بالمضامين الكامنة في الخطاب ، وكيف يمكن أن تسهم في تماسك النص ، واختلف الباحثون في أدوات هذا المستوى ، وقد عمدنا إلى دمج بعضها لتقاربها الشديد ، فبعضهم يفصل مبدأ الاشتراك العقلي والوهمي بين أطراف الخطاب عن العلاقات المتولدة في الخطاب ، ولكننا ارتأينا الدمج بينهما تحت عنوان المناسبة؛ لأن معالجة هذين المحورين قائمة على ما أفرزه التراث في كتب علوم القرآن والبلاغة في علم المناسبة ، ويتضمن المبحث بعدها ثلاث أدوات أخرى للتماسك في المستوى الدلالي هي موضوع الخطاب والبنية الكبرى والتغريض .

أولا : المناسبة :

يقصد بالمناسبة ورود آي القرآن الكريم بالكيفية التي تحقق ارتباط اللاحق بالسابق . وهناك تداخل بين المناسبة وأسباب النزول ، و يمكن التفريق بينهما من حيث "إن علم أسباب النزول يربط الآية أو مجموعة من الآيات بسياقها التاريخي ، أما علم المناسبة بين الآيات والسور فيتجاوز ذلك إلى أجزاء النص ؛ ليبحث في أوجه الترابط بين الآيات والسور في الترتيب الحالي للنص ، وهو ما يطلق عليه ترتيب التلاوة في مقابل ترتيب التنزيل ."(1)

فعلم أسباب النزول تأريخي ، أما المناسبة فهو علم أسلوبي يقوم على القراءة الفاحصة للنص نفسه دون تدخل عوامل أخرى خارجية في تلك القراءة ، وهنا يظهر إعجاز النص القرآني* ، أي في وجود التناسب بين آياته وسوره .

وقد أثار هذا الأمر تساؤلا مهما بين القدماء حول ترتيب سور القرآن الكريم وآياته ، هل هو توفيقي من وضع الصحابة والقائمين على وضع المصحف أم هو توقيفي من الله تعالى؟ .

أما ترتيب الآيات فأجمع العلماء على أنه توقيفي من الله تعالى ، وأنها رتبت على هيئتها تلك منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في ذلك(2) .

أما ترتيب السور فاختلف العلماء فيه ، وذهب جمهورهم أنه توفيقي بتوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم (3).

---

(1) (أبو زيد) نصر حامد ، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 1990م ، ص179.

* قال الإمام الرازي في تفسيره لسورة البقرة : ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها ، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته .

(2) انظر : الزركشي ، البرهان ، ج1 ، ص260.

(3) انظر : المرجع نفسه ، ج1، ص 262.

ويمكن أن نستخلص مما سبق أن البحث في تماسك النص القرآني وترابط أجزائه ليس أمرا نفرضه على النص ، لكن هذا الدرس قديم تناوله القدماء ، وما نقوم به اليوم هو إضاءة من زاوية أخرى للمناسبة والتماسك المتحقق في النص القرآني ، فقد جاء في البرهان : "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ...وقال بعض الأئمة من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا ."[1]

"والمناسبة بين آيات السورة تؤكد وجود قضية التماسك في القرآن الكريم"[2] ، فالمناسبة بين الآيات والسور تقوم على أساس أن النص وحدة بنائية مترابطة الأجزاء، ومهمة المفسر محاولة اكتشاف هذه العلاقات أو المناسبات الرابطة بين الآية والآية من جهة ، وبين السورة والسورة من جهة أخرى . وبديهي أن اكتشاف هذه العلاقات يعتمد على قدرة المفسر ونفاذ بصيرته في اقتحام آفاق النص[3] .

فاكتشاف العلاقات والروابط بين الآيات أمر لا يمتلكه إلا صاحب البصيرة النافذة في علم التفسير والتأويل ؛ لأنها لا تظهر شاخصة للعيان في كثير من المواضع ؛ إذ تحتاج إلى مزيد تأمل ونظر ، وحصيلة في علم الفقه وأصول الدين تساعد على إدراك تلك العلاقات بين الآيات . "وممن برع من المفسرين في هذا الأمر الإمام فخر الدين الرازي ؛ إذ صرح في تفسيره أن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيب والروابط"[4]

ويقسم السيوطي المناسبة إلى مناسبة لفظية ، وهي التي يظهر فيها الارتباط بين الآيات ، كأن توظف في ذلك أداة من أدوات الربط ، أو تظهر العلاقة بين الطرفين (تضاد، تأكيد ، تفصيل ...) ، ومناسبة معنوية لا تظهر العلاقة فيها بشكل مباشر بين الطرفين.

---

(1) المرجع نفسه ، ج1، ص 35

(2) الفقي ، علم اللغة النصي ، ج2، ص 88 .

(3) أبو زيد ، مفهوم النص ، ص 181 .

(4) انظر : السيوطي ، الإتقان ، ص 972 .

وفي الجزء التطبيقي القادم سنركز معالجتنا لموضوع المناسبة على خلاصة ما جاء في كتب القدماء من تقسيم وتصنيف لها ، لذلك فنحن لسنا بحاجة في هذا الموضع إلى عرض نظري لتصنيفات كل عالم من هؤلاء العلماء بقدر حاجتنا إلى انتقاء المحاور المناسبة في هذا العلم التي تخدم موضوع التماسك النصي ، وتثبت بالأدلة أن المناسبة التي تحدث عنها القدماء هي أداة من أدوات التماسك النصي .

و ننوه هنا كذلك على عدم الاقتصار على معالجة المناسبة على الناحية الدلالية البحتة، بل هناك نواح أخرى تشارك الجانب الدلالي في تحقيق التماسك وهي شكلية تركيبية في الغالب .

هناك أنواع للمناسبة ، التي تناولها المفسرون والباحثون في علوم القرآن على النحو الآتي :

(1) المناسبة بين عدة سور في القرآن الكريم .

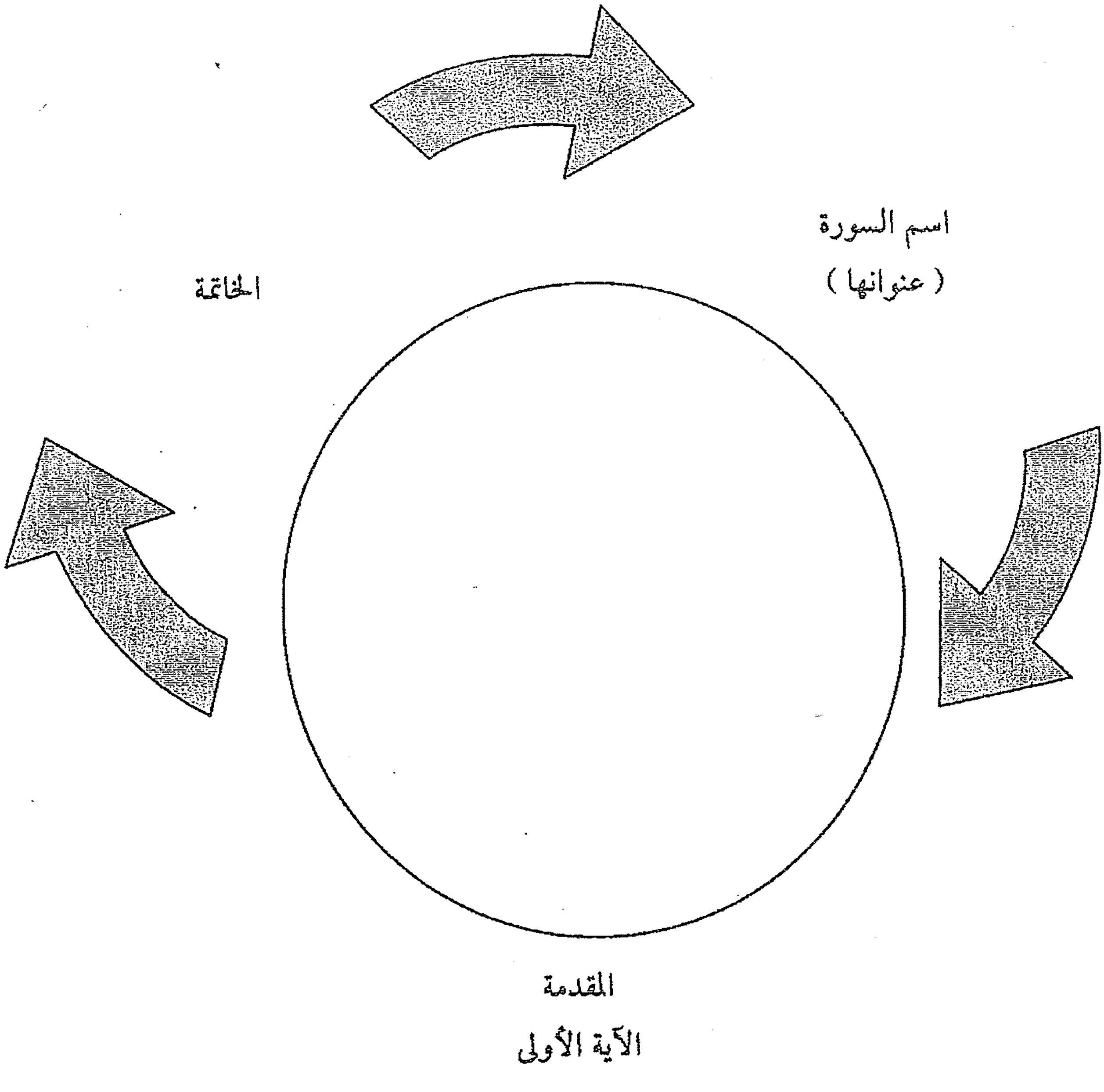
(2) المناسبة على مستوى السورة المفردة .

(3)المناسبة بين السورة وما قبلها وما بعدها .

(4)مناسبة الآيات في أكثر من سورة .

وما يعنينا في هذا المقام هو النوع الثاني (المناسبة على مستوى السورة المفردة)، وذلك لأن معالجتنا إنما قصرناها منذ البداية ووجهناها لدراسة العوامل والأدوات المحققة للتماسك النصي في سورة الأنعام ، وبناء نموذج من خلالها للتماسك يصلح تطبيقه على سور القرآن الأخرى . وسنرسم خط سيرنا في دراسة المناسبة في سورة الأنعام بالشكل الآتي :

شكل (5)



يتبين لنا من الشكل أن المعالجة للمناسبة لابد أن تشتمل على المحاور الآتية :

1- العلاقة بين مضمون السورة وعنوانها .

2- العلاقة بين العنوان وأحداث مذكورة فيها .

3- العلاقة بين الموضوع الرئيس وأسباب النزول .

4- العلاقة بين مقدمة السورة وخاتمتها .

5- العلاقة بين مكونات المضمون نفسه .

6- المناسبة بين الفواصل .

وسيراعى في التطبيق هذه المحاور جميعها ، مع التركيز على دورها في تحقيق التماسك النصي .

(1) العلاقة بين مضمون السورة وعنوانها [1]:

إن العنوان يمثل نقطة الانطلاق إلى النص وتأويله ؛ لأنه يوجه قراءة النص دلاليا ، فهو يحدد الإطار المعجمي الذي يدور النص في فلكه .

ولا توضع العنوانات لأي نصّ اعتباطاً ، بل يتم اختيار العنوان من خلال مجموعة من المعطيات التي يقدمها النص ، و هو كذلك في القرآن الكريم ، فإن مضمون السور هو الذي فرض عنوانها ، وإلى ذلك يشير الزركشي حين يقول :

"ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ، ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[2]

إذن فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن : لم سميت سورة الأنعام بهذا الاسم ؟ وما العلاقة بين اسمها ومضمونها ؟

جاء في تفسير التحرير والتنوير : ليس لهذه السورة إلا هذا الاسم من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وورد عن عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، وابن مسعود تسميتها في كلامهم سورة الأنعام ... وسميت سورة الأنعام لما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات"[3] .

---

(1) يرى البعض أن العلاقة بين العنوان والمضمون هي علاقة الإجمال والتفصيل .

(2) الزركشي ، ج1 ، ص270.

(3) ابن عاشور ، ج6، ص 5.

نتفق مع ابن عاشور في أن التكرار سبب التسمية ، لكن لفظ الأنعام لم يتكرر بهذا الكم اعتباطاً ، بل لأنه يمثل أحد محاور القضية الكبرى التي تعالجها السورة، وهي قضية العقيدة، فهذه القضية تحكم بأن يدين الإنسان لله بكل شيء ويسلّم له الأمر ، و من مظاهر ذلك كيفية تصرفه في الأنعام ، والوجه الآخر أن يقر الإنسان بأن كلّ ما يرفل فيه من نعم إنما هي من آلاء الله عليه ، وبذلك فهو يستحق أن يفرد بالعبادة والتسليم إذ الأنعام رمز يمثل جزءاً من تلك الآلاء التي أفاء بها المنعم جل وعلا على الإنسان ، والواجب أن تكون سبباً من أسباب حمده وشكره .

أضف إلى ذلك أن العقيدة تقتضي التخلي عن كل سنن الجاهلية ، خاصة فيما يتعلق بالأنعام التي كان يتوجه بها إلى الأصنام .

(2) العلاقة بين العنوان وأحداث ذكرت في السورة :

ورد ذكر الأنعام في متن السورة بهذا اللفظ في ثلاثة مواضع على النحو الآتي :

جدول (9)

م	الموضع	الغرض من الذكر
1	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾	فساد تشريعهم بإشراك غير الله في نعم الله عليهم .
2	﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾	فساد تشريعهم في التصرف بهذه الأنعام .
3	﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾	فساد تشريعهم بتوجيه هذه الأنعام لغير الله تعالى .

يتضح من الجدول السابق الترابط الدلالي بين الآيات السابقة وما تحويه من أحداث ، وبين عنوان السورة ، فالآيات جميعها على اختلاف مواضعها تحمل دلالة (بيان فساد تشريع المشركين في الأنعام) .

(3) العلاقة بين موضوع السورة الرئيس وأسباب النزول :

الجدول الآتي يوضح أسباب نزول بعض الآيات من سورة الأنعام ، نعلق عليه فيما بعد:

جدول (10)

م	الآية	سبب النزول(1)	الدلالة
1	﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	قول مشركي مكة : يا محمد والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة أنه من عند الله وأنك رسوله .	إمعانهم في الجحود والشرك بالله تعالى،نتاج عدم اعترافهم بنعم الله تعالى .
2	﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ ﴾	نزلت في المشركين الذين كانوا يطالبون النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب الذي يعدهم به .	قدرة الله عز وجل على إنزال العذاب بالجاحدين المعاندين الذين يشركون مع الله إلهاً آخر ويشكون في قدرته .
3	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ ﴾	نزلت في مسيلمة الكذاب كان يسجع ويتكهن ، ويدعي أن الله أوحى إليه .	ذكر بعض مظاهر الجحود ، وعدم التصديق بما جاء من عند الله ، والتطاول على الله بادعاء ما ليس له.

---

(1) تم اعتماد كتاب (أسباب النزول) للواحدي لإثبات أسباب نزول الآيات السابقة .

4	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	فيمن أشرك الجن مع الله في خلقه ، وقال إن الله خالق الناس والدواب وإبليس خالق الحيات والسباع .	إشراك غير الله في خلقه وعدم الاعتقاد بوحدانيته في خلق الأنعام .
5	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾	في قول المشركين : يا محمد أخبرنا عن الشاة التي إذا ماتت من قتلها . قال: الله قتلها . قالوا : فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الله حرام ؟	أن حكم الله في الأنعام هو الحكم الحجة النافذ ، وليس أقوال المغرضين ، وليست كذلك شرائع الجاهلية .

يتضح من الجدول مدى التعالق بين دلالات الحوادث في أسباب النزول وموضوعها الرئيس (قضية العقيدة) ، إذ كانت الأنعام نقطة الانطلاق لمعالجة القضية الكبرى في السورة وكان تصرف المشركين فيها أكبر مظهر من مظاهر الشرك .

(4) المناسبة بين مقدمة السورة وخاتمتها :

" في كثير من الأحيان ، يطول النص ، وتتعدد الجمل والفقرات المكونة له بصورة قد ينسى معها أوله ، وحينئذ يأتي النص بخاتمة تذكر بمطلعه ، وذلك قد يكون بتكرار اللفظ والمعنى المتحققين في مطلع النص ، أو بتكرار المعنى دون اللفظ أو الاتيان بجملة تفسر المطلع"[1] .

مقدمة السورة هي قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[2]

أما خاتمتها فهي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3]

---

(1) الفقي ، ص 124.

(2) الأنعام (1)

(3) الأنعام (165)

"يذكر الله تعالى البشر في المقطع الأخير بنعمه عليهم ؛ إذ جعلهم خلائف في الأرض ، فسخرها لهم وجعلهم يتصرفون فيها ، ويملكونها ، وما ينبغي أن يقابل ذلك بالقيام بحق الله"[1].

إذن فالمناسبة واضحة بين المقدمة المحتوية على مبادئ الحمد واستحقاق المولى عز وجل لهذا الحمد ، وبين الخاتمة المتضمنة حكما يقضي بدور الإنسان على الأرض والتكريم الذي كرمه الله إياه والنعم التي أنعم المولى عز وجل بها على الإنسان .

(5) **المناسبة بين مكونات المضمون :**

وهي كثيرة ، منها ما يكون على مستوى الآية الواحدة أو أكثر من آية ، ويمكن أن نمثل لها بالنماذج الآتية :

- في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] مناسبة بين قوله تعالى : (يمسسك الله) ، والقدرة المثبتة له في نهاية الآية؛ لأن الثانية سبب للأول .
- وفي قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3]

مناسبة بين قوله تعالى: (سلام عليكم) وهو خطاب المؤمنين ، وقوله تعالى : (غفور رحيم) وهو جزاء المؤمنين كذلك .

- وتتجلى المناسبة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام بين قوله تعالى في بداية القصة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [4] ، وبين قوله تعالى في نهاية القصة على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي

---

(1) (حوى) سعيد ، الأساس في التفسير ، ج6 ، ص 1804 .

(2) الأنعام (17)

(3) الأنعام (54)

(4) الأنعام (75)

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (1) . فاليقين الموجود في الآية الأولى ترجم إلى واقع في الثانية .وهناك الكثير من المواضع في السورة متضمنة لهذا النوع من المناسبة ؛ إذ يندرج تحت المناسبة كل علاقات السببية، وعلاقات الإجمال بعد التفصيل ، والتفصيل بعد الإجمال ... وغيرها .

(6) المناسبة بين الفواصل :

"الفاصلة هي نهاية كل آية ، وتأتي في النهاية لتحقق للنص جانباً إيقاعياً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم ؛ لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية" (2) .

ويتبين لقارئ القرآن أن الفواصل المتماثلة في آياته تحقق تماسكاً صوتياً إيقاعياً يشعر النفس بوحدة المادة المقروؤة قبل البحث في المستوى التركيبي والدلالي .

ففي قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ

---

(1) الأنعام (79)

(2) (حسان) تمام ، البيان في روائع القرآن ، ص 195 .

فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [1].

في هذه الآيات تناسق في الفواصل يصنع رابطا إيقاعيا ينطبع أثره في ترابط مكوناتها ومضمونها .

وتؤشر العملية الإحصائية على أن مائة وستة وأربعين آية في سورة الأنعام تنتهي بحرف واحد هو النون مما يدل على ثراء الانسجام الإيقاعي وفاعليته في السورة.

وهكذا فالبحث عن المناسبة بين الآيات يدخل مباشرة في صميم الدرس اللغوي لآليات ترابط النص ، و إن علم المناسبة لا يبحث عن علاقات خارجية ، ولا يستند إلى شواهد من خارج النص ، فالنص في هذا العالم هو شاهد ذاته ، وهو الذي يؤسس معايير علاقاته بناء على طريقة تركيبه اللغوي أو العقلي أو الحسي ، وليس معنى ذلك أن هذه العلاقات علاقات موضوعية مفارقة لحركة عقل القارئ والمفسر؛ بل هي علاقات ناتجة عن جدل القارئ مع النص في عملية القراءة [2]. وما على النص إلا أن يقدم قرائنه الثابتة التي تؤكد أنه مهيأ لمثل هذه القراءة ، فلا يمكن للمفسر والمؤول مهما كانت أدواته من التمكن أن يغرس في أرض سبخة لا تملك من مقومات الخصوبة شيئا يؤهلها لعملية الغرس تلك ، فالقارئ يتحرك في إطار معطيات النص وثرائه وبلاغته فيما يتعلق بالمناسبة، أي أن النص القرآني لو لم يكن يمتلك مؤهلات المناسبة لما تمكن المفسرون من رصد ما رصدوا من مواضعها .

---

(1) الأنعام (1– 11)

(2) انظر : أبو زيد ، ص 189 .

ثانيا : موضوع الخطاب :

إن مفهوم الموضوع (Topic) استعمل بداية في وصف بنية الجملة ، ويعد فان دايك الموضوع وظيفة تحدد حول أي حد قيل شيء ما.[1]

ويرتبط مفهوم الموضوع بالمحور الذي يدور حوله النص ، فالآية الكريمة : " الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون"، تتمحور حول (الحمد) وما يستدعيه وما قابله المشركون به .

لكن فان دايك يثير قضية أخرى حول مفهوم الموضوع ، إذ يطرح سؤالا مفاده: هل يمكن أن يكون للنص أو الخطاب الواحد أكثر من موضوع ؟

فمثلا في الآية السابقة يحتمل أن يكون الموضوع هو (الحمد) ، ويحتمل كذلك أن يكون (الكفر والانحراف) ، ويحتمل أن يكون (قدرة الله سبحانه وتعالى) .

ومن هذا النموذج يرى فان دايك أن مفهوم المحور هذا غير دقيق وغير صارم أو محدد بما فيه الكفاية .[2]

ويحدد دايك مهمة موضوع الخطاب في " إيراد المعلومات السيمانطيقية وتنظيمها وترتيبها في تراكيب متوالية ككل متكامل"[3] ، أي عملية بحث واستكشاف البؤرة المركزية في الموضوع عن طريق إعادة تنظيم محتويات الخطاب"، ويرى خطابي أن مفهوم (موضوع الخطاب) " ليس إلا أداة عملية لمقاربة بنية أكثر تجريدا هي البنية الكلية "[4]،وهذه البنية تقوم بالوظيفة نفسها التي ذكرناها آنفا لموضوع الخطاب .

ونفرق بين المصطلحين من خلال العمليات التي تصل إلى كل منهما ، فالبنية الكلية يتوصل إليها عن طريق عمليات أساسها الحذف والاختزال؛ إذ يتم فيها حذف الموضوعات الثانوية ودمج أخرى في عموميات، وهذا ما يحظر ممارسته في النص القرآني لقدسيته .

---

(1) انظر : خطابي ، ص 275.

(2) دايك ، النص والسياق ، ص 185.

(3) المرجع نفسه ، ص 185.

(4) خطابي ، ص 276.

أما عمليات موضوع الخطاب فيستخلص من خلال مسح للجمل التي تخص هذا الموضوع في النص موضوع الدراسة .[1]

ويندرج تحت موضوع الخطاب ما يسمى موضوع المخاطب أو الخطاب الموجه ، ويعني أن لكل طرف في الخطاب موضوعه الخاص ، لكن موضوعه هذا يصب في الموضوع العام للتخاطب أو إطار الموضوع .

من هنا يسهم موضوع الخطاب في تحقيق التماسك النصي ، وذلك عندما يكون خطاب مشارك ما موافقا معظم عناصر الخطاب الأخرى .

"وقد استنبط هذا المفهوم من ممارسات المفسرين وتحليلاتهم التي تكشف عن وجود موضوع خطاب مرتب منظم بهذه الصيغة ؛ فقد كانوا يتصورون النص القرآني موضوعات خطابية مرتبة بطريقة مقصودة كما يفهم من كلام الرازي والزمخشري وغيرهما من المفسرين"[2]

نطبق الآن على سورة الأنعام ما تم عرضه نظريا في موضوع الخطاب ، وتتناول المعالجة عدة خطوات :

(1) تحديد الإطار العام للموضوع .

(2) تحديد المشاركين في الخطاب .

(3) أخذ عينات من خطابهم وتحليلها ، وإثبات مدى ارتباطها بالإطار العام .

وسنعالج فيما يأتي هذه الخطوات بشيء من التفصيل مع الاستشهاد لما نقول من السورة:

(1) الأبنية الكبرى للموضوع تتمثل في الآتي :

- الحمد والثناء على الله عزوجل .

- موقف المشركين من الدعوة .

---

(1) انظر : خطابي ، ص 278 .

(2) النحاس ، نحو النص ، ص 81 .

- دلائل قدرة الله عزوجل .
- جزاء المشركين يوم القيامة .
- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما يجد من صدود قومه .
- التأمل في الكون للوصول إلى اليقين بالله عز وجل .
- حكم الشريعة في الذبائح .
- دحض عادات الجاهلية .
- تشريع عادات إسلامية بديلة .
- الإخلاص لله تعالى في القول والعمل .
- توجيهات للنبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله .

(2) المشاركون في الخطاب :

- الطرف الأول : الخطاب الرباني .
- الطرف الثاني : النبي صلى الله عليه وسلم .
- الطرف الثالث : المشركون .

(3) عينات من خطاب المشاركين :

جدول (11)

علاقته بالإطار العام	الخطاب	مصدر الخطاب
موقف المشركين من الدعوة	﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ ﴾	الذات الإلهية
قدرة الله عزوجل	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾	
توجيهات دعوية	﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾	
الدعوة إلى منهج الله تعالى	﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ ﴾	النبي صلى الله عليه وسلم
الدعوة إلى منهج الله تعالى	﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	
الدعوة إلى منهج الله تعالى	﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾	
التمادي في الكفر	﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾	المشركون
الندم على بدر في الدنيا	﴿ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	
التمادي في الكفر	﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾	

إذن فهذه هي أطراف الخطاب في السورة ومصادره ، وما يهمنا هنا هو الإجابة عن السؤال : كيف يتحقق التماسك في هذا المحور ؟ أو بين هذه الخطابات ؟

يتضح لنا من التحليل السابق أن هناك علاقة وطيدة بين خطابات الذوات الموجودة في النص والإطار العام للسورة ، إذ كونت مجموعة الخطابات النص الممثل لسورة الأنعام من خلال التفاعلات المستمرة بينها . فالنص يدور حول هذه الخطابات المتنوعة.

ثالثا : التغريض :

"مفهوم التغريض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النص "(1)

وينظر إلى العنوان على أنه وسيلة قوية للتغريض ؛ لأننا حين نقع على لفظة مضمنة في العنوان نتوقع أن تكون هي الموضوع ، فهي تهيء القارئ وتوجه قراءته للنص .

فمن يطلع على عنوان سورة الأنعام لأول وهلة يتبادر إلى ذهنه أن السورة تتجه إلى وجهة محددة يوحي لفظ الأنعام بها ، ويستعين القارئ بعوامل أخرى للوصول إلى الحكم السابق إضافة إلى العنوان مثل خبراته السابقة ، وموقع الخطاب الحالي (السورة) من النص الكلي (القرآن الكريم) ، ويبدأ بذلك في إنشاء علاقات بين لفظ (الأنعام) ، ومفهوم القرآن نفسه ، أي أنه كتاب تشريع ، إذن فهناك علاقة لا محالة بين الأنعام والتشريع ، كذلك كونه كتاب عقيدة يحتم وجود علاقة بين الأنعام والعقيدة ، وأيضا كون القرآن جاء لتغيير واقع معين ؛ لأنه كتاب تنظيم للمعاملات بين الناس فلابد أن تكون هناك علاقة بين الواقع السائد وبين هذه الأنعام.

إذن فإن لفظ الأنعام الذي عنونت السورة به يؤدي من القراءة الأولية ، والتعاضد مع خبرات القارئ وخلفيته إلى الحدس ووصول رسالة إلى ذهن القارئ مفادها العلاقة بين الأنعام والأمور الآتية :

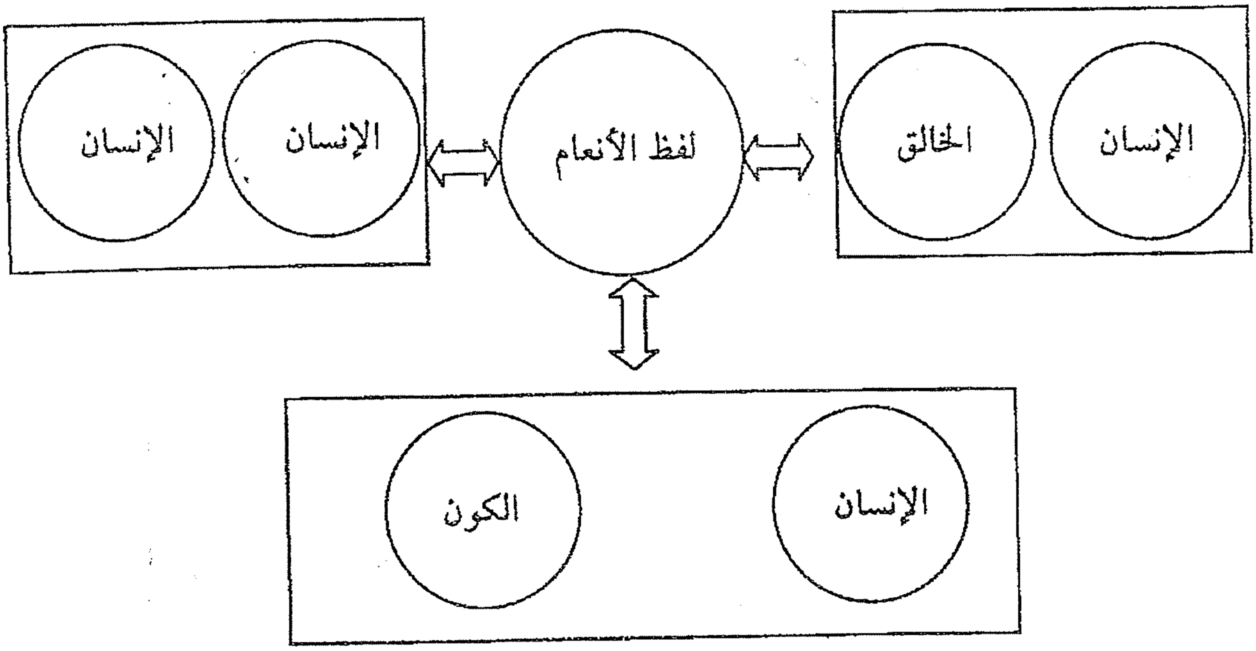
- علاقة الإنسان بخالقه .
- علاقة الإنسان ببني جنسه من البشر .
- علاقة الإنسان بالكون ، وما سخر له من موجودات .

ويمكن تمثيل شبكة العلاقات التي يثيرها اسم السورة في ذهن المتلقي على النحو الآتي:

---

(1) خطابي ، ص 293.

شكل (6)



وبعد العنوان الرئيس انقسمت السورة إلى مقاطع تم التغريض داخل كل مقطع بمجموعة من الآليات ولن نتطرق بالدراسة هنا إلى المقاطع أو الأبنية الكبرى جميعها لأن ذلك ليس هدفنا من الدراسة ، فالهدف إعطاء نماذج تحليلية لآليات التماسك في السورة ؛ لذلك سنعمد بالتحليل للتغريض في المقطع الأول الآيات (1– 19) :

(1) في هذا المقطع استمرت الإحالة من البداية إلى النهاية إلى ذات واحدة هي ذات المولى عز وجل .

(2) كانت هناك كثافة في تعداد صفات الله سبحانه وتعالى : الرحمة ، الجمع ، الخلق، الملك ، فاطر السموات والأرض ، المُطعِم ، القادر ، القاهر، الحكيم ، العليم ، الشهيد ، الواحد .

(3) أسندت الكثير من الأفعال العظيمة لله تعالى : الخلق ، الإنشاء (جعل) ، قضاء الآجال (الموت ويوم القيامة) ، العلم ، إهلاك الأمم ، إنزال المطر .

(4) تحديد موقف المشركين من الإيمان به : يعدلون به ، يمترون في الإيمان به ، كذبوا به، استهزؤوا برسالته ، وصفوا كلامه بالسحر المبين ، لا يؤمنون به ، اتخذوا غيره ولياً ، شهدوا أن معه آلهة أخرى .

(5) قدرة الله على عباده : ينبؤهم بما كانوا بـه يستهزئون ، أهلك القرون السالفة لتكذيبهم، أنشأ أمما أخرى بعدهم ، يجمع الجميع يوم القيامة ، يصرف العذاب عن المؤمنين ، يشهد بين رسوله وبين الناس .

مثلما نلاحظ في تحليل التغريض في السورة أن هناك حضوراً قوياً ومستمراً لذات تتخذ صوراً متنوعة في حضورها النصي ، وأدوارها متنوعة في النص ، وكأن الخطاب يعطي صورة متعددة الأبعاد عن ذات واحدة .[1]

1 انظر : خطابي ، ص 294 .

رابعا : الزمن :

تعد دراسة أثر الزمن في التماسك النصي جامعة للمستويين التركيبي و الدلالي، ولا يمكن إغفال أحد المستويين في هذه الدراسة والتحليل الزمني.

يتحدث الزنّاد عن نموذج (لوكاشير) الذي يرى أن الكلام يصبح نصاً عندما تترابط عناصره باعتمادها على عامل الزمن . "ودرس (لوكاشير) بنية الزمن في مستويين : مستوى الجملة ، ومستوى النصّ" .[1]

توجد أدوات لغوية كثيرة في الخطاب تعبر عن الزمن ، مثل : الأفعال بأزمنتها المختلفة، الحروف الدالة على الزمن ، الأفعال المساعدة (الناقصة) ، حروف النفي (لم، لن) ، وغيرها .

والأدوات المعبرة عن الزمن هي في الحقيقة نتاج ثلاثة محاور زمانية :

أ- زمن الواقعة المثبتة في النصّ.

ب- الزمن الذي قيل فيه النص .

ج- الزمن المرجعي . (أي تحديد زمن الحادثة من خلال مقارنته بزمن إنتاج النص)

ونمثل لذلك بما جاء في سورة الأنعام بقوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [2].

فزمن هذه الواقعة هو الماضي المعبر عنه بالفعل (قال) ، والزمن الذي قيل فيه النص هو عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الزمن المرجعي فهو لحظة قول المشركين ، ونطقهم بالمقولة المذكورة نفسها .

والبين من هذا التحليل أن بنية الزمن في الكلام من أهم العوامل التي تكوّن بنيته المنطقية.[3]

---

(1) (الزناد) الأزهر ، نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1993، ص 72 .

(2) الأنعام (8) .

(3) انظر : المرجع نفسه ، ص 74.

وهناك كذلك ما يطلق عليه الزمن المعطى الأولي ، وهو زمن يتعلق بعالم الخطاب الذي يحتوي على الحدث أو الصفة الواردة في الكلام ، ويمكن الوصول إليه من خلال عناصر المقام .[1]

فالزمن المعطى الأولي في سورة الأنعام يقدر بما قبل السنة العاشرة للبعثة عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ولم يهاجر بعد .أي أنه زمن وصول الرسالة ونزولها على النبي صلى الله عليه وسلم .فالسورة تعرض لمجموعة من الحوادث تمثل موقف النبي صلى الله عليه وسلم وأساليب عرض الرسالة ، ومواقف المشركين وردودهم تجاهها ، فكل تلك الحوادث مرتبطة بالزمن المعطى الأولي .

وينقسم الزمن في السورة إلى قسمين :

(1) الزمن الإشاري : وهو الزمن الذي يرتبط مباشرة بالزمن المعطى الأولي ؛ والزمن الإشاري يرتبط بالمقام ارتباطاً مباشراً ، و الذي يمثل نقطة مستقلة الوجود، ولا يتعلق إدراكها أو تصورها بنقطة زمانية أخرى (غير المقام) ، فالزمن الإشاري مرتبط بالمقام فقط ، وتمثله في السورة الكريمة الكثير من الخطابات ، نذكر منها قوله تعالى :

- ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [2]
- ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾[3]
- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[4]

---

(1) انظر : المرجع نفسه ، ص74
(2) الأنعام (4)
(3) الأنعام (8)
(4) الأنعام (25)

- ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (1)

- ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (2).

فالآيات السابقة مرتبطة بمقامات محددة ، أي بأسباب نزول ، عبارة عن حوادث أثبتها المفسرون في تفاسيرهم مرتبطة بزمن ، يطلق عليه الزمن الإشاري ، والزمن الإشاري مرتبط بالزمن المعطى الأوّلي، لكن الثاني أكثر عموماً من الأول .

(2) الزمن الإحالي :

هو الزمن الذي لا يرتبط مباشرة بالزمن المعطى الأوّلي ، وإنما يرتبط بزمن آخر سبق ذكره في النص ، ويطلق عليه الزمن المعطى الثانوي .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (3) ، ارتبط زمن الوقوف والقول وكونهم من المؤمنين بزمن آخر غير زمن إنتاج النص ، وهو يوم القيامة والحساب الذي ورد ذكره سابقاً في قوله تعالى : "ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده" ، وقوله تعالى : "ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ..."

فالزمن الإحالي تصور موقعه رهين تصور الزمن الإشاري ، فهو مثل الضمير لابد له من محال إليه .

وهكذا فكل زمن إشاري تجمع فيه عن طريق الإحالة جميع الأزمنة الإحالية التي ترتبط به في النص ، ونوضح ذلك بالشكل الآتي :

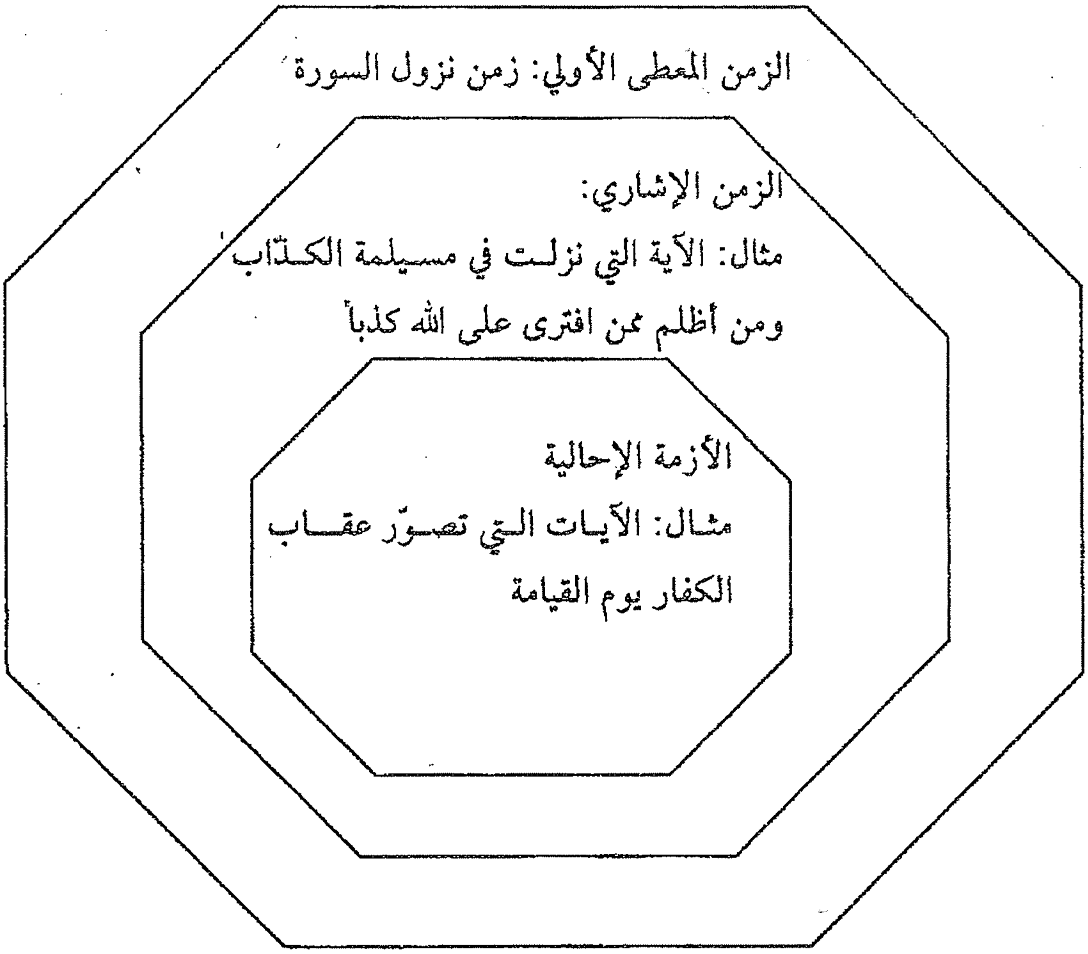
---

(1) الأنعام (37)

(2) الأنعام (53)

(3) الأنعام (27)

شكل (7)



ويستدعي تحليل النص من حيث بناؤه الزمني عمليتين ذهنيتين :

- **الأولى:** تبحث في صلة الأحداث الواردة في النص بمختلف أنواعها بالزمن المعطى الأولي: فإذا كانت الصلة بين الواحد منها مباشرة فالزمن إشاري ، وإذا كانت الصلة غير مباشرة فالزمن إحالي تابع للزمن الإشاري ، ويكوّن وحدة هي دون الوحدة السابقة، وبناء على ذلك تحصل القسمة إلى مجموعات كبرى وصغرى .
- **الثانية:** تبحث داخل تلك المجموعات الصغرى منها والكبرى من زاويتين ، زاوية صلة الواحدة منها بالأخرى ، وزاوية صلة الأحداث المكونة لكل واحدة منها

بالأحداث الأخرى ، وترتب تلك الأحداث على محور الزمن .[1]

وسنحلل فيما يأتي البناء الزمني للنص بناء على العمليتين السابقتين بغية تقديم نموذج واضح للترابط الزمني في النص دون التطرق إلى تحليل الأحداث الواردة جميعها؛ لأن ذلك لا يسعنا المقام لإدراكه .

جدول (12)

الخطاب	الزمن		الزمن التابع له	
	إشاري	إحالي	المعطى الأولي	الإشاري
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾	*		زمن نزول الآيات.	
﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾		*		هذا رد على قولهم: (ما أنزل الله)
﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾	*		زمن نزول الآيات	
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾	*		زمن نزول الآيات	
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾		*		مقام الرد على المشركين وإنذارهم بالعذاب
﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾		*		في مقام إنذار المشركين
﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾	*		زمن نزول الآيات	

(1) الزناد ، ص 78 .

ويمكننا رصد علاقات التماسك في التحليل السابق على مستوى البنـاء الزمـني على النحو الآتي :

(1) حضور الحدث والزمن على مستوى كل آية ، وتنوعه أحيانا في الآية الواحدة.

(2) ارتباط الزمن الإشاري بالزمن المعطى الأولي دائما ، فيما يرتبط الزمـن الإحـالي بالزمن الإشاري .

(3) وحدة الزمن المعطى الأولي للخطاب جميعه ، فهو : زمن نزول الآيات على النبي صلى الله عليه وسلم .

(4)الأقسام الزمنية الكبرى في الآيات يمثلها الزمن الإشاري وهو كل ما كان حدوثـه مباشراً في الزمن المعطى الأولي ، أي مـا كـان حدوثـه في زمـن نـزول الآيـات ، ويتوصل إلى الزمن الإشاري من طريق واحد هو العلم بأسباب نزول الآيـات . وهي كثيرة ومترابطة مثلاً في التحليل السابق كانت : (وما قدروا الله حق قـدره) (هذا كتاب أنزلنـاه مبـارك) ، (افـترى علـى الله كذبـاً) ، (جعلـوا لله شـركاء الجن). فكل هذه الأحداث يربط بينها رابط زمني واحد وقعت جميعها فيه .

(5) الأقسام الزمنيـة الصغـرى في الآيـات يمثلـها الزمـن الإحـالي وهـو عبـارة عـن الأحداث التي لم تقع وقت نزول الآيات ، لكنها كانت حاضرة في سياق الخطـاب بسبب ارتباطها بأحداث أخرى وقعت زمن نزول الآيات مثل قولـه تعـالى : "قـل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى" لم يقع في ذلك العصر ، لكنه ارتبط بحـدث في ذلك العصر وهو قول المشركين : (ما أنزل الله على بشر من شيء) فقد جـاء ليرد على هذا الإنكار .

فالأقسام الصغرى غير منفصلة عن الكبرى ؛ إذ لا يؤتى بحـدث خـارج الزمـن الذي يدور فيه الخطاب إلا وله علاقة بالأزمـان الداخليـة ، وهـذا معـهود في الكـلام العادي فما بالنا بالنص القرآني؟

خلاصة الفصل الثالث

1. يراعي نحو النص في تحليله للنصوص مستويين من التحليل ، هما : مستوى القراءة الأفقية التي تبحث في العلاقات بين المكونات النصية الصغرى ، والقراءة الرأسية التي تبحث في العلاقات القائمة بين الوحدات النصية الكبرى .
2. تعددت آراء الباحثين في علم النص حول الآليات التي يتماسك بها النص ، وكان ذلك بسبب اختلاف نظرتهم للنص ؛ فمنهم من يعتمد الوسائل التركيبية والمعجمية والدلالية في التحليل ، ومنهم من ركز على الموقف الاتصالي ، وآخرون رأوا أن المتلقي هو الذي يصنع التماسك في النص من خلال قراءته له .
3. ليست الإحالة الداخلية فقط التي تسهم في الترابط ، لكن التحليل النصي لسورة الأنعام أثبت أن الإحالة الخارجية (المقامية) لها أثر بارز في الترابط عندما تجتمع مجموعة من السياقات المختلفة التي تحمل دلالات واحدة ، وهذا على عكس ما كان يرى بعضهم من أن الإحالة الخارجية يقتصر دورها في تكوين الدلالة فقط .
4. أسماء السور القرآنية لها دور مهم في تحقيق التماسك النصي لتلك السور ؛ إذ تجمع حولها الموضوعات المختلفة للسورة ، وتساعد القارئ على توجيه القراءة إلى هدف موحد يمنع تشتيت النص ، و فصل أجزائه بعضها عن بعض .
5. تعد الضمائر الشخصية من أقوى الروابط في النص القرآني ، وأكثرها حضورا وكثافة فيه .
6. يعمل كشف الترابط في النص القرآني على خدمة عملية التفسير وقراءة النص القرآني ؛ لأنه يوظف بعض الأجزاء في النص لإضاءة أجزاء أخرى .
7. يسهم التركيب في ترابط النص القرآني ، إذ تعمل الأدوات التركيبية على تماسك النص ، مثل : الإحالة ، أدوات المقارنة ، الحذف ، العطف .
8. أدرك المفسرون ، والعلماء الذين صنفوا في علوم القرآن أهمية السياق في تحقيق التماسك للنص ، لذلك صرفوا الكثير من الجهد في البحث عن أسباب نزول الآيات ، والمناسبة بينها .

9. قد يتعدد المحال إليه في النص القرآني إلا أن هذا التعدد يسهم في تماسك النص ؛ وذلك من خلال التفاعل بين الذوات المحال إليها كما يقدمه النص .

10. يعمل الحذف على ربط أجزاء النص القرآني من خلال تركيز الخطاب وتكثيفه، أو من خلال إيجاد فجوات وفراغات في الخطاب مما يضطر المتلقي للعودة إلى السابق لتفسير اللاحق أو العكس ، وهذه العودة تحقق عملية الربط ، وتؤكد أن الخطاب لا غنى لبعضه عن الآخر .

11. يقوم علم المناسبة القرآنية على إيجاد شبكة من الروابط بين مجموعة من العناصر التي يتكون منها النص القرآني ، أهمها : العنوان (اسم السورة) ، القضية الرئيسة ، المقدمة (افتتاحية السورة) ، خاتمة السورة .

12. هناك تناسب بين تلك العناصر في سورة الأنعام ، لذلك بدت السورة كأنها كتلة خطابية واحدة ، فهناك علاقة بين اسمها ومضمونها ، كذلك ترتبط بدايتها مع خاتمتها في القضية نفسها ، أضف إلى ذلك المناسبة بين أجزائها (آياتها) .

خاتمة الدراسة

كانت تلكم قراءة في سورة من سور القرآن الكريم ، ليست جديدة في مجالها ، لكن وجه الجدّة فيها أنها تطل على النص القرآني من نافذة مختلفة ، وتقرؤه بمنهج جديد. هدفت الدراسة إلى الوصول إلى قراءة نصية للنص القرآني بوساطة علم لغة النص .

لذلك وظفته منهجاً لدراسة الترابط في النص القرآني ، وهو منهج حديث نسبياً بالمقارنة بالمناهج اللغوية الأخرى ، لكنه من أنسب المناهج لدراسة موضوع الترابط ؛ إذ يقدم الكثير من الأدوات التي يمكن بواسطتها اختبار عامل الترابط في النص موضع الدراسة.

وقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج نجملها فيما يأتي :

1- وعي العرب القدماء بخصائص النصّ دون أن يضعوا له تعريفاً محدداً . ثبت ذلك من خلال المعاني المعجمية للنص ، وتداول اللفظة في الكتابات اللغوية والبلاغية .

2- حدد الباحثون المحدثون في علم النص مجموعة من الخصائص للنص ، ووضعوا ضوابط ومعايير يحدد بناء عليها ما هو نص ، وما هو ليس نصاً،وعدّ الترابط النصي محورا لها.

3- على الرغم من أن العرب قديما لم يعرفوا نحو النص منهجا لدراسة النصوص وتحليلها ، إلا أن معالجاتهم اللغوية والبلاغية ، وتفسيرهم للقرآن الكريم كانت ممارسة عملية ، إذ وجد فيها توظيف الكثير من أدوات هذا المنهج .

4- يتميز النص القرآني بتحقيقه كل معايير النصية بكفاءة عالية ، فهو متماسك تركيبياً ودلالياً، وللمقام وسياق الحال أثر في تكوينه ، وتتوفر فيه معايير المقبولية والتناص والإعلامية ، إضافة إلى أنه يحمل رسائل مقصودة من الشارع إلى المتلقين من عباده .

5- للنص القرآني هيكل (قالب) ثابت ، يميزه عن غيره من النصوص ، هو نفسه الذي عرفه القدماء بالنظم الخارجي ، ويعرف اليوم بالبنية العليا ، وهي كما

يراها القدماء وجه من وجوه الإعجاز ، فهيكله يغاير الشعر والنثر وأي جنس لغوي أو أدبي آخر .

6- لا يمكن قراءة سور القرآن الكريم على أنها آيات معزولة بعضها عن بعضها الآخر ، ومثل هذه القراءة تؤدي إلى الابتعاد عن مقاصد الآيات ، لذلك وجب قراءة الآيات القرآنية في ظل المنظومة الخطابية التي وجدت فيها ، وعدم بترها من سياقاتها .

7- اهتم القدماء بالترابط النصي من حذف سعيهم إلى ربط الخطاب بالمقام والسياق الداخلي والخارجي .

8- أسهم اعتناء القدماء بعلم المناسبة في القرآن الكريم إلى قراءة القرآن على أنه نص متكامل ، ومراعاة تماسك أجزائه في أثناء القراءة ، مما أدى إلى ممارسة قراءة نصية واعية، لا تختلف كثيرا عما يفعله الباحثون في علم النص اليوم ؛ لأن علم المناسبة يقوم على إيجاد شبكة من الروابط بين العناصر التي يتكون منها النص القرآني، مثل : العنوان (اسم السورة) ، القضية الرئيسة ، المقدمة (فاتحة السورة)، خاتمة السورة .

9- وقفنا من خلال التحليل النصي لسورة الأنعام على النتائج الآتية :

أ- تمثل السورة نصاً متكاملاً ، تترابط أجزاؤه بروابط عديدة ، بوساطة وسائل محددة.

ب- ضرورة قراءة النص القرآني قراءة أفقية تراعي العلاقات التركيبية داخل الجملة الواحدة ، والروابط بن الجمل المتجاورة . إضافة إلى القراءة الرأسية التي تراعي الترابط بين وحداته الدلالية المختلفة ؛ وذلك لتجاوز ما يشي به ظاهر النص من تعدد في الموضوعات والقضايا.

ج- تسهم الإحالة الخارجية في ترابط النص القرآني ، و لا يقتصر دورهاعلى إنتاج الدلالة فقط ، فمن خلال تحليل سورة الأنعام ثبت أن أسباب نزول آياتها بينها قواسم مشتركة على الرغم من انفراد هذه الآيات بحوادث تختص بها كل مجموعة عن غيرها إلا أن تلك الحوادث لم تكن مجرياتها تتعدى القضية الكبرى في السورة وهي قضية العقيدة .

د- تعد الضمائر من أقوى الروابط في النص القرآني ، وأكثرها حضوراً وكثافة فيه.

المصادر والمراجع

1- (الآمدي) الحسن بن بشر ، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، تحقيق: محمد محـي الدين عبد الحميد . المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت .

2- (الأنصاري) جمال الدين بن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعـاريب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005م .

3- (الباقلاني) أبو بكر محمد بـن الطيـب ، إعجـاز القـرآن ، دار إحيـاء العلـوم . بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1994م .

4- (بحيري) سعيد حسن ، علم لغة النص . دار المختار ، القاهرة ، 2004م .

5- (بـراون) ج.ب ، و(يـول) و.ج ، تحليـل الخطـاب . جامعـة الملــك سـعود ، الرياض، 1997م.

6- (بشر) كمال ، علم اللغة الاجتماعي ، ط3. دار غريب ، القاهرة ، 1997م.

7- (بوجراند) روبرت .دي ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسـان . عـالم الكتب، القاهرة ، 1998م .

8- (الثعالبي) عبد الملك بن منصور، الإعجاز والإيجاز ، تحقيـق محمـد آل تونجـي . دار النفائس ، 1992م.

9- (الجاحظ) عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ،4ج . دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1993م.

10- (الجرجاني) عبد القـاهر ، دلائـل الإعجـاز، تحقيـق : محمـد رضـوان الدايـة وآخرين . مكتبة سعد الدين ، دمشق ، 1987م .

11- (ابن جني) أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيـق محمـد النجـار ،3ج . الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د .ت .

12- (حسان) تمام ، البيان في روائع القرآن ،2ج . عالم الكتب ، القاهرة ، 2000م.

13- (حوّى) سعيد ، الأساس في التفسير ، ط2 . دار السلام ، القاهرة ، 1989م.

14- (أبو خرمة) عمر ، نحو النص : نقد النظرية وبناء أخرى ، عالم الكتب الحديثة، إربد ، 2004م .

15- (خضر) السيد ، الفواصل القرآنية ، مجلة الموقف الأدبي . موقع اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001م.

16- (خطابي) محمد ، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب . المركز الثقافي العربي، بيروت ، 1991م .

17- (دايك) تون .أ ، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات) ، ترجمة سعيد بحيري . دار القاهرة ، القاهرة ، 2001م .

18- (دايك) فان ، النص والسياق ، ترجمة عبد القادر قنيني . دار أفريقيا الشرق ، بيروت ، 2000م.

19- (الدرويش) محي الدين ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، 9ج . دار اليمامة ، بيروت ، 1999م.

20- (الذهبي) محمد حسين ، التفسير والمفسرون ، ط2 ، 2ج . دار إحياء التراث العربي ، 1976م.

21- (الرازي) محمد بن عمر ، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب . دار الفكر ، بيروت ، 1981م.

22- (الزبيدي) محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس . دار الفكر ، بيروت ، د. ت .

23- (الزركشي) محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ،4ج . دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1980م.

24- (الزمخشري) محمود بن عمر ، الكشاف ، 4ج . دار المعرفة ، بيروت ، 1977م.

25- (الزناد) الأزهر ، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا) . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1993م .

26- (أبو زنيد) عثمان ، نحو النص في خطب عمر بن الخطاب (رسالة ماجستير). جامعة اليرموك ، 2000م.

27- (أبو زيد) نصر حامد ، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) . الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 1990م .

28- (سيبويه)عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط2 . الهيئة المصرية العامة ، 1977م .

29- (السيوطي) جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، 4ج . مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، 2005م.

30- (السيوطي) جلال الدين ، لباب النقول في أسباب النزول ،ط6. دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1988م .

31- (شحاته) عبدالله ، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986م.

32- (ابن عاشور) محمد الطاهر ، التحرير والتنوير . مؤسسة التاريخ ، بيروت، 200م.

33- (عبد الرحمن) عبد الهادي ، سلطة النص ،ط2 . سينا للنشر، بيروت ، 1998م.

34- (عبد المجيد) جميل ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، د .ت .

35- (عبد المجيد) جميل ، علم النص، مقال في مجلة عالم الكفر ، المجلد 32. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 2003م .

36- (أبو غزالة) إلهام ، وعلي خليل حمد ، مدخل إلى علم لغة النص ، ط2. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1999م .

37- (الغلاييني) مصطفى ، جامع الدروس العربية ، 2ج . المكتبة العصرية ، بيروت ، 2003م.

38- (فضل) صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص . عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1992م .

39- (الفقي) صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،2ج . دار قباء، القاهرة ،2000م

40- فولفانج ، وديتر فيهجر ، مدخل إلى علم لغة النص . زهراء الشرق ، 2004م

41- (القرطاجني) حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب، ط3. دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ، 1986م.

42- (القرطبي) محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن . دار الكتب ، القاهرة ، 1960م.

43- (القزويني) محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط2 . مؤسسة المختار ، القاهرة ، 2004م .

44- (قطب) سيد ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ط17 . دار الشروق ، القاهرة، 2004م .

45- (قطب) سيد ، في ظلال القرآن ، ط 31 ، 6ج. دار الشروق ، القاهرة ، 2002م.

46- (القلقشندي) أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا . دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م .

47- (المتنبي) أحمد بن الحسين ، ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، 2ج . دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005م .

48- (ابن منظور) جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط3 . دار صادر ، بيروت، 1994م.

49- (النحاس) مصطفى ، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب . مكتبة ذات السلاسل ، الكويت ، 2001م .

50- (نصار) حسين ، التكرار . مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2003م .

51- (كولنج) ن.ي ، الموسوعة اللغوية ، ترجمة محي الدين حميدي وآخرين . جامعة الملك سعود ، الرياض 1421هـ.

52- (الواحدي) علي بن أحمد ، أسباب النزول . دار ابن كثير ، بيروت ، 1988م .

المؤلف في سطور

خليل بن ياسر البطاشي

من مواليد مسقط 29/ 1/ 1976م

بكالوريوس تربية تخصص اللغة العربية من جامعة السلطان قابوس . 1998م

الدبلوم العالي في الدراسات اللغوية والأدبية من معهد البحوث والدراسات العربية. 2003م

ماجستير آداب تخصص اللسانيات النصية من جامعة السلطان قابوس . 2006م

الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب

دار جرير
للنشر والتوزيع
www.darjareer.com
9 789957 381295